

منشورات الجامعة الليبية

دراسات في

نارخ ليسيا القديم

تأليف

لؤي زمريني

كلية الآداب • جامعة عين شمس • القاهرة
كلية الآداب والتربية • الجامعة الليبية

يناير ١٩٦٦

منشورات الجامعة الليبية

دراسات في

تاريخ ليبيا القديم

تأليف

دكتور زهير بن كلال بن عبد العزيز

كلية الآداب • جامعة عين شمس • القاهرة
كلية الآداب والتربية • الجامعة الليبية

يناير ١٩٦٦

المطبعة الأهلية - بنغازي

الصلوة

إلى أبي وأمي
إلى زوجتي وإبني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد ، فقد بدأ اهتمامي بتاريخ ليبيا القديم ، منذ أن قمت بتدريس مادة «تاريخ ليبيا القديم وآثارها» لطلاب قسم التاريخ ، بكلية الآداب والتربية ، بالجامعة الليبية ، عندما تقرر عليهم دراسته في العام الجامعي ٦١ - ١٩٦٢ .

ويضم هذا الكتاب ثلاث دراسات . وقد خصصت الأولى منها للحديث عن «الليبيين القدماء» . وقد دفعني الى ذلك ما يلاحظه المهتم بدراسة تاريخ ليبيا القديم ، من أن غالبية مصادره ، تتحدث عن الاغريق والرومان في برقة ، والفينيقيين والرومان في طرابلس . ودراسة تاريخ هؤلاء الأقوام الأجنبية في ليبيا ، دراسة هامة في حد ذاتها ، إذ أنها حملت معها حضارتها ومدنيتها ، وكافة مظاهر حياتها . ولكن كل ذلك ينبغي الاينسينا الاهتمام بدراسة تاريخ الليبيين ، أهل هذا البلد ، الذين عاشوا في أرضه التجربة الانسانية كلها ، منذ عصور ما قبل التاريخ . وكان من الضروري أن نعرف كيف كانت حياتهم ، قبل أن نحل بارضهم هذه الأقوام الأجنبية ، وماذا كانت علاقتهم بها وموقفهم منها . وقد حاولت جهدي أن أضع أمام القارئ صورة متكاملة لليبيين عبر العصور القديمة ، حتى يمكنه أن يقرر بنفسه طبيعة هذا الشعب ومقدرته على البقاء والاستمرار ، في بيئة زاحمة فيها أولئك الدخلاء الأجانب . وقد أحال الليبيون حياتهم ، باغاراتهم وهجماتهم ، الى حياة طابعها الحذر والخوف والترقب . حتى أن العرب عند مجيئهم الى ليبيا ، وجدوا البيزنطيين محاصرين في مدن الساحل ، والمزارع المحصنة ، في حين كانت قبيلة لواتة الليبية قد غلبت على معظم أرجاء ليبيا .

وتدور الدراسة الثانية حول الأوضاع الدستورية في برقة ، وذلك عبر فترة امتدت من عصر أسرة باتوس (٦٣١ - ٤٤٠ ق.م. تقريباً) حتى عصر

الامبراطور أغسطس . ولهذا الموضوع أهميته ، اذ يتصل بالتاريخ السياسى والدستورى لهذا الاقليم من ليبيا ، الذى توالى عليه أشكال مختلفة من نظم الحكم ، وذلك تبعا للقوى السياسية الحاكمة التى غلبت عليه . ومن الأهمية بمكان أن نتيين أن قورينى كانت مدينة اغريقية بحق ، وأنها مرت بالتجربة السياسية التى مرت بها المدن الاغريقية الأخرى فى بلاد اليونان الأصلية . اذ عرفت قورينى النظام الملكى أول ما عرفت من نظم الحكم ، ثم مرت بمرحلة الصراع بين الملكية والأرستقراطية . ولم تنج بعد ذلك من نتائج الصراع بين الأوليغاركية والديموقراطية . ولم تك هذه المدينة أن تفيق من ذلك الصراع ، حتى خضعت مع بقية برقة لحكم البطالة الذين ضاقوا فى مصر بنظام المدينة الاغريقية الحرة . ولذلك كان من المهم بالنسبة لنا أن نعرف موقف قورينى ، وهى المدينة الاغريقية العريقة ، من هذا الحكم الجديد . وعندما انتهى حكم برقة الى الرومان ، تغيرت الأوضاع السياسية ونظم الحكم بها فى ظل النظام الامبراطورى ، الذى وضع أسسه ، الامبراطور أغسطس .

أما الدراسة الثالثة من هذه الدراسات ، فهى عن «اليهود فى برقة فى العصرين الهلينستى والرومانى» . وقد استرعى اهتمامى تلك الثورة العنيفة المدمرة التى قام بها يهود برقة وقبرص ومصر فى وقت واحد فى عام ١١٥ م . وكان يهود برقة هم الذين بدأوها . فتوفرت على دراسة حياتهم منذ أن حلوا ببرقة فى عصر البطالة ، حتى بطش بهم الرومان اثر ثورتهم تلك . وقد حاولت أن أرسم صورة واضحة لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدستورية . وكان هدفى أن أصل مع القارىء الى تبين حقيقة العوامل التى دفعتهم الى الثورة على الحكم الرومانى .

وانى لأدعو الله أن أكون قد وفقت فى محاولتى الكتابة فى تاريخ ليبيا القديم ، وأن يرضى عن عملى المتواضع هذا ، المهتمون من أبناء ليبيا بتاريخ بلدهم ، والمستغلون من أبناء الوطن العربى بتاريخه القديم ، فيكون من حظه أن يصيغ جديدا الى ما أثروا به المكتبة العربية من دراسات وبحوث .

وانى لا أجد خيرا من هذا الكتاب أهديه الى الجامعة الليبية ، والى طلاب قسم التاريخ بكلية الآداب والتربية بهذه الجامعة ، عسى أن يكون ذلك باعثا لهم على بذل مزيد من الجهد فى دراسة تاريخ بلدهم ، وحافزا لهم على الاهتمام به .

وأنه ليسعدنى أن أسجل ، بكل صدق واخلاص ، شكرى للأستاذ مصطفى عبد الله بعيو ، مدير الجامعة الليبية ، وهو من أوائل المشتغلين بتاريخ ليبيا ،

والأستاذ محمد مصطفى السعداوية ، وكيلها ، اذ لولا ما بذلاه لى مشكورين من مساعدات ذلت كل صعب ، ما خرج هذا الكتاب الى حيز الوجود .

وانه ليسرنى أيضا ان أسجل شكرى وتقديرى لكل معاونة صادقة لقيتها من السادة القائمين على ادارة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ، وخاصة الأستاذ عبد المولى دغمان عميد الكلية الذى رجب بنشر هذا الكتاب ، والأستاذ ابراهيم الرفاعى وكيلها ، الذى أعاننى ، بفضل تمكنه من اللغة الايطالية على الاطلاع على بعض ما كتب فى تاريخ ليبيا القديم بهذه اللغة .

وأزجى شكرى للسيد أسعد المسعودى مراقب الشؤون العامة بالجامعة الليبية لتفضله بتصميم غلاف هذا الكتاب ورسم خرائطه .

ولا يفوتنى ان أقدم شكرى للأستاذ مصطفى عبد الله بن عامر ، صاحب المطبعة الأهلية بنفازى ، والقائمين بالعمل بها ، اذ لمست منهم جميعا كل اخلاص على أن يظهر الكتاب على هذا النحو الجميل المتقن .

والله ولى التوفيق .

مصطفى كمال عبد العليم

بنفازى فى رمضان ١٣٨٥ هـ .

يناير ١٩٦٦ م .

فهرس ولساب

صفحة

مقدمة	١
الليبيون القدماء	١
الأوضاع الدستورية في برقة من عصر أسرة باتوس الى عصر الامبراطور أغسطس	١٢١
اليهود في برقة في العصرين الهلينستي والروماني	١٧١
الخرائط	٢١٩

الليبيون في القذافي

الليبيون القدماء

تحدث هيرودوت عن ليبيا بوصفها القارة الثالثة من قارات العالم المأهول على نحو ما فهمه سابقوه ومعاصروه^١. وهى عنده تمتد من حيث تنتهى حدود مصر الغربية، وقد حددها بما يلى بحيرة مريوط^٢، الى رأس سولوجوس (وهو رأس كاتنن أو سبارتل) جنوبى طنجة على المحيط الاطلنطى^٣. وقد جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس (وهى خليج قابس بتونس على الأرجح) حدا فاصلا بين مجموعتين من الليبيين، واحداهما مجموعة تعيش الى الغرب من هذه البحيرة وتتألف من زراع ألفوا حياة الاستقرار، الثانية تعيش الى الشرق من البحيرة وتتألف من بدو رعاة ومدار التفرقة عنده ليست على أساس اختلاف الجنس ولكن على أساس اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى. وقد حدث هذه التفرقة بالبعض الى القول بوجود لبيين غربيين وليبيين شرقيين، وعلى هذا الأساس حددوا موطن الليبيين الشرقيين بما يتفق تقريبا مع حدود ليبيا الحديثة^٤. وتاريخ هؤلاء الليبيين الشرقيين القديم هو موضوع هذا البحث. وهو محاولة لابرار شخصيتهم التاريخية ابتداء من عصور ما قبل التاريخ حتى أواخر العصر الرومانى.

مرت ليبيا بوصفها اقليما من أقاليم شمال افريقيا بأكثر من عصر من عصور ما قبل التاريخ يوم أن كانت الظروف المناخية والنباتية فى معظم الأحوال تهيب البيئة الصالحة لمعيشة الانسان الأول^٥، وكانت أيضا غير منعزلة عن البيئات المحيطة بها^٦ مما جعلها تتأثر بها وتؤثر فيها.

وتدل المخلفات الأثرية على أن حضارة العصر الحجري القديم الأسفل سادت شمالى طرابلس فى موقع بئر دوفان بالقرب من أحد مصبات رافد من

روافد وادى مردم على بعد ١٠٠ كم من الساحل^٨ ووجدت فى منطقة توكرة ببرقة آلات من النوع المعروف باسم الفأس اليدوية وهى الآلات التى تميز بها هذا العصر^٩. وقد تناثرت فى برقة عينات مماثلة كشفت عن وجود صناعة أشولية^{١٠}.

وعندما كانت أوروبا فى أوج عصر جليد القورم (٤٠.٠٠٠ — ١٨.٠٠٠ ق.م. تقريبا) هاجر انسان الحضارة الموسستيرية، وهى تمثل حضارة العصر الحجري القديم الاوسط، من أوروبا الى شمال أفريقيا وقد دلت على ذلك مخلفات حضارة هذا الانسان المنتشرة فى هذه المنطقة من افريقيا حتى وادى النيل^{١١}. وقد عثر على مخلفات انسان هذا العصر فى الهضبة الممتدة من السلوم الى طبرق، وفى المنطقة الخصبة من الجبل الاخضر على بعد عدة أميال الى الغرب من طبرق، وفى منطقة الحافة الشمالية لبحر الرمال جنوبى الجبل الأخضر وفى جنوبه الشرقى. وتتناثر هذه المخلفات على طول ساحل برقة وتبرز بشكل واضح بالقرب من خليج غزالة بجوار درنة^{١٢}. ولعل أهم مواقع التجمعات البشرية فى هذا العصر، هو موقع الحاج كريم على الضفة الشرقية لوادى جحام قبل التقائه بوادى درنة بمسافة ٢٥٠ كم وعلى بعد ست كيلومترات ونصف من الساحل. وكان الانسان المقيم فى هذا الموقع، كما تدل مخلفاته، يحصل على الطران اللازم لصناعاته الحجرية من موقعين قريبين من درنة. وكان ينتقى قطع الطران بعناية ودقة مما مكنه من تحقيق قدر كبير من النجاح فى اتقان صناعة آلاته^{١٣}.

وتقدم مخلفات الحيوانات الدليل على أن مجتمع الحاج كريم كان يقتنيها لأكل لحومها. وأهم هذه الحيوانات الغزال والبقر والجاموس وحمار الوحش والسلاحف البرية وأنواع من الخراف. وبعضها كبير الحجم وكان يحتاج الى مهارة فى مطاردتها وصيدها^{١٤}.

ويضاف الى موقع الحاج كريم مواقع أخرى تقع الى الغرب من درنة مثل وادى النجا^{١٥} وعين مارا^{١٦} والأثرون^{١٧} ووادى حولة الى الغرب قليلا من أبولونيا (= سوسة)^{١٨} ووادى سليب بطوكرة^{١٩}.

وعلى بعد عدة أميال الى الغرب من درنة قامت صناعة شبيهة بصناعة المواقع السابقة في كهف (هوا الفتايح) قد يعود تاريخها الى عام ٤٣٠٠٠ ق.ب. وترجع أهمية هذا الموقع الى اكتشاف حفرة لفك انسان ، وهى أول حفرة من هذا النوع من العصر الحجري القديم الأوسط في شمال أفريقيا . ومن ناحية أخرى هناك شبه واضح بين انسان هذا الكهف وانسان النياندرتال في فلسطين . واذا أضفنا الى ذلك ، التشابه الواضح بين صناعة الانسان في المنطقتين ، فان كل ذلك يدل على ترجيح وجود اتصال بين جنوب غرب آسيا وشمال شرقي ليبيا في العصر الحجري القديم الأوسط . وقد تكشف هذه الظاهرة عن تحركات بشرية ربما تكون قد انتقلت من الغرب الى الشرق ، أو من الشرق الى الغرب ، أو أن انسان ليبيا وانسان فلسطين قد تفرعا عن انسان ثالث . على أى حال فان وجود عينات من صناعة أسيوية في برقة بعد هذه الفترة من العصر الحجري القديم الأوسط بقليل ، ووجود عناصر أفريقية في فلسطين في زمن مقارب يظهر حقيقة هامة وهى أن الاتصال كان ميسرا بين المنطقتين في أواخر عصر البليستوسين^{٢٠}.

والى الغرب من درنة أيضا وعلى ساحل برقة عثر في منطقة رأس عامر^{٢١} على مخلفات انسان الحضارة العاطرية (نسبة الى بئر العاطر في جنوب تونس) ، وهى حضارة متطورة عن الحضارة الموستيرية^{٢٢} ، ونشأت فيما يرجح في شمال غرب أفريقيا وانتشرت في منطقة أطلس ومنها انتقلت الى طرابلس ونجد آثارها في وادى مردم على السفوح الشرقية لجبل نفوسة وعلى الحافة الشمالية لهذا الجبل في وادى غان^{٢٣} ومن ثم انتقلت الى برقة حيث اتخذت محلات لها في رأس عامر مناطق أخرى مثل (حفنة الطيرة) جنوبى بنغازى^{٢٤} امتدت آثارها الى واحة سيوة والواحة الداخلة ثم استقرت في الواحة الخارجة . ومعنى ذلك أن الجماعات البشرية صاحبة هذه الحضارة كانت على درجة كبيرة من المهارة وعلى جانب كبير من الحيوية اذ وجدت في نفسها الجرأة على التنقل من جبال أطلس مجتازة ليبيا حتى أن عناصر منها وصلت الى الواحة الخارجة^{٢٥} .

وقد ظهرت في شمال أفريقيا بعد ذلك حضارة شبيهة بالحضارة الأورنياسية وهي تمثل إحدى فترات حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا وسابقة لها في الزمن ٢٠ . وفي الفترة ما بين عامي ١٥,٠٠٠ ، ١٢,٠٠٠ ق.م. تقريبا بدأت حضارة وهران (وهي من حضارات العصر الحجري القديم الأعلى) تنتشر في منطقة تمتد على الساحل من المغرب الى خليج قابس . وكان أصحاب هذه الحضارة قد قدموا الى هذه المنطقة من جنوب غربي أوروبا . وفي الوقت نفسه كانت المرحلة الأولى من مراحل حضارة كهف الدبة (في منطقة وادي كوف) قد استقرت في ذلك الوقت ربما نتيجة لهجرة قادمة من الشرق واستمرت مجتمعات خليجي سرت الصغير والكبير تبأشر صناعة العصر الحجري القديم الأوسط التي قام الدليل على وجودها في جنوبي الدلتا في مصر على الأقل .

وفي الفترة ما بين عامي ١٢,٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ ق.م. انتشرت صناعة مرحلة متأخرة من حضارة الدبة في برقة ومنها انتقلت الى شرقي الجزائر وتونس لتستقر في منطقة يسيطر عليها أصحاب حضارة وهران الأوائل . في حين ظلت حضارة وهران سائدة في كل منطقة ساحل المغرب .

وفي الفترة ما بين عامي ١٥,٠٠٠ و ٩,٠٠٠ ق.م. ، وهي تقابل المرحلة الأخيرة من حضارة الدبة توغلت حضارة وهران الأولى شرقا حتى بلغت برقة لتحل محل حضارة الدبة . وتدل مخلفات كهف (هوا الفتايج) على أن حضارة وهران وصلت فجأة الى هذا الموقع وهذا يدل على وجود تحركات بشرية قوية في المنطقة . واستطاعت حضارة وهران أن تجد طريقها الى الدلتا حيث أقامت لنفسها محلات هناك ووصلت الى أنحاء أخرى من مصر . ومحلات هذه الحضارة قائمة في وادي ميدامود بالقرب من الأقصر وبعض مناطق الفيوم وبعض المناطق الصحراوية البعيدة مثل واحة سيوة وجبل العوينات وعلى سطح الهضبة الواقعة الى الغرب من الواحة البحرية وواحة الفرافرة وكوم أمبو وقاو . وزاحمت حضارة وهران أيضا محلات حضارة الدبة في قصص الواقعة في إقليم قسطنطية شمال شط الجريد بتونس ولتصبح الحضارة هناك حضارة قفصية صرفة .

وفي الفترة ما بين عامي ٩٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م. انتشرت حضارة قفصة العليا الى جنوب شرق المغرب وانتشرت شمالا لتؤثر في صناعات وهران المعاصرة على الساحل ، وما لبثت أن قامت لهذه الحضارة محلات في طرابلس. ولم يتوقف انتشارها عند هذا الحد بل تقدمت شرقا وساعدت على قيام الحضارة في سرت ثم انتقلت الى برقة لتحل محل حضارة وهران وذلك حوالي عام ٨٠٠٠ ق.م. ولم تذهب الحضارة القفصية الى أبعد من ذلك . وكانت مؤثرات من الشرق قد وصلت أيضا الى كهف هوا الفتايح^{٢٦} .

وقد عثر مؤخرا على كهف يقع في وادي جراجا وهو أحد روافد وادي الكوف وينتهي الى البحر على بعد ١٣ كم الى الغرب من أبولونيا ويبعد عن قوريني (= شحات) بحوالي ثلاث كيلومترات ونصف . ويمكن مشاهدة عدد من الرسوم تمثل حياة مجتمع من مجتمعات العصر الحجري القديم مصورة على جدران الكهف ، من بينها صور الأغنام الافريقية وهي الودان ، وقد افترضت من الجبل الاخضر والمنطقة الساحلية ولا تزال موجودة في الدواخل ومناطق الصحراء ، وصورة لأنواع من البقر والثيران . ويرجح أن تاريخ هذا الكهف يقع ما بين الألف السابعة والسادسة ق.م. وعلى صخور جبال الهروج والسود عثر على صور مشابهة^{٢٧} .

والأدلة ليست كثيرة على وجود العصر الحجري الأوسط في ليبيا . وان كانت هناك أمثلة على صناعات هذا العصر متناثرة في ليبيا حتى منطقة الجبل الأخضر^{٢٨} وهو فترة هامة في تاريخ شمال أفريقيا اذ عاصرت الفترة بين تراجع الجليد وبين ظهور جماعات الزراعة والرعي . وأدى تراجع الجليد نحو الشمال الى زحزحة كل المناطق المناخية . وحدثت فترة جفاف نسبي في شمال أفريقيا وترتب على ذلك هجرة بعض سكانها الى أوروبا^{٢٩} .

وانتقلت ليبيا من العصر الحجري القديم الى ما قبل العصر الحجري الحديث ، وينهض شاهدا على ذلك كهف (حقفة الطيرة) ، وتشبه مخلفات الانسان في هذا الكهف مخلفات انسان كهف هوا الفتايح^{٣٠} .

وفي المنطقة الساحلية التي تتوسط بين برقة وطرابلس والبالغ طولها ٦٥ كم عشر على محلات الصناعات في العصر الحجري ومن هذه المحلات موقع لمطار بريطاني كان مقاما عند القوس الرخامي **Marble Arch** وتحتوى هذه المحلة على آلات حجرية قزمية وأدوات دقيقة وبعض بقايا من قطع العظام وقواقع بحرية وبقايا بيض النعام . وعلى هذه المحلة غربا محلة أخرى في سرت ويشاهد بها نفس مخلفات المنطقة السابقة تقريبا ويلاحظ أن بيض النعام مزخرف بخطوط مما يرجح وجود مجتمع من جامعي الطعام على طول الساحل الجنوبي لخليج سرت لعله كان يعتمد على ما كانت تقدمه له البيئة البحرية من غذاء . ومخلفات الإنسان في هاتين المحلتين تعود الى العصر الحجري الحديث * ونظرا لرسم الخطوط على قشر بيض النعام فان ذلك يعتبر ظاهرة حضارية هامة ويجعل من الأوفق اطلاق اسم حضارة سرت على هذه المنطقة ٣١ .

وفي طرابلس تتعدد محلات العصر السابق على العصر الحجري الحديث اذ عشر على مخلفات من صناعة العصر الحجري القديم الأوسط بالقرب من بئر دوفان وعلى بعد ١٥ كم الى الجنوب من غريان وعلى الجانب الجنوبي لوادي غان ٣٢ .

وفي بداية العصر الحجري الحديث استمر الجفاف في شمال افريقيا وسادت الظروف الصحراوية وكان على الإنسان ، وهو في هذه المرحلة الإنسان العاقل **Homo sapiens** أن يبادر الى مغادرة الصحراء وأن يسعى الى الاستقرار حيث موارد المياه . وآثار انسان هذا العصر كثيرة في برقة والمحلات انكثيرة لحضارة هذا العصر والمنتشرة بكثرة على الساحل تحتفظ بالادوات التي اعتاد انسان هذا العصر استخدامها والتي تشبه ما عشر عليه في الصحراء في الداخل . وهذه ظاهرة تلفت النظر اذ أن ذلك يعنى أن الصحراء والساحل شملت معاً وحدة حضارية واحدة ٣٣ . وأصبحت هناك مجتمعات مستقرة مثل مجتمع العوينات في جنوب الصحراء الليبية قرب التقائها بحدود مصر حيث خلف الانسان رسوما تمثل هذا العصور و نرى فيها الحصان والعربة ٣٤ مما يذكرنا

بما قاله هيرودوت عن استخدام الجرامنتيس لهما وان كان ذلك في العصور التاريخية^{٢٥} والجرامنتيس هم أهل فزان ، حيث عثر على صور مرسومة على الصخر وتعود الى العصر الحجري الحديث^{٢٦} . فهل يعنى هذا وجود اتصال حضارى على طول الصحراء الجنوبية .

وفي طرابلس تتوفر الأدلة على وجود محلات العصر الحجري الحديث في سهل جفارة وبعض مناطق من جبل نفوسة . وفي المنطقة الممتدة من غريان الى مزدة^{٣٧} .

ولم تقتصر مخلفات انسان العصر الحجري الحديث على منطقتي برقة وطرابلس بل اننا نجد آثار هذا الانسان في منطقة فزان بالقرب من تاسيلي في المنطقة المنخفضة بين حجار — تيبستي (تمو) وجنوب مرتفعات طرابلس ومن أهم هذه المواقع موقع In Habeter III حيث يمكن مشاهدة رسوم محفورة على الصخر تمثل صور الزراف ، وهي الظاهرة الغالبة على هذا الموقع ، والى جانبها وحيد القرن والتيتل . ويلاحظ أن الصيادين يلبسون أقنعة لها رؤوس ابن آوى ويحملون أسلحة بسيطة لعلها عصى . ويبدو أنهم كانوا يلبسون أحزمة أو مئزرا يلتصق به من الخلف ما يشبه ذيل الحيوانات .

وفي جبل عكاكوس عدة مواقع هامة من بينها Tel Issaghen ويمكن أن تشاهد بين الصور المنقوشة على الصخر نوعاً من الفيلة *Bubalus Antiquus* وصوراً لصيادين يحملون السهام ويلبسون جلد وحيد القرن وأقنعة للرؤوس ومناظر لبقر أو جاموس . وتظهر أيضاً بين الرسوم صورة لصياد يتحلى بذيل حيوان . وترى صورة طريفة تبين كيفية اصطياد الفيلة اما باستخدام عصى الرماية ذات الطرف المقوس أو بقذفها بعصى غليظة .

وتكشف صور أخرى في موقع في وادي ديرارات أنه كان في الماضي يتمتع بنصبية وافر من المياه الدائمة اذ أنه الى جانب الزراف ووحيد القرن والجاموس يمكن أن نرى فرس البحر .

ويلاحظ وجود صور للحصان والعربة في رسوم الصخور وهي صور تتكرر على صخور الحافة الشمالية للصحراء حتى المغرب^{٣٨} .

وقد لاحظ نفر من العلماء المهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ وجود بعض أوجه الشبه بين مواطن حضارة العصر الحجري الحديث في مصر ومواطن هذه الحضارة في ليبيا وخاصة في برقة * من ذلك أنه من المرجح لديهم من تتبع انتشار الآلات الحجرية الخاصة بهذا العصر أن شعبا شبيها بشعب الفيوم والبدارى كان يعيش في الواحات وحول موارد المياه الدائمة وينتشر في القسم الجنوبي من مصر من وادى النيل حتى الواحة الخارجة وفي قسمها الشمالى من حلوان حتى سيوة * ومظاهر الحضارة الغالبة ليلية ولذلك تظهر آلات الفيوم القزمية كعنصر شاذ بين الآلات السائدة بين هؤلاء القوم^{٣٩} . وقد دفع ذلك بعض المؤرخين الى القول بأن أصحاب الصناعات القزمية في الفيوم انما أتوا من جنوب الصحراء الليبية الى الخارجة ثم الى الفيوم والى غيرهما من المواطن التى استطاعوا النزول فيها^{٤٠} في حين أن البعض يرى أن حضارة البدارى حوالى عام ٤٥٠٠ ق.م. انتشرت في شمال افريقيا وتركت اثرا واضحا في الصيادين الليبيين وذلك قبل أن تتحول ظروف المناخ والنبات الى الظروف الصحراوية الواضحة^{٤١} * وما أن تزايد الجفاف حتى جاءت العناصر الليبية لتستقر في وادى النيل . واذا أضفنا الى ذلك أن سكان البدارى كانوا يحلون شعورهم بوضع الريش فيها فان هذا يرجح وجود أثر لىبى واضح في حضارة البدارى^{٤٢} * وقد ثبت من فحص الهياكل العظمية أن سكان قرية (مرمدة بنى سلامة) في جنوب غربى الدلتا ، وحضارتهم هى حضارة العصر الحجري الحديث ، كانوا فرعا من سكان البحر الأبيض من ذوى الجباهم التى تميل الى الاستطالة وجباههم عريضة ، وهم فرع من حضارة انتشرت على شاطئى أفريقيا الشمالى ووصلت الى أوروبا حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م. ^{٤٣} *

وحضارة ثقافة الاولى أو العمرة (نسبة الى العمرة بجنوب مصر) وهى أحدث من حضارة البدارى تتضح فيها المؤثرات الخارجية القادمة من الغرب وقد اختفت السمة الزنجية التى كانت ظاهرة بين المصريين فى البدارى ويعل ذلك باختلاط المصريين بالليبيين فى غربهم وهم من دم حامى^{٤٤} .

ويفسر التشابه القائم بين الحضارات المصرية المثلثة في الفيوم وممرمة بنى سلامة بغرب الدلتا والصحراء الليبية ، في رأى البعض ، بأن الثقافة الحامية كانت سائدة في كل هذه المناطق . وفي رأى البعض من علماء الاجناس أن شعبة من الجنس الحامى السامى قد استقرت في شمال افريقيا والصحراء الكبرى قبل عام ١٠٠٠ ق.م. ثم خرجت هجرة من هذه الشعبة بعد أن تم تخصيصها الحضارى في الفترة ما بين ١٠٠٠ ، ٨٠٠٠ ق.م. الى الشرق فنشرت حضارتها في وادى النيل وغرب آسيا حتى بلاد ما بين النهرين . ومعنى هذا ان كلا من حضارة بابل ومصر انما نشأت في الأصل في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى^{٤٥} وهذا الرأى يجب أن يدرس في ضوء ما نعرفه عن تحركات الجماعات البشرية في هذه الازمنة الضاربة في القدم . لأنه مما سبق نرى أن هذه الفترة بين عامى ١٠٠٠ ، ٨٠٠٠ ق.م. تقابل مرحلة انتشار حضارة وهران القادمة من الجزائر الى وادى النيل . ولكن اقامتها في مصر لمدة طويلة جعلها تتخذ صفات جديدة وترسى قواعد حضارة تختلف عن الحضارة التى أتت بها من مواطنها الأولى .

على أى حال فالأدلة كافية على وجود اتصال بين غرب الدلتا في العصر الحجري الحديث والمناطق المجاورة وبين سكان الواحات وشمالى الصحراء في شرق ليبيا شمال بحر الرمال الليبى ، والحضارات المختلطة في هذه المناطق الصحراوية التى وجدت في أواخر الالف الخامسة أو الرابعة ق.م. وفضلا عن ذلك فإن الاحتكاك الحضارى واضح بين مجتمعات ليبيا ومجتمعات وادى النيل. والاتصال قائم بين الواحة الخارجة وسيوة والفيوم وبين الجغبوب والعجيلة وكذلك كان الاتصال قائما فيما يرجح بين مصر ومناطق الساحل في برقة ولكنه لم يتجاوزها الى ما وراء خليج سرت. ولم يتوقف هذا الاتصال الحضارى بل استمر لمدة عدة قرون بعد ذلك. ويقدم كهف هوا الفتايح في الجبل الاخضر الدليل على وجود المؤثرات المصرية بعد النصف الثانى من الالف الخامسة ق.م.^{٤٦} .

وفي عصر ما قبل الاسرات وهو العصر الذى التزم فيه المصريون وادى

النيل بصفة نهائية وعرفوا استخدام النحاس وزادت عنايتهم بالزراعة ، كانت حضارة نقادة أو جرزة قد بلغت أوجها . ويرجح أنها عمت كل شمال افريقيا لعدة آلاف من السنين وأنه ليس من المستبعد ، تبعا لذلك ، ان يعثر يوما ما في برقة على مخلفات هذه الحضارة^{٤٧} . وازاء وجود عناصر ليبية واضحة في هذه الحضارة فان البعض يرى أنها ليبية الأصل وان كان البعض الآخر يرى أنها حضارة افريقية خالصة اصحابها من الجنس الحامى الذى انتشر في شرق وادى النيل وغربه . ولما كانت بعض رسوم الصخور في فزان تعكس بعض التأثيرات الفنية المصرية من عهد ما قبل الاسرات ، حسب ما يرى بعض المؤرخين ، فانه لا بد وان تكون هناك علاقة بين الثقافتين^{٤٨} . وربما كانت هناك تأثيرات متبادلة عن طريق العوينات .

ونخلص الى القول بأن شمال افريقيا في العصر الحجري قد انقسم حضاريا الى قسمين ، وأحدهما هو القسم الغربى بما في ذلك طرابلس افريقى في طابعه ، ويتصل بحضارات العصر الحجري الحديث في النيجر والسودان وأعالى النيل ، والقسم الثانى وهو القسم الغربى في شمال بحر الرمال الليبى وشماله الشرقى ، ويمتد من الجبل الأخضر شرقا الى الفيوم وجنوبا الى الواحة الخارجة . وقد ساد طابع بدائى لحضارة مجتمع منتج للطعام اتسمت معالمه بصورة مستمرة ابتداء من أواخر الالف الخامسة ق.م. ويعزى هذا الى الاحتكاك الحضارى بين الصيادين الوطنيين الذين كانوا يستخدمون الأسلحة القزمية ، والجماعات المنتجة للطعام الوافدة من جنوب غرب آسيا . وهذا الطابع الخاص المميز لهذه المنطقة ، الذى كان واضحا في حضارات الصيد المتأخرة ، استمر يدعم من كيانه حتى انه ظل قائما في العصر التاريخى^{٤٩} .

وبعبارة أخرى أنه بينما كانت طرابلس منجذبة حضاريا الى افريقيا ، كانت برقة على علاقة وثيقة بمصر . وابتداء من عصر ما قبل الاسرات في مصر، أصبح لدينا شواهد أثرية ثابتة تعين على التعرف الى الجماعات الليبية ومدى اتصالها بسكان وادى النيل .

عشر بجبل العركى تجاه نجع حمادى فى الصحراء الشرقية بمصر على

مقبض عاجى لسكين، يعود تاريخه الى منتصف الألف الرابعة ق.م. وقد صورت على أحد وجهى المقبض معركة جرت على البر والماء بين فريقين، تميز أحدهما بأن أفرادها كانوا يرسلون شعورهم الطويلة ويجعلونها تنسدل على جانب الرأس على هيئة جديلة، ويتخذون قرابا يستر العورة، وإن كان يشاركونهم فى الظاهرة الأخيرة أفراد الفريق الآخر وهم من المصريين. والشعر الطويل المنسدل والجديلة والقرباب تقرب أصحابها الى هيئة الليبيين الذين صورهم عليها المصريون فى العصور التاريخية^{٥٠}.

وعلى لوحة أو صلاية تعرف باسم صلاية صيد الاسود يمكن مشاهدة فريقين من الصيادين أثناء مطاردة الأسود. ويلاحظ أن رجلين من الصيادين يحملان لواءين تعلو كلا منهما هيئة الصقر، ورمز المعبود حور، ولعلها بذلك يرمزان لأكبر أقاليم غرب الدلتا فى فجر التاريخ. ويلاحظ أيضا أنه يتدلى خلف كل رجل ذيل ذئب أو ذيل ابن آوى، وإن كل رجل وضع ريشة أو ريشتين فوق رأسه. وبدأت شعور القوم طويلة فضلا عن أنهم يطلقون لحاهم. كل هذه المظاهر ترجح ان القوم من الليبيين^{٥١}.

وتتكرر فى صلاية أخرى تعرف باسم صلاية الأسد والعقبان صور أشخاص يلبسون قراب العورة، وقد ظهر الى جانبهم أيضا لواء ان للمعبودين حور وتحوتى^{٥٢}.

وفى صلاية ثالثة يظهر ملك وهو يهزم بضرب زعيم خصومه، وأمامه علامتان تعبيران عن اسم منطقة، يحتمل أن تكون (وع) أو (عش). والمرجح أنه اسم اقليم يتألف من صورة خطاف وحوض ماء. ولعل الخطاف كان رمزا لاقليم يقع فى أقصى شمال غرب الدلتا عند حدود الصحراء الليبية^{٥٣}.

وإذا اقتربنا من عصر ما قبل الاسرات وعندما كانت المحاولات تبذل لتوحيد مصر بشطريها؛ الوجه البحرى والوجه القبلى، لوجدنا لوحة لملك الوجه القبلى الملقب بالعقرب وقد قسمت الى أربعة صفوف أفقية. وقد ظهرت فى الصفوف الثلاثة الاولى صور ثيران وحمير وكباش، وفى الصف

الرابع صورة لشجرة يظن أنها من نوع شجر الزيتون. وكتب أمام الشجرة علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية ، وتدل على كلمة تحنو^{٥٤} ولعل المقصود بها الاراضى الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتاه^{٥٥} أو لعل الملك يكون قد خاض حربا أو معركة ضد الليبيين المقيمين فى هذا الاقليم القريب من مصر وغنم منها هذه الغنائم والتي صورها على لوحته تلك . والمهم أن هذا هو أقدم ذكر فى الآثار المصرية لشعب ليبيا عرفه المصريون باسم التحنو . وهو أحد المجموعات الكبرى التى انقسم اليها الليبيون فى العصور القديمة .

وقد عاد اسم التحنو الهيروغليفى للظهور مرة أخرى على اسطوانة من العاج عثر عليه فى مدينة هيراكونبوليس (الكوم الاحمر شمال ادفو بصعيد مصر) * وتحمل اسم الملك نعرمر * وقد ظهر الملك فى هذه اللوحة وهو يضرب جماعة من الأسرى نقش فوقهم اسم تحنو^{٥٦} . وتتساءل هل نفهم من هذا الشاهد أن الليبيين كانوا من بين سكان الدلتا الذين كان ينبغى لنعرمر محاربتهم أثناء محاولته توحيد البلاد فى مملكة واحدة ؟ اذا سلمنا أن ثمة عناصر ليبية قدمت من ليبيا واستقرت فى غربى الدلتا ، فانه يتحتم علينا ان ترجح أن الليبيين التحنو كانوا بالفعل عنصرا متميزا بين سكان الوجه البحرى. ونرى على آثار الملك عجا خليفة الملك نعرمر اشارات كثيرة الى حروبه مع الليبيين والى تشييده بعض المعابد ، وبخاصة للربة نبت ، وكانت نبت هذه ربة ليبية كان مقر عبادتها فى مدينة صا الحجر فى غرب الدلتا . فضلا عن ذلك كانت زوجة الملك تدعى نبت - حتب وربما كانت هى الأخرى من نفس هذه المدينة^{٥٧} . وقد تكرر اسم التحنو فى نصوص الأسرتين الثانية^{٥٨} والثالثة (٢٧٧٨ - ١٧٢٣ ق.م.)^{٥٩} . بوصفهم جماعات كان ينبغى على بعض فراعنة هاتين الاسرتين محاربتها والتصدي لوقف هجماتها .

وقد قاد الملك سنfro مؤسس الأسرة الرابعة (٢٧٢٣ - ٢٥٦٣ ق.م.) حملة ضد الليبيين وسجل حجر بالرمو الغنائم الضخمة التى غنمها فى هذه الحملة وهى ١١ر٠٠٠ أسير و ١٣ر١٠٠ رأس من الماشية^{٦٠} .

ولعل أهم النصوص التى تتحدث عن التحنؤ هى نقوش الملك (سحورع) والملك (ونبى - أوسر - رع) وهما من ملوك الأسرة الخامسة (٢٥٦٣ - ٢٤٢٣ ق.م.) والى سجلت على جدران معبديهما فى أبوصير^{٦١} . وقد جاء فى نقوش سحورع عبارة « ضرب تحنؤ » . وقد رسمت صور الثيران والحمير والاغنام وقطعان من الماعز التى غنمها الملك ، وفوقها وتحتها تشاهد صور أسرى مكبلين نقش فوقهم اسما اقليمين هما « باش » و « وبكت » وهما فيما يرجح اقليمان من بلاد تحنؤ . وترى كذلك خلف أسرة أمير تحنؤ اله الغرب والاله عش سيد بلاد تحنؤ وهما يقدمان للملك كل خيرات البلاد الاجنبية . وهذه الصور على جانب كبير من الأهمية اذ تسمح بدراسة الطابع الجنسى الذى يميز تحنؤ وشكل ملابسهم . ويظهر الرجال والنساء فى الصور قوما طوال القامة سمر البشرة ، وشعرهم أسود طويل متموج يتهدل الى الخلف فى جدائل كثيفة تتدلى الى ما فوق الكتف . وتنتصب فوق الجبهة خصلة من الشعر وربما كانت نوعا من الزينة يتحلى بها القوم ويشبهها البعض بالصل المقدس الذى يبدو منتصبا فوق جبهة الفرعون المصرى . ووجوه القوم نحيفة بارزة الوجنات وشفاههم غليظة وللرجال لحى قصيرة تحدد شكل الفك بشكل ملحوظ وتنتهى بطرف مدبب . ويلاحظ أن الرجال والنساء على السواء يلبسون لباسا واحدا . ويرتدى كل من الرجل والمرأة شريطين عريضين مصنوعين من الجلد ويتقاطعان على الصدر . ويتمنطق كل منهما بحزام مزين بخطوط عمودية وأفقية وينتهى من الأمام بقراب العورة . وتحيط الرقبة بنقطة مرتفعة نوعا ما تنزل منها بعض الأشرطة . وكان الرجل من التحنؤ يتحلى بذيل الحيوان .

ويلاحظ أن الاطفال لا يرتدون حزاما او قرابا للعورة أو ذيل حيوان . وهذه الملابس لا تجد فيها قطعة واحدة حيكت للوقاية أو المحافظة على الجسم من تقلبات الجو ، ولذلك فانه يرجح أن اللباس كان يهدف الى خدمة أغراض تنصل بالسحر^{٦٢} .

ويرى بعض المؤرخين أن هناك بعض أوجه شبه بين ملابس ملوك مصر

وملابس شعب التحنو. ذلك لأن الفرعون كان يتزين بذيل الحيوان باعتباره من امارات الملك ، وخصلة الشعر عند التحنو تماثل الصل المقدس على جبين الفرعون ليحميه من شر أعدائه . وقد استند البعض الى أوجه الشبه هذه للقول بأن المصريين يرجع أصلهم الى الجنس الليبي ، وأن الليبيين قد توافدوا على وادى النيل واستوطنوه بوصفهم صيادين ورعاة ثم تحولوا الى حياة الزراعة فصاروا زراعا مستقرين^{٦٣} . ويبدو من نقوش ساحورع أنه كان يطلق على رئيس التحنو لقب (حاتى تحنو) أى (أمير تحنو) . ومنح رئيس أجنبى هذا اللقب يعد أمرا غريبا فى بابه^{٦٤} . والواقع أن شعب التحنو كان يبدو على الأقل عنصرا يقترب فى أصله من أصل المصريين أبناء عمومته . والشبه واضح فى لون البشرة السمراء والشعر الأسود فضلا عن أن التحنو يختلفون عن الليبيين يعيشون الى الغرب من مناطقهم والذين سنعرض لهم فيما بعد . من ذلك ، مثلا ، أن التحنو كانوا لا يضعون الريشة المميزة لهذه الأقوام الليبية . وذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك بقولهم أن التحنو كانوا فى الأصل مصريين وأقاموا فى الوجه البحرى ثم هاجروا منه فى وقت ما نحو الغرب وسكنوا اقليم تحنو الذى جعلوه واقعا على الحدود المصرية . والواقع أن اقليم تحنو كان بالفعل يقع غرب مصر مباشرة كما نفهم من نقوش سحورع ومن نقوش تحتس وأمنحتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عشرة والملك سيتى الأول من ملوك الأسرة التاسعة عشرة . وفى رأى البعض أنه كان يمكن تحديد الموقع بصورة أدق فقد كان هذا الاسم يطلق غالبا على المكان الذى يجلب منه النطرون ، (الذى كان يستعمل فى مصر القديمة لتحضير طلاء الخزف والزجاج) ولكن هذه بقعة صحراوية وقد لا تكفى خبراتها عددا كثيرا من الناس ، فلا بد أن اقليم تحنو كان يشمل أيضا بقاعا خصبة غربى وادى النيل ولعل هذه المنطقة هى الفيوم اذ نشاهد فى نقش من عهد الفرعون منتوحتب أحد رؤساء تحنو معلقا فى حزامه صور سمك . ولما كان الآله سبك (التمساح) مقدسا منذ القدم فى الفيوم ، وهو فى نص متأخر يمثل بلاد التحنو . وفى نصوص أخرى ، هو سيد بلاد باش ، وهى حسب نص

سحورع جزء من بلاد التحنو ، فان بلاد التحنو من أجل ذلك ، هى وادى
النطرون والفيوم . ويضيف البعض الى ذلك أن اقليم التحنو كان فى الواقع
يقع الى الغرب من الدلتا مباشرة . وربما كانت سلالة هؤلاء القوم تقيم فى
الدلتا زمن توحيد الوجهين . وكانوا كما أسلفنا قد تصدوا لنمرمر ثم أجلوا
عنها الى المناطق السابق ذكرها ، وربما أيضا الى منطقة الواحات وهذه لم
تضم الى الوطن المصرى الا فى عهد الملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين،
ويفهم من أحد النقوش أن الواحات كانت قبل ذلك تحت اشراف رؤساء
أجانب يقومون بدفع الجزية الى فرعون مصر . وقد نستطيع القول أن بلاد
التحنو كانت تشمل منطقة الفيوم والواحات ووادى النطرون ومارمريكا
(وهى المنطقة الممتدة من السلوم الى درنة)^{٦٥} . ولكن اذا سلمنا أن التحنو
كانوا يمتنون بمثل هذه الصلة الوثيقة بالمصريين ، فهم نفسر هذا الموقف
العدائى الذى كان يقفه كل فريق من الآخر ؟ وهل لم يفتن كل منهما الى
القراة القائمة بينهما ؟

والتفسير الذى يبدو محتملا هو أن الفوارق بين حضارة القومين قد
أصبحت واضحة لدرجة أن المصريين لم يعودوا يشعرون باشتراكهم مع
الليبيين فى أصل واحد . واعتبروا التحنو قوما غرباء بالنسبة لهم . وما كانوا
ليسمحوا لهم بمحاولة الاستقرار فى الوادى . وعلى أى حال ينبغى أن يفهم
أن اسم تحنو انما هو لفظ جنسى ، فلا يتحول الى اصطلاح جغرافى . وقد
ظل هذا الاسم مستعملا بعد الدولة القديمة للدلالة على شعوب الغرب
وذلك بالرغم من صفاتهم الطبيعية وبالرغم من ملابسهم التى تميزهم عن غيرهم
من الليبيين ، وبالرغم من ظهور جماعات ليبية بأسماء أخرى الا أن اسم
تحنو سيبطل يتردد فى نصوص العصر الفرعونى ليكون دلالة على ليبيا وعلى
الليبيين^{٦٦} .

خلال الألف الثالث ق.م. يبدو أنه قد طرأ تغير عميق على سكان ليبيا ،
ذلك أنه ظهر وسط الليبيين من التحنو ، من ذوى البشرة السمراء والشعر
الأسود ، واخوان المصريين فى الجنس ، شعب جديد تميز بالبشرة البيضاء

والشعر الأثغر . ويبدو أنه قد نجح في أن يحقق لنفسه مركزا ممتازا قويا في ليبيا . وقد أطلق المصريون في نصوصهم على هذا الشعب الجديد اسم التمحو تميزا له عن شعب التحنو . ومع ذلك فإنه سيحدث خلط بين الاسمين . غير أن ظهور اسم التمحو دليل على أن المصريين قد فطنوا الى هذا التغير الجنسى الواضح بين الشعبين^{٦٧} .

وأول ذكر للشعب الجديد في النصوص المصرية انما يرجع الى عهد الملك بيبي الأول من ملوك الأسرة السادسة (٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق.م.) اذ ذكر العظيم ونى قائد الجيش الذى سار لمحاربة قبائل آسيا أن جيشه كان يضم فرقة مرتزقة من التمحو^{٦٨} . ثم جاء ذكرهم بعد ذلك في عهد الملك مررع ، من ملوك هذه الأسرة في النقوش التى خلفها الرحالة حرخوف على قبره في الفنتين في جنوب مصر والتى قص فيها رحلته الكشفية الثانية الى أرض ايام (جنوب وادى حلفا) وقال فيها أنه وصل حتى أرض التمحو الى الغرب من ايام . وقد اتصل بالتمحو مرة ثانية في رحلته الثالثة الى درب الأربعين ويبدو أن هدفه كان بلوغ دارفور . وقال أنه سافر على درب الواحات ووجدت أن حربا قد استعرت بين زعيم قبيلة ايام ، وبين قبائل التمحو الذين كانوا يعيشون في غرب مصر . وقال بهذا الصدد « أن رئيس ايام ذهب الى أرض تمحو ليضرب التمحو حتى الركن الغربى للأفق فذهبت في أثره وأدخلت السكينة على نفسه »^{٦٩} .

وقد ورد في بردية هاريس التى تضمنت هبات رمسيس الثالث الى المعابد المصرية أن هذا الملك قدم حجرين من أحجار (تمحى) من الواوات (اقليم كورسيكو بلنوبة) . ولا تبعد مضارب الواوات كثيرا عن الشلال الثانى وكانوا شعبا زنجيا أو متأثرا بالدماء الزنجية . وحجر (تمحى) يوحى باسم التمحو . ولعله نسب اليهم لأن جماعة من التمحو كانوا يأتون به من الواوات ومن ثم ينقل الى مصر . وكان التمحو هم جيران الواوات من الشمال . ولما كانت أيام جيران الواوات الاقربين فإنه يبدو من غير المحتمل أن رئيس ايام كان يدبر أمر مهاجمة التمحو فى واحات مصر البعيدة . ولذلك يرجح أن

كان يدبر أمر مهاجمة التمحو في واحات مصر البعيدة. ولذلك يرجح أن التمحو اتخذوا موطناً لهم بين أهل النوبة على الشاطئ الغربى للنيل * وقد يعزز هذا الترجيح أننا في العصر الرومانى كنا نجد جماعات من الليبيين وقد استقروا في هذه المناطق . وقد قال استرابون الذى شارك في حملة بثرونيوس التآديبية في النوبة وبلغ جزيرة فيلة ، « فوق مروى توجد بحيرة بسيبو (Psebo) » هى بحيرة كبيرة مأهولة بالسكان الى حد كبير. ولما كان الليبيون يحتلون البلاد الواقعة على الجانب الآخر من النهر فانهم كانوا يتبادلون امتلاك الجزر وجانبى النهر بأن يدفع كل فريق منهما الآخر أو يخضع لسيطرته » وقال أيضا : « الى اليسار (الغرب) من النيل تعيش قبائل نوباي Nubae في ليبيا وهم شعب كبير العدد ومواطنه تبدأ من مروى ، وتمتد حتى ثنية النيل ، وهم غير خاضعين للأثيوبيين بل يعيشون مستقلين عنهم موزعين في عدة ممالك ويرجح بيتس Bates أن النوباي كانوا الى حد ما لبيين تأثروا بالدماء الزنجية خاصة وأن بطليموس الجغرافى جعل الليبيين الجرامتنيس ينتشرون جنوبا بشرق حتى نوبا Nuba . وربما كانت نوبا تقابل بسيبو . ويبدو أن التمحو زمن حرخوف ، وهم التجار الذين كانوا ينقلون حجر (تمحي) ، قد رحلوا نحو الجنوب بعد ان واجهتهم المقاومة في الاتجاه المضاد ولكن بقوا عنصرا أجنبيا بين الشعوب الأقدم منهم . وليس من المستغرب اذ رأينا على الآثار المصرية لبيين ذوى ملامح يتضح فيها أثر طفيف للملامح الزنجية^{٧٠} .

وقد عثر في أواسط بلاد النوبة على مجموعة من المقابر عرفت باسم (مجموعة ج) C. Group ، وهى لقوم ليسوا بالمصريين وتؤرخ بالفترة ما بين الأسرتين السادسة والثانية عشرة. ويرجح بيتس أنهم من أصل لبيى وذلك استنادا الى أن جماجمهم تتميز بطابع البحر الأبيض وأن شعرهم مستقيم أو متموج بحيث أنه اذا وجد شعر مفلفل أو صوفى فهذا من باب الاستثناء . والشبه واضح من ناحية أخرى بين جماجم (مجموعة ج) وجماجم عصر ما قبل التاريخ في مصر * وقد أسلفنا أنه من المرجح أن يكون قد حدث مزج في ذلك العصر ما بين العناصر الليبية والعناصر التى أقامت في الوادى مما

تتج عنه الجنس المصرى المعروف فى العصر التاريخى . ويستدل أيضا على أصلهم الليبى من بعض الشواهد الأثرية مثل طريقة الدفن التى يتميز بها الليبىون . اذ توضع الجثة على جانبها الأيمن وتتجه الرأس الى الشرق والركبتان لا تقتربان من الذقن بل يلاحظ أن الأفخاذ تتعامد مع السلسلة الفقرية وأن الأرجل تنثنى عند الركبتين حتى أن الكعبين يلمسان الردفين + والقبر مستدير أو بيضاوى ذى قطر متسع + وهذا النوع من المقابر المستديرة التى كانت تختص به هذه الجماعة الليبية فى النوبة فى فترة مبكرة على الأقل من تاريخها ، منتشرة فى شمال افريقيا ويعرف فى الصحراء باسم الرجم . من ذلك المقبرة المستديرة فى جزيرة المراكب فى خليج بومبا ببرقة . والمقبرة المستديرة الكاملة فى القبة + وفى رأى بيتس أنه لا يمكن انكار أوجه الشبه الواضحة بين مقابر مجموعة ج فى النوبة ومقبرة جزيرة المراكب بالرغم من أن هذه متأخرة تاريخيا عن مقابر النوبة . ويرجع تاريخها الى فترة سابقة على العصر الاسلامى . ولكن هذا المكان من برقة كان منعزلا حتى فى العصر البزنطى عن أى أثر أجنبى ولا يشك بيتس فى أن مقبرة جزيرة المراكب مقبرة ليبية أو بربرية كما يقول ولذلك فانها تعكس المؤثرات القديمة . ويدعم هذا المؤرخ رأيه بأن مجموعة ج من الليبيين بأن احدى الصور المحفورة فى مقابرهم تصور رجلا يلبس الأشرطة المتقاطعة على الصدر وهى ، كما أسلفنا ، ظاهرة تميزت بها ملابس الليبيين فى الآثار المصرية . وتظهر أيضا صورة اثنين من رماة الأسهم . والقوس سلاح ليبى قديم لم يكن أهل النوبة ليعرفوا شيئا عنه حتى فى العصور المتأخرة + ويمكن أن نلاحظ فى الصور أيضا الريشة وقرباب العورة وأن الشعر مرجل على هيئة جدائل . وكل هذه سمات ليبية واضحة . ومما يؤكد التفرقة الجنسية بين مجموعة ج وأهل النوبة أن أصحاب هذه المجموعة لا تشترك مع القوم الآخرين فى تحريم أكل السمك اذ عثر فى مقابرهم على خطافات لصيد السمك مصنوعة من النحاس . وقد شاعت بين مجموعة ج بعض العادات الدينية عند الليبيين مثل تقديس الموتى ، وتقديس البقر ، وقد انتشرت هذه الى غرب الدلتا . وقام بيتس بدراسة المخلفات المادية لحضارة

مجموعة ج فوجد أنها تتفق مع مخلفات الليبيين . وانتهى الى القول بأنه اذا كان الليبيون الشرقيون قد سلكوا الطريق الطبيعي المتجه جنوبا من واحة الخارجة الى جوار مدينة الدر واستقروا في الوادى هناك فان حضارتهم المادية لا يمكن أن تكون قد اختلفت عن حضارة مجموعة ج بأى حال .

وقد خلص بيتس من دراسة مقابر مجموعة ج في أواسط بلاد النوبة الى نتائج من أهمها أن مقابر مجموعة ج الكثيرة موجودة على الضفة الغربية للنيل في منطقة ترتبط جغرافيا بالواحات المصرية . والليبيون وحدهم كانوا سكان الواحات . وقد أصبح الليبيون المتمصرون فيما بعد عند الجغرافى (استرابون) هم العنصر السائد بين سكانها . ويؤكد استرابون وجود موطنهم هذا الجنوبي على ضفاف النيل وفي هذا تدعيم لما ذكر (حرخوف) الرحالة المصرى ولو بصفة غير مباشرة .

ويضاف الى ذلك أن الليبيين التحنو كانوا يقيمون جنوبى الدر . ولذلك فان بيتس يميل الى الاعتقاد بأن مجموعة ج تنتمى في الواقع الى الليبيين التمحو وأنهم استقروا في منطقة على النهر تقع بين الشلالين الأول والثانى بعد أن فشلوا في الاستقرار في عدة مواطن شمال هذا الموقع ، وأنه في مكان ما في جوار الدر كانت تقع منطقة سميت خطأ مقاطعة (تحنوت) Tehenut (Tyhnwt) وذلك في نقش من عهد الملك رمسيس الرابع^{٧١} .

وقد كشفت بعد ذلك في عام ١٩٢٣ مجموعة من قطع الفخار في وادى (هوى) . وهذا الوادى يقع على مسافة أربعمئة كيلومتر في الجنوب الغربى من الشلال الثالث . ووجد أن هذه القطع من الفخار تشبه فخار مجموعة ج فضلا عن أنه عثر أيضا على قبر يشبه مقابر شمال أفريقيا . وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقول بوجود صلة وثيقة بين التمحو ومجموعة ج وسكان وادى هوى ، وأن أفراد مجموعة ج أتوا من الغرب من كردفان واستوطنوا منطقة تقع حول الشلال الثانى وذلك للتشابه الواضح بين صناعة الفخار في منطقة مجموعة ج ومنطقة كردفان سيما وأن الأساطير تسود بين سكان شمال السودان عن نزوحهم من الشمال وانتشارهم حتى غربى بحيرة تشاد

حيث نجد هنا وهناك أفرادا شقر الشعر حمر العيون وأن وادى هوى كان الطريق الذى سلكته هجرة الليبيين من التمشو ، وأنه بالنسبة للفضار نفسه وصناعاته وزخرفته فانه لابد أن يكون قد جلبه قوم من أوربا أو من اقليم البحر الأبيض . ومعنى ذلك أن التمشو كانوا يقيمون فى ليبيا فى منطقة تقع الى الغرب من منطقة التمشو وأنهم انتشروا على طول الضفة الغربية للنيل واختارت طائفة منهم الاستقرار بين الشلالين الأول والثانى ٧٢ .

ويرجح أن التمشو بدأوا تحركاتهم تجاه مصر منتهزين فرصة الضعف الذى حل بها فى عهد الاقطاع الأول . وبعد سقوط الأسرة السادسة حوالى عام ٢٢٨٠ ق.م. أخذوا فى مهاجمة أراضيها ، وان كانت المصادر المصرية قد سكنت عنها . وربما كان ذلك راجعا لضعف هذه الهجمات أو عدم خطورتها أو أن ذكرها قد ضاع فى زحمة الأحداث . على أى حال فقد ترك المصرى القديم فى نقوشه ما ينم عن مبلغ احساسه بخطر التمشو اذ جاء فى بردية تعرف باسم (بردية ايبو ور) التى كتبت على لسان شخص حكيم أنه يعتب على أحد الملوك تركه البلاد تتردى وتتعرض لأخطار كثيرة من بينها هجمات الليبيين من الغرب ٧٣ .

وليس هناك من شك فى أن فراغة الدولة الوسطى (٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م) قد خاضوا غمار الحرب ضد الليبيين . من ذلك أننا نرى الملك (منتوحتب الثانى) (٢٠٧٩ - ٢٠٦١ ق.م .) يسجل هزيمته لأمير لى اسمه (خر - وواش) ٧٤ . وينوه هذا الملك بخضوع الليبيين له ٧٥ . ويبدو أن الملك (امنمحات الأول) (١٩٩١ - ١٩٦١ ق.م .) كان يواجه خطر الليبيين المتجدد اذ أنه أقام على حدود الدلتا الغربية سلسلة من الحصون بقايا واحد منها لا تزال قائمة فى وادى النطرون ٧٦ . وقد وصلتنا بردية تعرف باسم بردية (نقر روهو) ، ويرجح أن كاتبها كان داعية سياسيا للملك أمنمحات الأول . وقد تحدث عن وقائع حدثت فى عهد الملك (سنفرو) مؤسس الأسرة الرابعة فطلب هذا الملك من رئيس الكهنة وهو (نفرووهو) أن يحدثه عن شىء سيحدث فى المستقبل فقص عليه أن البلاد ستقع فى براثن الفوضى والفتن وأن

الذى سيخلصها من هذه الحالة السيئة انما هو ملك يدعى أمينى (وأمينى اختصار لاسم امنمحات) وعندئذ سينقذ البلاد من الليبيين^{٧٧} . والثابت أن هذا الملك أرسل ابنه وشريكه فى الملك (سنوسرت) فى حملة فى أرض التمحو . وقد ذكر أحد قواده (سنوهى) أن سنوسرت عاد من هذه الأرض بعد أن استولى على أسرى من التحنو وكل أنواع الماشية التى يخطئها الحصر^{٧٨} . ويتفق هذا النص مع ما ذكره المؤرخ ديودورس الصقلى من أن سنوسرت قد أخضع الجزء الأكبر من ليبيا^{٧٩} . ولم يتوقف سنوسرت عن الحرب ضد الليبيين اذ ذكر فى نص آخر أنه أرسل حملة الى الواحات^{٨٠} . وبعد ذلك لا تعود نسمع عن أى اشارة لغارات قام بها التمحو أو عن حملات وجهت ضدهم وذلك حتى نهاية عصر الأسرة الثانية عشرة وان كان الملك سنوسرت الثالث (١٨٨٧ - ١٨٥٠ ق.م.) قد صور نفسه وهو يهزم أحد الليبيين^{٨١} .

وقد سبق أن ذكرنا أن (ونى) قائد الجيش فى عهد الملك ييبى الأول قد ذكر أن جيشه كان يضم فرقة مرتزقة من التمحو^{٨٢} . وقد يفسر ذلك بأن التمحو عرفوا طريقهم الى الاستقرار فى مصر بعيدا عن جو المناوشات والاعارات منذ وقت مبكر . ونضيف الى ذلك أن حاكم القوصية فى عهد أمنمحات الأول وكان اسمه (سبنى) قد صور وهو فى طريقه الى الصيد وخلفه تابعه يحمل أسلحته وكلاهما كان يلبس قراب العورة . ويلاحظ أيضا أن سبنى كان يلبس على صدره شريطين متقاطعين وأن تابعه يتحلى بريشة مثبتة فى رأسه . فاذا سلمنا بأن هذا الحاكم من أصل ليبيا فانه من المرجح أن تكون أسرته قد دخلت مصر فى العهد الاقطاعى الأول^{٨٣} .

ولا تصلنا معلومات ذات قيمة عن الليبيين خلال فترة العهد الاقطاعى الثانى . ولم يرد أى ذكر لهم فى الوثائق القليلة التى وصلتنا عن هذه الفترة ولكن ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢٠ ق.م.) بدأنا نسمع عن التمحو . من ذلك مثلا أن الملك أحمس الأول (١٥٨٠ - ١٥٥٨ ق.م.) قد أطلق على

أحدى بناته اسم «أحموسى حنة تمحو» أى أحموسى «سيدة التمحو»^{٨٤} وهذا اشعار بهدوء الحالة فى الواحات وحدود مصر الغربية.

وفى عهد الملك أمنحتب الأول (١٥٥٧ - ١٥٣٠ ق.م.) بدأت أخبار الصدام مع التمحو تتردد فى النصوص المصرية . ويبدو أن التمحو كانوا قد استقروا على حدود مصر الغربية وأخذوا يباشرون نشاطا عدوانيا ضدها^{٨٥} وقد كتب أحمس يتيخبت ، وهو أحد ضباط الملك أمنحتب الأول أنه قد أسر للملك «ثلاثة أيدي للايموكهك فى الشمال» وربما كانت حقول كهك واقعة فى الشمال الغربى من مصر أو فى منطقة بحيرة مريوط وواحة آمون . وربما تكون قبائل الكهك هذه قد هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا فحمل عليها هذا الفرعون حملة صادقة ، وخلد ذكرى انتصاره عليها بصنع لوحة صغيرة من الخشب تصوره ملوحا بسيفه وقد جثم العدو عند قدميه^{٨٦} . وعلى عهد تحتمس الأول (١٥٣٠ - ١٥٢٠) تجددت الغارات الليبية ولم يتهاون الملك فى صدها وقد ذكر الملك أنه قد هزم قبيلة (اكبت)^{٨٧} .

ويبدو أن التمحو وغيرهم من الليبيين قد أخلدوا الى السكينة بعد أن استشعروا قوة الفرعون اذ جاء فى النصوص المصرية أن الليبيين كانوا يقدمون الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها الملك تحتمس الثالث . وكانت فى الواقع جزية ضخمة مكونة من كميات من العاج وسبعمائة سن فيل وقطع كبيرة من جلد النمر^{٨٨} . وفى معبد الدير البحرى نشاهد منظرا من عهد الملكة حتشبسوت يمثل تسليم كميات من الذهب الى خزائن الاله آمون . وكان الذهب يكيل أمام كاتب خزانة الاله وذلك فى حضور ممثلى الدول التى كانت تخضع لمصر أو تصادقها ، ويظهر فى المنظر ممثل لليبيا^{٨٩} . وفى نقوش عثر عليها فى وادى حلفا ويرجع تاريخها الى السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك تحتمس الثالث ، ورد ذكر الجزية التى كانت من بلاد تحنو^{٩٠} . ويفهم من نصوص أخرى أنه لم يحدث فى عهد الملك ما يمكن أن يشتم منه حدوث اغارات ليبية على حدود مصر الغربية^{٩١} . ولكن اثر الأحداث التى ارتبطت بشورة (أخاتون) (١٣٧٠ - ١٣٥٢ ق.م.) الدينية انصرف اهتمام فرعون عن

الأمور العسكرية مما شجع ، فيما يبدو ، الليبيين على معاودة الهجوم على مصر ، فكان على حور محب أن يؤكد قوة مصر على حدودها الغربية^{٩٢} .

وقد صور الملك سيتى الأول (١٣١٨ - ١٢٩٨) من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ - ١٢٠٠) على مقبرته أجناس العالم الأربعة المعروفة عند المصريين ، ومن بين هذه الشعوب ، شعب التمحو ويتبين من الرسم أنهم من ذوى البشرة البيضاء والعيون الزرقاء أو السوداء والشعر الأشقر وأن الشعر قد زين بجداول صغيرة مرسل بعضها على الجبهة والبعض الآخر أسدل على القفاه بريشتين ويرخى لحيته ويطلق شاربه وتبين الصورة كذلك شكل ملابسهم فهي تتألف من عباءة فضفاضة من الجلد وتغطي الكتف اليمنى وجزءا من أعلى الذراع ، وفى الجانب الآخر وهو الجانب الأيسر عقدة عريضة والذراع كلها عارية . وقد زخرفت رقعة العباءة بألوان مختلفة وثبت فى ذيلها شريط مخطط عريض . ويظهر تحت العباءة قراب العورة . والأذرع والسيقان محلاة بالوشم بصور معينة الشكل أو صلبان مستطيلة وكثيرا ما نشاهد فى هذا الوشم صورة العلامة الدالة على الرتبة نيت^{٩٣} .

وفى عهد الملك سيتى الأول (١٣١٨ - ١٢٩٨ ق.م.) شن الليبيون حوالى عام ١٣١٧ ق.م. هجمة خطيرة تميزت بالجرأة . وقد اضطر الملك أن يقطع حملته فى آسيا ليعود لصد هذه الهجمة ، وربما يكون قد أقام فى العام الثانى من حكمه فى الدلتا ليكون على مقربة من المعركة . وقد صورت أخبار الحرب الليبية على جدران معبد الكرنك . ويرجح أنه أرسل فى أول الأمر حملة لاستطلاع طبيعة ما يجرى على الحدود . وقد اتضحت صفات العنصر المهاجم بكل دقة من صور القتال والحرب التى سجلت على جدران معبد الكرنك ، وبالرغم من أن الليبيين الذين هاجموا مصر فى هذه المرة يختلفون عن الليبيين الذين اعتادوا المصريين مواجهتهم إلا أن هؤلاء أطلقوا عليهم اسم التخنو الذى اعتادوا استعماله من قبل . وفى رأى البعض أن العنصر المهاجم لم يكن من الليبيين التخنو أو التمحو بل كان عنصرا هندوأوريبا نزل بسواحل ليبيا^{٩٤} .

ويرى البعض الآخر أن المغيرين كانوا من المشوش وان كان اسمهم لم يذكر صراحة وذلك استنادا الى شكل ملابسهم^{٩٥} . وعلى أى حال لم يجد الملك صعوبة تذكر فى صد هذا الهجوم^{٩٦} .

وازاء هذا الخطر الجديد أقام رمسيس الثانى سلسلة من الحصون فى الصحراء الغربية تمتد لمسافة ٣٤١ كم من راقودة الى زاوية الرخم وتقع على مسافة ١٩٩ كم شرق السلوم . ويرجح أن زاوية الرخم هى أيسس ، خاصة وأن سكيلاكس Scylax (٣٥٠ ق.م.) قال بأن سيادة حكومة مصر امتدت حتى أيسس . فتكون أيسس بذلك هى الموقع الذى يحدد القسم الشمالى من الحدود الغربية لاقليم تخنو . وأهم هذه الحصون ما كان مقاما فى راقودة وماريا (جنوب بحيرة مريوط) . والغربانيات والعلمين^{٩٧} .

وقد جاء فى لوحة لرمسيس الثانى ، وهى موجودة الآن فى برج العرب (غربى الاسكندرية) ، أنه قد غزا بلاد الليبو وهذا هو أول ذكر لهؤلاء القوم فى نصوص الصحراء الغربية^{٩٨} ، ويبدو أن هذا الملك لم يكتف بذلك بل أنه أقام خط مراقبة فى مارمريكا . وكل هذه الأعمال توحى بأن الأحوال فى ليبيا لم تكن عادية بل هناك شعور بخطر ملح رأى الفرعون من واجبه ضرورة الاستعداد لمواجهة . وقد سجل الملك على نقشين أحدهما فى معبد (بيت الوالى) والآخر فى معبد (بو سمبل) ، انتصاره على التمحو^{٩٩} . وان كان بعض المؤرخين يشكك فى حدوث معارك أصلا بين هذا الملك والتمحو لأن صورة انتصاره عليهم فى معبد (بو سمبل) هى صورة طبق الأصل من المنظر الذى تركه أبوه (سيتى الأول) على جدران معبد كرنك^{١٠٠} . ولكن هذا لا يمنع من القول باحساسه بخطر ما يجرى فى ليبيا من أحداث قد تهدد أمن مملكته . ولم يكن فى استطاعته تجاهل ما يجرى فى البحر الأبيض ذلك أنه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ق.م. (١٢٣٢ - ١١٩٠ ق.م.) وفى الأعوام الأخيرة من حكمه حدثت فى منطقة البحر الأسود وبلاد اليونان تحركات هائلة للشعوب بدت آثارها فى تلك الهجرات الضخمة التى تدفقت على آسيا الصغرى وفى جزر بحر ايجه وفى ليبيا ويبدو أن الملك احتك فعلا

ببعض أقوام البحر الأبيض الذين أقدموا على غزو بلاده من ناحية ليبيا ومعهم قبائل التحنو اذ أنه سجل انتصاره في لوحة (تانيس) على الليبيين التحنو وحلفائهم من الشردان ويتضمن النص الاشارة الى سفن الشردان مما يوحى بأنه خاض معهم معركة بحرية الى جانب المعركة البرية . وقد جاء في أحد المصادر من عصره وهى (ورقة أنسطاسى) الأولى أن جيشه كان يتألف من خمسة آلاف مقاتل من بينهم مائة من المشوش و ١٦٠٠ من جنود كهك . وقد يعد هذا في رأى بعض المؤرخين من باب ابعاد الخطر بالاستعانة بأولئك الذين كانوا السبب في وقوعه .

وكانت أخطر غزوة تعرضت لها مصر قد حدثت في العام الخامس من حكم الملك (مرنبتاح) في عام ١٢٢٧ . وكان هذا الملك شيخا يناهز الثالثة والستين من عمره . وقد سجلت أخبار هذه الغزوة أربعة مصادر أصلية وهى : نقوش الكرنك الكبيرة ، وعمود القاهرة ، ولوحة أثريب ، وأنشودة النصر . ويقدم المصدر الأول ، وهو نقوش الكرنك وصفا كاملا لاتنصا رالملك على الليبيين + وتستوقفنا عبارات معينة من هذا النص ، تصف حالة مصر قبل تولية (مرنبتاح) ، « جزء من أرض مصر لم يعتن به ، وقد ترك ليكون مرعى للماشية بسبب أقوام « الأقوام التسعة » (ويقصد بها الليبيون) ، وقد تركت خرابا منذ زمن الأجداد ، وكل ملوك الوجه القبلى يسكنون في أهرامهم . . . وملوك الوجه البحرى ظلوا في وسط مدنهم محصورين في القصر الحكومى لقلة الجنود . . . » وقد ورد في النص أيضا : « أن رئيس الليبو (مرى بن دد) قد انقض على اقليم تحنو برماته + + + (ومعه) شردانا ، وشكلش ، وأقاياش ولوكا ، وتورشأ آخذا كل محارب حسن ، وكل رجال قتال في بلاده ، وقد أحضر زوجه وأولاده . . . وقد وصل الى الحدود الغربية في حقول (بر - ار) . ويفهم من هذا النص أن رئيس الليبو قد اجتاحت اقليم تحنو المتاخم لمصر وأنه قد تحالف مع القبائل الهندوأوربية من شعوب البحر التى نزلت بساحل ليبيا ، وأنه قد سحب النساء والأطفال ليقيم مع شعبه في الدلتا ، وأنه قد بلغ في زحفه موقعا يقال له (بر - ار) ولعله كان

واقعا على حافة وادى النظرون الى الشال الغربى قليلا من منف . وقد جمع الملك رجال بلاطه . . . وكان جلالته « ثائرا كالأسد » وخطب فيهم قائلا : « . . انكم تنزعجون كالطيور . . هل ستخرب البلاد . . وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا الى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم . . » وكان عدد الغزاة يتراوح بين ٢٠ ألف رجل و ٢٥ ألف رجل . وحق للملك أن ينزعج ، وهم قريبون الى هذا الحد من منف . فأخذ يضرع الى الاله بتاح . وتراءى له هذا الاله فى منامه وهو يعده بالنصر . . . وتقدم الملك لملاقاة الليبو وحلفائهم واشتبك معهم فى معركة دامت ست ساعات . . ويبدو واضحا من عبارات النص أنها كانت مجزرة بشرية اذ كان القتال بالغ الشدة والعنف . وقد بلغ عدد القتلى (٦٢٠٠) من الليبو و (٢٣٧٠) من رجال جزر البحر وعدد الأسرى (٩٣٦٧) . ووقع فى الأسر نساء الرئيس الليبى وعددهن اثنتا عشرة سيدة وكذلك أولاده . وقد غنم الملك كما جاء فى النص — ممتلكات (مربى) وفضته وزهبه وأوانيهِ البرونزية وأثاث زوجته وعرشه وأقواسه وسهامه ، وكل ممتلكاته التى أحضرها معه من بلاده مشتملة على ثيران وماعز وحمير . . . وورد فى النص أيضا أن الملك أسر جماعة من الكهك ، وأنه قد استولى على (٩١١١) سيفاً من النحاس كانت تخص المشوش . وقد جاء فى أنشودة النصر « بلاد التمحو كسرت فى مدة حياته ، وأن الملك قد أدخل الرعب فى قلب مشوش ، وأنه هو الذى جعل الليبو الذين وطأوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم . . . » أما مربى نفسه فقد فر تحت جناح الظلام عائدا الى بلاده مع فلول جيشه . وجد فرسان الملك فى متابعتهم . وقد أرسل قائد حصن الغرب تقريرا الى بلاط الفرعون يذكر فيه أن مربى قد مر بسلام . ولكنه ، كما جاء فى نقوش الكرنك وقع عدوا لجنده وأنه قد نصب أحد أخوته مكانه فى زعامة قومه . وجاء فى أنشودة النصر « رئيس الليبو الذى هرب تحت ستار الليل وحيدا والريشة ليست على رأسه » وذكر فى لوحة اسرائيل أن (مربى) الأمير المعادى الذى يرثى لحاله الليبو ، قد هرب تحت جناح الظلام وحيدا بدون ريشة على رأسه . . . وأنه عندما وصل الى وطنه شكاً ، وكل انسان

في بلاده كرهه مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته » . وجاء في أنشودة النصر التي كتبت بعد هزيمة مريي « . . . وقد أشرق السرور العظيم على مصر ، وانبعث الفرح من بلدان مصر ، وتحدث الناس عن الانتصارات التي أحرزها مرتبناح على التحنو . . آه وانه لحسن أن يجلس الانسان يتحدث والناس تغدو وتروح ثانية دون وجود أى عائق على الطريق ، وليس هناك أى خوف من قلوبهم . . . وقد تركت المعازل وشأنها وأصبحت الآبار مفتوحة ، ومسالكها سهلة ، ومعازل الأسوار أصبحت هادئة ، ولا يوقظ حراسها الا الشمس . . . وليس هناك نداء بليل : « قف . . قف ، بلغة الأجانب » ١٢ .

وواضح من النصوص التي أوردنا بعضها أن الهجوم الذي شنه مريي بن دد أمير الليبو على أرض مصر كان بالغ الخطورة التي زاد منها تحالفه مع المشوش والكهك وشعوب البحر . وهذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها اسم الليبو ، وقد نص على أن الغرض من هجومهم على مصر انما هو الاستقرار بها . ويتضح من أنشودة النصر مدى ما أحس به المصريون من ابتهاج لزوال هذا الخطر الذي بلغ مدينة منف وأوشك أن يحدق بها . ولهذه النصوص أيضا أهميتها بالنسبة لشعب الليبو ، ذلك أن هذا الشعب عزل أميره لعجزه على تحقيق النصر لقومه ، ونستطيع أن نتبين أيضا من هذه النصوص مدى أهمية الريشة بالنسبة للرجل من الليبو بصفة عامة وللأمير بصفة خاصة . وقد فقد مريي مكائنه عند قومه عندما سقطت الريشة من على رأسه ، أو على الأقل صورت مهاتته على هذا النحو . وقد بلغ من اهتمام الليبو بها أنها أصبحت العلامة الدالة على الغرب في اللغة المصرية القديمة .

وثمة ملاحظة هامة نتبينها من قوائم الغنائم والأسرى . . « أولاد رئيس الليبو الذين قطعت أعضاء تناسلهم غير المختونة وأحضرت ، ستة رجال . . . وأولاد الرؤساء ، واخوة رئيس الليبو الذين قتلوا ، والذين احضرت أعضاء تناسلهم غير المختونة : ٦٣٥٩ . . . » في حين أنه كانت تحضر أيدي القتلى المختنين وقد جرت عادة المصريين بقطع عضو تناسل الرجل الذي لم يختن

إذا قتل في المعركة . وكان عدد القتلى يعرف بإحصاء عدد هذه الأعضاء لأن عدم الختان كان عندهم قرين عدم الطهارة . في حين أن عدد القتلى المختننين يعرف بإحصاء أيديهم التي قطعت . وكان الليبيو هم الشعب الوحيد من الشعوب الليبية التي لم تكن لتمارس عادة الختان^{١٣} .

وكان من الممكن أن يكون ما فعله مرتبناح في صد غزوة الليبيو رادعا لهم ولغيرهم من شعوب ليبيا لولا تدهور الأوضاع الداخلية في مصر بعد وفاة هذا الملك ، وضعف الروح العسكرية +

وقد شجع كل ذلك الليبيين على تنظيم صفوفهم ، وصادف ذلك اشتداد خطر شعوب البحر ، وأصبحت مصر معرضة للهجوم من أكثر من ناحية + ويهمننا أمر الخطر الجديد الذي اقترن بقيام الأسرة العشرين . وقد كتب (رمسيس الثالث) (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م.) ثانيا ملوك هذه الأسرة في بردية هاريس ، أنه قد نظم مصر طوائف كانت تشمل فيما شملت «جنود كهك الذين لا يحصون»^{١٤} وقال بعد ذلك « نأمل فاني سأخبرك عن أشياء أخرى حدثت في مصر في زمن حكى . فقد كان الليبيو والمشوش يسكنون مصر ، ونهبوا مدن الشاطئ الأيمن من منف حتى «كرين» (كارابانا) + (وهى بالقرب من أبو قير) ++ وقد وصلوا حتى النهر العظيم على شاطئيه ، وهم الذين نهبوا مدن «جوتوت» (كانوب) خلال سنين عديدة في أثناء إقامتهم بمصر . . . تأمل ، لقد أهلكتهم . . وأخضعت « المشوش » و « الليبيو » و « الاسبت » و « الكيكش » و « الشاي » و « والهس » و « البكن » . ومعنى ذلك أن خطر الليبيين قد تجدد ، وأن العناصر المهاجمة كثر عددها . وقد سجل الملك على جدران معبد الكبير في « طيبة » الغربية ، وهو المعروف بمعبد مدينة هابو تفاصيل الحرب التي تعرف باسم الحرب الليبية الأولى والتي وقعت في العام الخامس من حكمه (١١٩٤ ق.م.) . وقد كتب الملك : « لقد أتى أهل بلاد « التمحو » مجتمعين معا في مكان واحد ، ويشملون « الليبيو » و « السبد » و « المشوش » . . غير أن خططهم حطمت . . وقد طلبوا رئيسا بأفواههم ، غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم ++ وأنه الإله الواحد الممتاز هو

الذى عرف خطة صائبة . . ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبون بقلوبهم من الملك العظيم أن ينصب رؤساء لهم . . وكان جلالتة قد ربى ولدا صغيرا من أرض « تمحو » وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه عليهم رئيسا لينظم الأرض . وهذا ما لم يسمع به من قبل منذ أن بدأ الملوك » . ويفهم من هذا النص أن الملك رمسيس الثالث أراد أن يفرض على الليبيين ملكا من جنسهم رباه في مصر ، وأن الليبيين لم يرفضوا ملكا لن يكون الا حاكما مصرية . ومن المحتمل أن هذا التدخل من جانب رمسيس الثالث في شئونهم كان سبب غضبة هذه الشعوب الليبية وثورتها . وقد نفذ الليبيون المتحالفون الى مصر وتجمعوا في مكان لعله كان قريبا من فرع كانوب . وكانت خطتهم تهدف الى مهاجمة منف ولكن رمسيس باغتهم بالهجوم وقد تحقق له النصر ، بعد أن ذبح الكثيرين منهم . وأما من أسر منهم فقد وزعوا فيما بعد على الحصون المصرية . وفي أحد مناظر المعبد الكبير نرى كومة من الأيدي وقد كتب فوقها الأعداد (١٢٦٦٠) و (١٢٥٣٥) و (١٢٥٣٢) وكومة لأعضاء التناسل وقد كتب فوقها (١٢٥٣٥) و (١٢٦٨٠) . وهذه الأرقام يجب أن تقبل بتحفظ نظرا لتهم النص^{١٥} .

ويبدو من مراجعة النصوص الخاصة بالحرب الليبية الأولى هذه أن العنصر الغالب عليها هو عنصر الليبو ، وأن قوادهم الذين هلكوا في تلك الحرب هم « دد » و « مشكن » و « مريى » و « ورمر » و « ثمر » . وقد يكون اسم « مريى » واسم « دد » قد وضعا بين أسماء أمراء الليبو وقادتهم وأنهما نقلا من نصوص مرتبطات أو تكون أسماء تتكرر لأفراد من نفس هذه الأسرة المتزعمة للريبو . ويتبين كذلك أن هدفهم كان الاستيطان بمصر . ويبدو أنهم نجحوا في احتلال المناطق الغربية من الدلتا والممتدة من اقليم الشاطئ الغربى للنيل عند منف ، حتى كارابانا ، وهى فى منطقة أبو قير على الأرجح ، أو أنهم على الأقل كانوا يشنون الاغارات على هذه المناطق^{١٦} . ولم يرد فى النصوص ما ذهب اليه بيتس عن تحالف الليبيين مع شعوب البحر من «الشيكل» «والبيليسيت»^{١٧} . والثابت أن هذه الشعوب أغارت على

مصر فى العام الثامن من حكم الملك رمسيس الثالث فى عام ١١٩١ ق.م. وقبل الحرب الليبية الثانية التى نشبت فى العام الحادى عشر من حكمه حوالى عام ١٨٨ ق.م. والتى ورد ذكرها فى المتن المؤرخ بالسنة الحادية عشرة ، والنقوش على الجدار الشرقى دخل الردهة الثانية لمعبد مدينة (هابو) الكبير ، وقد جاء فيها : « . . . وقد كان رئيس المشوش آتيا من قبل أن يرى ، مهاجرا ، ومعه أهله + وانقضوا على التحنو الذين أصبحوا رمادا فقد خربت مدنهم وأفقرت ، ولم يعد لبذرتهم وجود + + + وقد قال المشوش بصوت مسموع «سنستوطن مصر» واستمروا فى اختراق حدود البلاد وهناك حاصرهم الموت + + وقد سار جلالته وقلبه يعتمد على سيد الآلهه لملاقاتهم + + ورئيسهم « مششر » بن « كبر » ويمضى النص فيصف الهزيمة التى حاقت بالمشوش والتمحو « . . ب وقد أصبح المشوش والتمحو فى حزن ويأس » ، وأنجى المشوش باللوم على الليبو الذين «تسيبوا فى ارباكنا وارباك أنفسهم لأننا أصغينا الى نصائحهم» . ويسجل النص ما قاله المشوش عن نتائج هذه الحرب « . . وقد أبيت أرض مشوش دفعة واحدة . أما الليبو والسبد فقد أهلكوا ، حتى أنه لم يعد لبذرتهم أى وجود . وفى قصيدة عن هذه الحرب نقرأ « . . وقد أتى « كبر » والد « مششر » يرجو الصلح . . وصاح حتى بلغ صياحه عنان السماء متضرعا من أجل ابنه ، وسبق الى حيث ذبح ، وأسر رجال جيشه ، الذين كانت قلوبهم تعتمد عليه لحمايتهم + » وعلى احدى اللوحات صور الملك فى عربته وهو يطارد المشوش « الذين أتوا الى مصر مبتدئين من بلدة «رمسيس الثالث» التى على جبل «وب تا» (فوق الأرض) الى بلدة (حوت شعت) وهى (قرية الرمل) ، ويحدد موقع هاتين البلدين فى الشمال الغربى من الدلتا + وسجل الملك على لوحة أخرى صورة العنائم والأسرى ويتبين منها ان عدد الأيدى المقطوعة كان (٢١٧٥) ، وأن قائمة أسرى المشوش قد شملت رئيسهم وبعض رؤسائهم وبعض أفراد منهم ، وعددا من الشبان والأولاد . ومجموع هؤلاء جميعا هو (١٤٩٤) ، وتضاف اليهم بعض النساء والفتيات ويصبح المجموع (٢٠٥٢) + وقد استولى

المصريون على أسلحة المشوش ، ومن بينها (١١٦) سيفاً ، طول الواحد منها أربعة أذرع ، و (١٢٣) سيفاً طول الواحد منها ثلاثة أذرع ، و (٦٠٣) من الأقواس ، و (٩٢) عربة و (٢٣١٠) جعبة من جعب السهام ، و (٩٢) من عمد العربات ، و (١٨٤) زوجاً من خيول العربات والحمير . وفوق الصف الأسفل من المنظر ، ذكر أن أعضاء التناسل للرجال بلغ (٢١٧٥) ، وأن عدد الماشية التي غنمها من المشوش بلغ (١٣٠٩) من الثيران والبقر ، و (٢٨٣٣٨) من الحمير والماعز والغنم والخيول .»^{١٠٨} .

كان مرتباً قد أشار الى المشوش عندما ذكر أنه قد استولى على سيوفهم المصنوعة من النحاس ، ولم يكن عددهم كبيراً . أما الآن فقد أصبحوا يزحفون على مصر بأعداد ضخمة ، بغية الاستيطان بها كما صرحوا بذلك هم أنفسهم ، على الأقل ، فيما يقول النص ، وكما تتبين من ضخامة عدد القتلى والأسرى ، وعدد الماشية ولم يوضح دور « كبر » في هذه الهجرة الجديدة . ولكن يبدو أنه كان الرأس المدبر ، وأنه جمع قبائل الليبيين ، وإن كان لم يذكر في النصوص غير الليبو والسبد ، وأنه أنفذ ابنه على رأس المشوش في تحركهم هذا الشامل نحو مصر^{١٠٩} . ويبدو أن المشوش ، أتوا من مكان بعيد من منطقة تقع الى الغرب من مناطق الليبو ، وهؤلاء كانوا على الأرجح يقيمون في منطقة برقة ، ويبدو أنهم اجتاحتوا في طريقهم قبائل الليبو ، أو أن الليبو دفعوا عنهم شرهم ، بأن وجهوا هجومهم نحو مصر ، وهذا يفسر لوم المشوش لليبو على نصيحتهم التي أوردتهم موارد التهلكة . ومن ناحية أخرى يبدو أن التحنو ، وهم الذين قنعوا بأن يظلوا مقيمين في أمن وطمأنينة ، وعلى علاقات طيبة مع المصريين ، ولذلك لم يوافقوا على الانضمام الى المشوش ، فكان جزاؤهم الهلاك على أيديهم . ومن ناحية ثانية . يبدو أن المشوش لم يكونوا غير متحضرين ، بل يستدل من وصف أسلحتهم من سيوف وعجلات حربية . أنهم كانوا مسلحين تسليحاً قوياً منظماً . وكان استعداد الفرعون لملاقاتهم يتناسب مع خطورة هجومهم وقوة سلاحهم^{١١٠} . ويلاحظ أن عدد القتلى ذكر مرة مقدراً بعدد الأيدي وهو (٢١٧٥) ، وهذا معناه أن

المشوش كانوا يختتنون . ولكن فى موضع آخر ، ذكر أن عدد أعضاء التناسل هو (٢١٧٥) ، أى نفس العدد . وهذا يفسر بأحد أمرين ، أما أن ذكر هذه الأعضاء تزيد فى النص ، وأما أنه حقيقة كانت هناك طائفة من الليبيين غير المختتنين ، ولعل هؤلاء كانوا من الليبو ، وهذا هو الأرجح . أما تكرار ذكر العدد نفسه فربما كان ذلك من باب السهو أو عدم الدقة فى إثبات الرقم . وعلى أى حال يبدو أن انتصار ميسيس الثالث على المشوش كان حاسما . إذ لم يرد فى النصوص أن مصر تعرضت بعد ذلك لغزوات ليبية .

وهكذا نرى أن المصريين منذ عهد الملك (مرنبتاح) قد بدأوا يتعرفون على عناصر ليبية جديدة غير عناصر التحنو والتمحو ، وهى عناصر الليبو أو الريبو وقد عرفنا يعضا من أوصاف التحنو والتمحو ، وبقي أن نعرف شيئا عن أوصاف الريبو والمشوش .

فى مناظر الحرب الليبية الأولى نستطيع أن نرى أن الرجال والنساء من الريبو زرق العيون ، وأنهم جميعا يلبسون عباءات فضفاضة تلف الجسم ، ويظهر منها أحد الكتفين عاريا ، وأنه كان يلبس تحت العباءة قميص يعلو الركبة ، وأن الرأس تحليها جديلة طويلة تنزل على الصدغ الى ما بعد الكتف ، وأن شعر الرأس مقسم الى خصل بعضها ينزل على الجبهة وبعضها ينسدل الى الخلف .

أما ملابس المشوش ، فانها تكاد تتشابه مع ملابس الريبو فيما عدا أن المشوش كانوا يلبسون بدلا من القميص ، قراب العورة . ومن ناحية أخرى تشبه ملابس المشوش ملابس التمحو التى عرفناها من رسوم الملك سبتى الأول^{١١١} .

بعد هذه الأحداث التى تعرض لها المشوش . كانت عناصر منهم قد تسللت الى مصر ، واستقرت أسر منهم فى الواحات البحرية على الأرجح . وكان من بين هذه الأسر أسرة (يويوواوا) . وقد مر بنا أن بعض العناصر الليبية قد عملت فى الجيش المصرى جندا مرتزقة ، ويرجح أن بعض هؤلاء وصلوا الى مناصب هامة فى البلاط الملكى ، والى مراكز القيادة فى الجيش . وليس من

المستبعد أن يكونوا قد ساعدوا بنى جنسهم من المشوش على الحضور الى مصر والاقامة بها في حاميات الحدود على الأقل . بل ان الجيش المصرى أصبح ابتداء من عصر الاسرة العشرين مؤلفا من الليبيين دون سواهم . وقد منحهم ملوك مصر هبات من الأرض كأجر لهم . وهكذا استطاعوا أن ينشئوا في البلاد جاليات عسكرية وكان يرأس كل حامية رئيس لىبى يحمل لقب الرئيس الكبير لما * «ما» هى اختصار لاسم مشوش * ويبدو أن طول مقام هؤلاء المشوش في مصر علمهم كيف يندمجون في المجتمع المصرى وأن يصطنعوا تقاليده وعاداته وذلك بالرغم من احتفاظهم بأسمائهم الليبية وبعادة وضع الريشتين في شعورهم . ولذلك أصبح لأسرة يويوواوا شأن يذكر في مقاطعة أهناسية * واستطاع موسن بن ويوواوا أن ينتظم في سلك كهنة الآلهة حرى شف . وشغل كذلك خلفاؤه منصب الكاهن لهذا الآلهة . وتجاوزت سلطتهم السلطة العادية للكاهن . وكان أحد أفراد هذه الاسرة وهو شاشانق قد نصب رئيسا على الجالية الحربية الليبية الى جانب احتفاظه باللقب الدينى . وحدث أن مات له ابن يسمى «نمرود» فدفنه في أييدوس * وحدث أن اعتدى على قبره فذهب الى الملك بتانيس رافعا شكواه * وجاء الملك بصحبة شاشنق الى طيبة ليستمعا معا الى حكم الآلهة آمون الذى حكم وجيه بادانة الحناة . وأرسل ترضية للمشاكى تماثالا على صورة ابنه ليوضع في معبد أوزيريس في أييدوس . وهذا الحادث يوضح مدى قوة شاشانق وأسرته وأنهم اعتنقوا ديانة المصريين حتى أن شاشانق خضع لقرارات وحى آمون كما فعل أى مصرى * وجمع شاشانق بين لقبه الدينى والعسكرى ليدلل على أنه جمع بين يديه السلطتين الدينية والمدنية في مصر الوسطى . واستطاع شاشانق بن نمرود بن شاشانق سلف الذكر أن يسيطر على الدلتا . وانتظر حتى توفى بسوسينس الثانى آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين فاستولى على الملك ولهم يظهر أى عدا للبيت المالك وزوج ابنه أسركون من ابنة بسوسينس ليؤكد أهليته لتولية العرش المصرى ، وذلك أنه لا يجرى في عروقه الدم الملكى . وبمساعدة العناصر الليبية كون الاسرة الثاية والعشرين ١١٢ . وتاريخ هذه

الاسرة من صميم التاريخ المصرى الفرعونى وكذلك تاريخ الاسرة الثالثة والعشرين وقد كانت هم الأخرى لبيبة الاصل . والذى يهمنها أو رؤساء الجاليات الليبية الأخرى أو رؤساء «ما» قد احتفظوا ببعض الاستقلال تجاه التاج وتقاسموا حكم الدلتا والجزء الشمالى من مصر الوسطى وكانوا جميعا يحملون الريشة علامة رئاستهم وزعامتهم • واستفحلت سلطتهم وعاشت البلاد نتيجة لذلك فى ارتباك وفوضى لم ينقذها منها غير قدوم بعنقى من النوبة ليقضى على هؤلاء الامراء ويقيم حكم الاسرة الخامسة والعشرين ١١٣ .

ونلخص ما أسلفنا فيما يخص الليبيين القدماء الذين عاصروا مصر الفرعونية فنقول انهم انقسموا الى أربع مجموعات جنسية كبيرة وهى :
التحنو والتمحو والريو وهؤلاء اشتق من أسمهم اسم ليبيا ، والمشوش ،
والى عدد من القبائل أحصاها ييتس على النحو التالى : ايمو كهك وكهك
وكيكش واسبت واكبت ، (وان كان فى رأيه أن الاكبت هم الاسبت ذلك
أنه حدث تحريف فى كتابة الاسم) ، وشاى وهس وبكن ١١٤ •

وبعد هذه الفترة من تاريخ الليبيين تكاد مصادرنا تصمت ، فلا تضيف الى معلوماتنا ما عساه أن يكشف عن علاقتهم بمصر ، وان كنا نرجح أن الكثيرين منهم استمروا فى المجيئ إليها ، وأن الأوضاع فى ليبيا نفسها قد تغيرت ، وخاصة بعد أن انكسرت حدة اغارات الليبيين على مصر . ولابد وأن نفترض أن القبائل والمجموعات الليبية أخذت تستقر فى مواطن ومواقع لها فى برقة أو على شواطئ خليج سرت ، أو فى طرابلس على الساحل وفى الداخل معا وأنها أخذت تكيف حياتها مع البيئة التى اختارت الاستقرار فيها ، سيما وأن ضغط شعوب البحر على سواحل ليبيا كان قد ضعف الى الحد الذى لا يمكن ملاحظته على الأقل . وسرى أن تاريخ ليبيا والليبيين قد تغير بنزول الفينيقيين فى طرابلس وانشاء محطاتهم التجارية على سواحلها ابتداء من نهاية الألف

الثامنة ق.م. ومجيبى الاغريق الى برقة وانشاء أولى مستعمراتهم قورينى
(= شحات) فى عام ٦٣١ ق.م.

واذا كانت الآثار المصرية قد حدثتنا هذا الحديث الطويل عن الليبيين ،
وعن أصولهم وفروعهم ، فانه كم يكون من المفيد لو تكتشفت أرض ليبيا عن
آثار تضيف الى هذا الحديث وتوضح ما يكون قد غمض منه . ولا ننسى أن
فراعنة مصر ، انما كانوا فى نصوصهم يتحدثون عن قوم كانوا خصوما
وأعداء لهم . وهذا يزيد من رغبة المؤرخ فى الحصول على مصادر ليبية فيوازن
بينها وبين النصوص المصرية ليطمئن الى صحة معلوماته ودقة أحكامه . وقد
حاولت بعثة لجامعة بنسلفانيا فى ربيع عام ١٩٦٣ ، الكشف عن آثار لىبيى
عصر البرونز الذين حفظت آثار مصر ذكرهم منذ أوائل عهد الدولة
القديمة . وكان الليبيون يعملون فى أواخر العصر البرونزى كوسطاء فى تبادل
السلع التى كانوا يأتون بها من أواسط افريقيا أو تأتي اليهم من هناك مع
سلع مصر ومنتجات بحر ايجة . وكان الأمل يراود أعضاء هذه البعثة فى
العثور على أماكن استقرارهم على الساحل حيث كانت مراكز هذه
التجارة النشطة وكانت خطة البعثة تهدف الى التنقيب عن أماكن الليبيين
القديما فى الشريط الساحلى الممتد من بنغازى الى قمينس وفى القسم الشمالى
من برقة حيث قامت مراكز الحضارة الاغريقية والرومانية ، ومنطقة الساحل
بين أبولونيا (= سوسة) وطبرق ، وفى المناطق الداخلية من الجبل الأخضر .
ولكن البعثة لم توفق ، كما كانت تأمل فى العثور على أماكن استقرار الليبيين
القديما ، وخاصة فى سهل بنغازى أو فى منطقة توكرة وشحات وسوسة وفى
وادي درنة ، حيث تناثرت محلات العصر الحجري الحديث ، وحيث المياه
العذبة والظروف التى تساعد على قيام الزراعة والحياة المستقرة . ولم توفق
البعثة كذلك الى العثور على شىء يساعد على الاستدلال على أماكن استقرار
هؤلاء الليبيين فى كل من منطقة الأثرون أو فى منطقة رأس الهلال ، وكلاهما
وقبل أن نمضى فى متابعة دراسة تاريخ الليبيين القديما فى المرحلة
يعد من أحسن البيئات لقيام هذه الحياة المستقرة لليبيى عصر البرونز ١١٠ .

الجديدة من تاريخهم ، يحسن أن نتوقف قليلا ، للتعرف على بعض مظاهر حضارة الليبيين على قدر ما تسمح به معلوماتنا المستمدة من الآثار المصرية . من أهم المسائل التى يتعرض لها الباحث عند تأريخه لحضارة شعب قديم ، لغة هذا الشعب ومدى قدرته على تسجيل أحداثه بها فى نقوش أو نصوص مكتوبة . وقد أسلفنا أنه لم يعثر حتى الآن على آثار لليبيين فى فترة احتكاكهم بالمصريين . وبالتالي لم يعثر على أى نماذج لنقوش أو غيرها قد تكشف الستار عن طبيعة لغتهم . وقد يعثر عليها مستقبلا وقد لا يحدث . وقد يضعف الأمل فى العثور عليها ، طبيعة الحياة التى كان الليبيون يحيونها من كرفر وافر واطمئنان ، وهذا لم يتيح لهم فرصة للاستقرار أو لتنمية حضارتهم وثقافتهم . وكذلك غلبت عليهم حياة الرعى والبدو . فاذا كانوا قد تركوا مثل هذه الآثار ، فأنها تكون قليلة ، بل لعلها لم تستطع مقاومة عوامل الطبيعة .

وقد عقد بيتس فصلا ممتعا عن لغة البربر الحاليين ، وفى نظره أنهم سلالة الليبيين القدماء ، وقد أورد نماذج لكلمات من هذه اللغة وقارن بينها وبين كلمات مماثلة فى اللغة الهيروغليفية الفرعونية فى النطق والمعنى وانتهى الى نتيجة هامة ، وهى وجود عنصر ليبي فى لغة المصريين . ويعلل ذلك باختلاط الليبيين بالمصريين فى الدلتا ومصر العليا والواحات . ويلفت هذا المؤرخ نظرنا الى بقاء اللغة البربرية فى بعض الواحات المصرية ، وخاصة سيوة ، ويعتبر ذلك دليلا على استمرار العنصر الليبي الذى عرفته مصر الفرعونية . على أى حال لابد من مزيد من الدراسة لهذه اللغة البربرية ولهجاتها حتى يصبح فى استطاعة عالم اللغة أن يعيد تكوين لغة التخنو أو التنجو أو الريبو أو المشوش^{١١٦} . وقد يكون من الطريف أن نشير الى أن هيروودوت ذكر أن كلمة « باتوس » (وهذا هو اسم أول ملك اغريقى فى قورينى (= شحات) ، انما كانت تعنى « ملك » باللغة الليبية^{١١٧} . وقد قرن بعض المؤرخين هذا اللقب بالكلمة المصرية بت Bit التى تعنى فى اللغة المصرية القديمة « ملك الوجه البحرى »^{١١٨} . وقد تحدث هيروودوت أيضا عن نوع من الفيران كان موجودا بليبيا اسمه

Segeries وقال ان هذا الاسم ليبى ويعنى التلال فى لغة الاغريق ١١٩ . ومعنى ذلك أنه ربما كانت هناك لغة ليبية محلية على أيام هذا المؤرخ وعلى أى حال لن تحل المشكلة الا اذا عثر على نماذج مكتوبة بهذه اللغة .

واذا أردنا أن نتعرف الى الحياة الاقتصادية عند الليبيين فى الفترة التى نحن بصدددها ، فان ماذكر على الآثار المصرية كاف لتبين أن الليبيين قد ألفوا حياة الزراعة . وأقدم اشارة الى ذلك وردت فى نصوص الأسرة التاسعة عشرة ، اذ جاء فى نص أنشودة النصر التى أشادت بمرنبتاح «*» وأسفاه على ليبيا . لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية يمرحون فى الحقول » . وقال هذا الفرعون أنه أخذ كل عشبة تأتى من حقول ليبيا ، وأنه لم يعد هناك فوق أرض الليبو « أى حقل صالح ليكفى اعالة السكان . » وكانت أرض الليبو تنتج القمح ، لأن هذا الفرعون قال انه « نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح . » ١٢٠ .

والى جانب الزراعة ، عرف الليبيون الرعى . وهذا واضح من كثرة ما ذكر فى النصوص الفرعونية عن الماشية التى غنمها الفرعون وذلك من وقت مبكر يعود الى عهد الدولة القديمة . وفى كل غزوة كانت الجماعات الليبية من تحنو أو تمحو أو ليو أو مشوش ، تأتى معها بعدد ضخم من الماشية والماعز الى جانب البقر والثيران والخيول والحمير ١٢١ .

وقد ورد ذكر جلود النمر ، التى كانت القبائل الليبية تقدمها جزية لحتشبسوت ملكة مصر . وتعددت الاشارات الى ملابس الليبيين المصنوعة من الجلد . ووضح لنا مدى اهتمام الليبيين بريش النعام ولم يقم أى دليل على استئناس الليبيين لمثل هذه الحيوانات . ولذلك فانه من المرجح أن يكون الصيد هو وسيلتهم للحصول عليها ١٢٢ .

والى جانب الزراعة والرعى والصيد ، نعرف أن الليبيين كانوا يقدمون لحتشبسوت سن الفيل . ونعرف أيضا أنه قد عثر فى جزيرة كريت على تمثال لقرد مصنوع من العاج وعلى بعض الأختام العاجية أيضا ، وأنه قد عثر فى مقابر الاترويين على بيض النعام ، وأن الليبيين كانوا يقدمون الذهب كنوع

من الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها في الحكم الملك تحتمس الثالث ، وأن التمحو كانوا ينقلون الى بلاد النوبة حجر التمحى ، وهو من الأحجار الكريمة . كل ذلك يجعلنا نرجح أن الليبيين كانوا يلعبون دور الوسيط في نقل كل هذه السلع من دارفور ووداي ومنطقة تشاد . وكان بعضها يذهب مباشرة الى مصر كجانب من الجزية المفروضة على الليبيين ، أو كسلع تجارية عبر بلاد النوبة . وكان الليبيون ينقلون هذه السلع الى سواحل برقة ، ومنها كانت تصدر الى جزيرة كريت أو إيطاليا وبعض أقاليم البحر الأبيض ١٢٣ . ولعل الليبيين من ناحية أخرى كانوا يحصلون على بعض عبااتهم الجلدية المزخرفة من الشردان ، والأواني الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف النحاسية من آسيا الصغرى أو من بحر ايجة ، ذلك لأنه ليس لدينا الدليل على وجود معادن بأرض ليبيا كانت تسمح بقيام مثل هذه الصناعات . وهذا مما يقطع بأصلها الأجنبي . وتصور بعض الرسوم المنقوشة على الصخر في جبل عكاكوس ، جنوب فزان ، قوافل يحرسها أصحابها وهذا يعنى أن الليبيين كانوا ، منذ عصور ما قبل التاريخ ، يعملون في نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب ١٢٤ .

وتساعدنا النصوص المصرية بعد ذلك على دراسة المجتمع الليبي بصفة عامة ، ونظام الأسرة الليبية القديمة بصفة خاصة . وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تقطع بأن الليبي قد عرف تعدد الزوجات ، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة عند الليبيين القدماء . وقد ذكر في نقوش الكرنك من عصر مرنبتاح أن مريى أمير الليبوكان يصحب معه نساء وعددهن اثنتا عشرة سيدة . وذكر في نصوص أخرى أنه كان يصحب معه زوجه وستة أولاد ، كانوا في الواقع رجالا بالغين . ومن غير المقبول أن تكون هذه الزوجة أمأ لهم والا لكنت من كبر السن بحيث لا تستطيع مصاحبة زوجها . لذلك فانه من المرجح أن تكون هي السيدة الأولى في حريم الأمير الليبي . وجاء في نصوص رمسيس الثانى أن كبر بن دد ، أحضر معه ابنه وزوجه وأسرته . ولكن في نص آخر أشير الى نساءه وبذلك تكون الزوجة التى ذكرت هي

السيدة الأولى في الحريم • وثمة شواهد أخرى تقف عليها من لوحة حارپسن (من الأسرة الثانية والعشرين) وقد سجل هذا الملك ، وهو ينحدر من أسرة ليبية شجرة نسبه • وتبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة • ولعل ذلك يفسر بأن هذه الأسرة ، بحكم إقامتها في مصر ، كانت قد تأثرت بالعادات المصرية فلم يتخذ رجالها سوى زوجة واحدة ، أسوة بالمصريين ، أو أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات • وفي لوحة بعنخي نقرأ أن الملك نمرود (وهو لبي من المشوش) أرسل زوجته الملكة (نس تنت) الى زوجات الملك بعنخي لتلتبس العفو عنه » • • • ولما دخل بعنخي قصر نمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته • • • وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبي الأصل ١٣٥ •

ولا يعني تعدد الزوجات ، انحطاط مركز المرأة ، ذلك أن المرأة الليبية تظهر في صور الآثار المصرية ، وهي تلبس ملابس الرجل وتتخلى بنفس زينته • وهذا في حد ذاته دليل على علو مكانتها في المجتمع ١٣٦ •

واذا انتقلنا من مجتمع الأسرة الى مجتمع القبيلة ، وجدنا أنه كان يرأس القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة • وكان هذا الزعيم ينحى عن مكان الرئاسة اذا ثبتت عدم كفاءته ، ويعهد بمنصبه الى أحد أعضاء الأسرة الآخرين ، كما حدث في حالة الأمير مري بن دد ، الذي ولى أخوه مكانه • ومن نصوص الملك رمسيس الثالث ، نعرف أن هذا الملك أمر أن يحضر اليه «الأسرى العشرة» • ويرجح أن هؤلاء العشرة كانوا يشكلون مجلسا استشاريا يتعاون مع رئيس القبيلة في إدارة شئونها • وقد تكررت في نصوص هذا الملك أيضا عبارة «رؤساء المشوش» وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية الى «زعماء أرض مشوش» الرئيس الأعظم للمشوش «ورئيس الرؤساء» • ولما كنا نرى في الصور التي حفظتها جدران المعابد في مصر بعض المشوش يتحلون بريشة واحدة وآخرين يتحلون بريشتين ، فإن ذلك ، فيما يرجح يعتبر علامة على تباين المركز الاجتماعي •

وربما كان من علامات الرئاسة كذلك الى جانب الريشة اتخاذ ذيل الحيوان حلية وزينة ولعلها كانت تميز الرئيس عن عامة الليبيين ١٢٧ •

وقد أشرنا ، ونحن بصدد الحديث عن المجموعات الليبية من تنحو وتمحو ، وريبو ، ومشوش ، الى أن كل طائفة تميزت بطريقة لبسها • وكان أبسط أنواع اللباس ما شاهدناه على سكّين جبل العركى • ولا يخرج هذا اللباس عن كونه أشرطة من الجلد وقراب العورة • وقد تكرر هذا اللباس عند التنحو ، وإن كان أفضل قليلا ولكن لا يخرج في جوهره عن ذلك • أما عند التمحو فالملابس أرقى كثيرا • وقد أسلفنا ، أنها كانت تتألف من عباءة فضفاضة من الجلد ، زخرفت رقعتها بألوان مختلفة ، وثبت في ذيلها شريط مخطط • وإلى جانب ذلك احتفظ التمحو بقراب العورة • وأسلفنا أيضا أن الريبو كانوا يلبسون تحت العباءة ، بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة ، وأن ملابسهم تكاد تشبه ملابس المشوش ، غير أن هؤلاء عادوا الى استعمال قراب العورة • ويبدو أن استعمال التمحو والريبو والمشوش للعباءة الجلدية المزخرفة كان تقليدا لشعوب البحر الأبيض ، وخاصة العناصر النازحة من آسيا الصغرى ، وجاءت الى أرض ليبيا ، مثل الشردان • ومن المرجح أنهم كانوا يحصلون على عباءاتهم من هؤلاء القوم • أما قراب العورة ، فلم يكن استعماله مقصوراً على الليبيين وحدهم • إذ كان مستعملا عند المصريين في عصرى ما قبل وما قبل القبيل الأسرات ، واحتفظ به ملوكهم في عصر الدولة القديمة • وكان هذا القراب مستعملا كذلك في جزيرة كريت • ولكن هذا القراب أصبح يميز ملابس الليبيين ويجعل هؤلاء يتميزون به عن سكان بقية الشمال الأفريقى • وكان لبسه يقتصر على البالغين من الرجال والنساء • وقد ذهب المؤرخون في تفسير لبس قراب العورة مذاهب شتى • فمنهم من قال أن لذلك علاقة بعبادة الختان ، وأن لبسه علامة على أن صاحبه قد اختتن ، وربما يؤيد ذلك أن الريبو ، وكانوا لا يمارسون عادة الختان ، كانوا يلبسون عوضا عن القراب ، القميص القصير الذى أشرنا اليه آنفا ، وكان المصريون يقطعون أعضاء التناسل الخاصة بالقتلى منهم ، في حين كانوا

يقطعون أيدي قتلى التخنو والتحنو والمشوش ، وهؤلاء كانوا يختنون والمعروف أن المصرى كان يمارس عادة الختان ، ويحترم خصمه الذى يحتن .
ومنه من قال ان لهذا القرباب دلالة سحرية وأن له اتصالا بالشعائر أو المعتقدات الدينية . ولم يكن الليبيون ، فى نظر فريق آخر من المؤرخين يتخذون هذا القرباب من باب الحياء ، بل انه كان يعد بمثابة اشعار الى أن صاحبه قد بلغ سن البلوغ وأنه أصبح أهلا للزواج وهذا يفسر عدم لبس الأطفال لهذا القرباب . أما لبس المرأة له فانه أيضا علامة على اختنائها وطهارتها وأهليتها للزواج ١٣٨ .

وكان الليبيون يتعللون النعال أو الصنادل ، وان كانوا يظهرون فى صور الآثار المصرية % حفاة الأقدام . غير أننا نقرأ فى نصوص الكرنك من عهد مرنبتاح «أنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وكذلك نعالهم ١٣٩» . ونادراً ما نجد الليبيين يلبسون رداء للرأس بالرغم من شدة حرارة الشمس . وأحيانا كان المشوش يغطون رؤوسهم بنوع من الشيلان ، يثبتونه على الرأس بعصابة أو شبكة . وتظهر فى صور مدينة هابو سيدة ليبية تلبس طاقية على رأسها . وفى لوحة للملك تحتمس الرابع يظهر رجل يلبسها كذلك ١٤٠ .

ويظهر الليبيون فى الصور المصرية وهم يتحلون بريش النعام ، ويلبسون الحلق والأساور على أذرعتهم والبنيقة المحيطة بالعنق . ولعل الريشة كانت أبرز ما كان الليبى يتحلى به . وإذا كانت لا تظهر أحيانا ، فان ذلك لأن الرسام لا يجد فى المساحة التى يرسم فيها صورة الليبى متسعاً لرسمها . وقد مر بنا أن الريشة ، انما كانت من علامات الرئاسة وسقوطها علامة ذل وعار . ولا توضح الصور كيف كانت الريشة تثبت فى الرأس . ولعلها كانت تثبت فى عصابة تحيط بها .

ويلفت النظر طريقة تصفيف الشعر ، وترتيبه فى جدائل ، على نحو ما تظهر فى الصور المصرية . ومن الطريف أن بيتس لاحظ أن العلامة الهير وغيلفية الدالة على الغرب (أمنت) عبارة عن شكل يماثل غطاء الرأس ، ونعلوه

ريشة وينزل منه ما يشبه الشريطين • وهما غير متساويين في الطول ، ولعلهما
يشلان جديلتين من جدائل الشعر ١٣١ •

ويطلق الرجل من الليبيين ، على اختلاف المجموعة الجنسية التي ينتمى
إليها ، لحيته بشكل منسق • وقد تكون اللحية أحيانا كثة ، وقد تكون
خفيفة تحيط بالوجه وتنتهى بطرف مدبب • ونشاهد على بعض الصور أن
الرجل كان يطلق شاربه • ولكن عادة اطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة
عند كل الليبيين •

وقد سبق أن لاحظنا أن الرجل من التحنو كان يتحلى بذيل الحيوان ،
وذلك منذ عصر ما قبل الاسرات المصرية • وقد أسلفنا أن بعض فراعنة الدولة
القديمة كانوا يتحلون أيضا بهذا الذيل باعتباره من امارات الملك •

وقد رأينا أن قوائم الغنائم كانت تضم أوان من الذهب والفضة
والبرونز ، سيوفاً من النحاس • ولما كانت ليبيا فقيرة في المعادن فإن ذلك
يعنى أن الليبيين كانوا يحصلون عليها من شعوب البحر الأبيض ، ولا يعنى
أنهم كانوا يجتازون عصر المعادن • وكانت سيوف المشوش عبارة عن نصل
من المعدن مثبت في مقبض من الخشب ، قد يبلغ طوله ثلاثة أمتار • وكان
السلاح الرئيسى لليبيين القوس والنشاب • وفى نص الملك مرنبتاح ، أن مريى
انقض برماة السهام • وأن الرئيس الليبى خلف وراءه قوسه وسهامه وجعبته •
وقد غنم مرنبتاح مالا يقل عن ألفى سهم • ولا يقل عدد السهام والجعاب التي
غنمها رمسيس الثالث عن (٢٣١٠) قطعة • ولا يعرف شكل السهم الذى كان
الليبيون يطلقونه من أقواسهم ، إذ أننا نرى دائما القوس ملقى على الأرض
أو معلقا على كتف المحارب الليبى ، أو مسكاً به فى يده . ومع ذلك فإنه من
المرجح أن رؤوس السهام كانت مصنوعة من الطران بعد تقسيته بالنار ، وذلك
فى ضوء ما ذكره هيرودوت من أن رؤوس سهام الليبيين العاملين فى جيش الملك
الفارسى فى القرن الخامس ق.م. إذ قال أنها كانت من الحجر • ومعنى ذلك
أن سهام العصر الحجري الحديث ظلت مستخدمة فى العصور التاريخية •
والى جانب السهم كان الليبيون يستخدمون الخنجر وعصا الرماية ١٣٢ • وكان

الريبو والمشوش يقاتلون في عرباتهم الحربية وقد غنم منها رمسيس الثالث اثنتي عشرة عربة * وهي تشبه العربات المصرية الى حد ما مع وجود بعض الفوارق الطفيفة . وكان الليبيون يستعملون العربات منذ عصور ما قبل التاريخ ، وان كانت تبدو بسيطة لم تدخل المعادن في صنعها ، كما نشاهدتها في رسوم تيبستى ، التي يعود تاريخها الى العصر الحجري الحديث . وكانت تجرها في الغالب الثيران * وقد رسم الفنان المصرى العربات الليبية على نسق العربات المصرية . ويفسر ذلك اما بأنه لم يلتزم الدقة في الرسم ، واما أنه كان يسجل في رسمه بالفعل نوعا من العربات كانت تقارب في صنعها العربات المصرية . ولا نستبعد أن يكون الليبيون قد أدخلوا عددا من التحسينات على صناعة عرباتهم بعد احتكاكهم بشعوب البحر أو بالمصريين ، سيما وأنهم استعاضوا بالخيول عن الثيران في جرّها * ويبدو من طريقة رسم الخيول الليبية في الصور المصرية أن أصحابها قد أحسنوا تدريبها ، اذ كان الليبيون يركبونها دون أن يسرجوها ١٣٣ *

وكان جنود الريبو والمشوش يعسكرون في خيام مصنوعة من الجلد ويحفظون المياه في قرب من الجلد ويضعون سهامهم في جعاب من الجلد كذلك ١٣٤ *

ويلاحظ بصفة عامة أن أسلحة الليبيين كانت هجومية ، ولم تكن دفاعية ، اذ لا تظهر في الصور المصرية ، الدروع أو الخوذات أو غيرها من وسائل الدفاع عن النفس ١٣٥ *

ومما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للريبو ، ما جاء بصدد غزوة مريى بن دد ، من أنه « فر تاركا أثاث زوجته وعرشه . . » وهذا يعنى أنه كان للريبو في مساكنهم في ليبيا أثاث ، وأنهم كانوا يعرفون الكراسى اذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا ١٣٦ . وقد عثر في غدامس على صورة ، ربما كانت معاصرة لآخر عصر الدولة الحديثة في مصر * وتمثل الصورة السيدة ، وهي جالسة على مقعد ، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام ١٣٧ . ولنا أن تتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب المياه

والأسبنة ، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم فى كافة أغراض الحياة اليومية ، مثل الابروا الكياس الجلدية ومخارز لصنعها ، وأوانى لحفظ اللحم المجفف^{١٣٨} .
وتكشف الآثار أيضا عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الصاجات .
والطبل ذات الجانبين ، التى كانت تعلق فى العنق بوساطة شريطين ، والبوق
والنفير والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية • وكانت لليبيين ، فيما يبدو ، رقصات
تشبه تلك التى كان يؤديها الجنود الليبيون المرتزقة فى الجيش المصرى فى
لوحة رقص التحو^{١٣٩} .

وربما ساعدتنا لوحة غدامس التى أشرنا إليها على استجلاء بعض
النواحي الفنية عند الليبيين القدماء . وهذه اللوحة تصور السيدة ، وهى
تجلس على مقعد غير ذى ظهر ، وتضع قدميها على مسند ، وتلبس ثوبا طويلا ،
وشعرها مرجل بطريقة غريبة ، ويدها اليمنى ممتدة الى الأمام ممسكة بسعفة
نخل أو ريشة نعام • وخلفها تقف سيدة أخرى أقل منها حجما ، ولعلها كانت
وصيفة أو تابعة وأمام السيدة الجالسة نصف قوس . واللوحة مهشمة فيما
يلى القوس ولا يظهر غير ساعد لشخص ما • وفى رأى بيتس أن هذا الرسم
يعكس التأثير الفنى للدولة الحديثة فى مصر ، وأنه يذكرنا بمنظر دينية مصرية ،
وأن المقعد والمسند شبيهان بالمقعد والمسند المصريين ، وأن القوس يشبه فى
طريقة رسمه المقاصير فى المعابد المصرية . وهذا رأى لا بأس به ، إذ أنه من
المعروف أن غدامس كانت بحكم موقعها ملتقى تأثيرات حضارية أجنبية ، وأنه
كان لها حضارة خاصة معاصرة لحضارة قدماء المصريين ، حتى أن البعض
يرجح أن سكانها فى بداية العصر المسيحي كانوا من عنصر مصرى استقر فى
الواحة منذ عصور ضاربة فى القدم . ويبدو أن هذه الصورة قد رسمت
للتعبير عن غرض دينى • ولعلها تمثل احتفالا دينيا تواجه فيه السيدة وتابعتها
ربا أو روحا فى المقصورة^{١٤٠} .

ويلاحظ أنه لم يعثر على مبان لليبيين فى العصور التى نتحدث عنها .
وقد يعلل ذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يشيدون مبانيهم من أنواع من الحجارة
لم تستطع مقاومة عوامل الفناء . ويلاحظ أيضا أن ظاهرة المدن منعقدة فى ليبيا

القديمة . وقد أسلفنا أن الليبيين من الريبو أو المشوش كانوا يتخذون خياما مصنوعة من الجلد . وقد استمر استعمالهم لهذا النوع من الخيام حتى فترة متأخرة ١٤١ .

وإذا انتقلنا بعد ذلك الى دراسة دين القوم ومعتقداتهم التي كانوا يتوارثونها ، لوجدنا أنه كان من الطبيعي بالنسبة لليبيين ، وفي مثل البيئة التي عاشوا بها مزارعين ورعاة وصيادين ، أن يكونوا قد عبدوا مظاهر الطبيعة من سحب وعواصف وآبار وأشجار . وكل هذه كانت عندهم منازل للأرواح . وكان طبيعيا كذلك ، وفي بيئتهم تلك أن يهتموا برصد النجوم ١٤٢ .

وقد ورد ذكر بعض الآلهة الليبية في الآثار المصرية ، مثل الإله عش الذي ظهر اسمه في نقوش الأسرة الخامسة . ومن الطريقة التي ذكر بها في نصوص الملك سخورع يبدو أنه كانت لهذا الإله مكانة سامية في ليبيا . ولكن لا يعرف شيئا أكثر من ذلك عن طبيعته ووظيفته ١٤٣ .

ولعل الليبيين كانوا قد تأثروا بعبادة الإله المصرى آمون ، الذى كان معبده فى واحة سيوة مقصد الكثيرين من أرجاء العالم القديم . ويبدو أن عبادته انتشرت داخل ليبيا ، اذ كان له معبد فى واحة أوجله . وكانت توجد على ساحل سرت محلة يقال لها آمونكلا ، وأخرى تسمى آمونوس أو آمونيس فى الخرائط الرومانية ، وثالثة فى منطقة مذبح الأخوين كان الاغريق يعرفونها باسم آمونوس هالوس Ammonos Halous ورابعة يقال لها معبد آمونوس بالقرب من طبرق . ويوجد حاليا جنوب بنغازى موقع يقال له تل آمون . وكان من الطبيعي أن يشعر أهل الصحراء من البدو ، وهم يتنقلون من واحة الى واحة ، بحاجتهم الى التماس الحماية من اله يسيطها لهم ويكون لهم هاديا ومرشدا وصديقا يعينهم ببركاته فى تنقلهم عبر الصحراء . وهو الإله الذى يكشف عما يجهله الناس وينبئهم به .

وقد قال بيتس أنه كان فى واحة سيوة ، قبل أن تضم الى مصر الفرعونية اله لىبى ، قرنه المصريون بمعبودهم آمون ، ذلك الإله الذى

أصبح بفضل سيادة طيبة رب مصر بأكملها • ولم يعرف للاله الليبي اسم • ولم تعرف طبيعته الا من صورته المصرية أو الاغريقية • وهو اله واحدة امونيوم (= سيوة) • وعزز بيتس رأيه بأن هيرودوت تحدث عن الاله الطبيي باسم الآله زيوس - آمون ، وعن الاله اصرى باسم الاله زيوس الطبيي • وفي رأى بيتس أن الاله زيوس آمون الليبي اكتسب شهرة واسعة في العالم القديم ، باعتباره مصدر وحى • وكان الكبش هو رمزه وحيوانه المقدس • وهو في هذا يشبه الاله آمون المصرى • وقد انتشرت عبادة الاله الليبي في سيوة في شكله المصرى^{١٤} • وقد رفض شامو Shamoux التسليم برأى بيتس ، لأن كل ما يذكر عن عبادة الليبيين لمثل هذا الاله محض فرض ، لأننا نجهل تماما كل شيء عن مثل هذا الاله عند الليبيين ، بل اننا لا نكاد نملك أى معلومات دقيقة عن معتقدات الليبيين الدينية^{١٥} •

ويرى بيتس أن بعض علامات الوشم انما هى فى الواقع رموز دينية • من ذلك مثلا أن الوشم ، الذى على هيئة الصليب ، يرمز الى اله الشمس ، وأن بعض العلامات الأخرى ترمز الى المعبودة « نيت » • والمعروف أن عبادة « نيت » كانت قد استقرت فى مدينة « سايس » بغرب الدلتا منذ عصر ما قبل الأسرات • وقد وصفت « نيت » بأنها « أم الشمس » والبقرة التى تحمل الشمس ، وهى بذلك ربة السماء • وقد قال يلو تارخوس أنه يوجد فى مقصورة هذه الربة نقش يقول « أنا هو ما هو كائن ، وما سيكون ، وما قد وجد ، وأن أحدا لم يرفع ثوبى • والثمرة التى وضعتها هى الشمس » • من هذا يتضح أن « نيت » كانت ربة عظيمة من ربات الطبيعة ، وأن صفة العذرية من أبرز صفاتها ، مما جعل الاغريق يقرنونها بربتهم « أثينا » • فهى اذن ربة الطبيعة وربة السماء^{١٦} •

ونظرا لوجود أوجه الشبه الكثيرة بين العبادات الليبية والعبادات المصرية ، فإن ذلك جعل البعض يرجح وجود تأثير متبادل بين المصريين والليبيين فى مجالات العبادة والدين •

أسلفنا أنه بعد أن نجح الليبيون ، والمشوش بصفة خاصة ، و التسلل الى مصر والاندماج في أهلها وتمصرهم ، وقيامهم بتأسيس أسر حاكمة ، أن العلاقات بين الليبيين والمصريين دخلت في دور هادىء ولم يرد في مصادرنا ما نستطيع أن نتعرف منه على مزيد من المعلومات عن الليبيين . وقد أسلفنا أيضا أن ثمة تغيرا طرا على الأحوال في ليبيا نفسها وذلك عندما استقر الفينيقيون في طرابلس منذ أواخر الألف الثامنة ق.م. وقيام الاغريق بتأسيس مستعمرتهم الأولى « قورينى » فى برقة فى عام ٦٣١ ق.م.

ونتابع الآن الحديث عن القبائل الليبية . وخير مرجع لنا هو المؤرخ هيرودوت ، الذى يظن أنه زار قورينى وكتب عن ليبيا ، وذلك بعد عام ٤٤٩ ق.م. + ١٤٧ ، كتابه الرابع Libyko Logoi . ويبدو أنه جمع بعض المعلومات عن القبائل الليبية من أهل جزيرة ساموس ، عندما كان مقيما بها منفيا بعيدا عن وطنه . وكانت لهذه الجزيرة علاقات وثيقة بقورينى وأهلها . ولعله كان قد وقف بنفسه عند زيارته لها على معلومات أخرى . غير أن ذلك لا يمنع من القول بأنه نقل عن « هيكتايوس » جانبا من معلوماته التى ضمنها كتابه ١٤٨ . ونظرا الى أهمية ما كتبه هيرودوت ، آثرت أن أنقل عنه هنا بعض فقرات الكتاب الرابع الذى تحدث فيها عن القبائل الليبية ١٤٨ .

فقرة ١٦٨ : والآن فيما يتعلق بالمناطق التى يقيم بها الليبيون ، كانت قبائل الأدورماخيداي Adymachidae تقيم قريبا جدا من مصر ، وقد أخذوا عن المصريين أغلب عاداتهم . ولكن ملابسهم كانت مثل ملابس بقية الليبيين . وكانت السيدة من نسائهم تلبس حلقات من البرونز حول ساقها . واعتادت المرأة منهم اطالة شعرها . . ١٤٩ .

وقد اعتادت القبيلة أن تعرض على الملك كل العذارى المقبلات على الزواج . وكان الملك يفض بكاراة كل فتاة تروق له . وتصل أماكن إقامة هذه القبيلة الى ميناء يقال لها ميناء بلونوس Plynos (= سيدى برانى) ١٥٠ .

فقرة ١٦٩ : وتلى هذه القبيلة ، قبيلة الجيليجاماي Giligamae

وكانت تسكن المنطقة الواقعة الى الغرب من قبيلة الأدورماخيداي حتى جزيرة
أفروديسياس Aphrodisias (= جزيرة كرسة الى الغرب من
درنة) ١٥١ ، وبينهما تقع جزيرة بلاتيا Platea (= جزيرة المراكب ١٥٢ التي
استعمرها أهل قوريني * وعلى الشاطئ فرضة يقال لها مينيلوس Menelaus
(= ميناء صغير الى الشرق من خليج بومبا) ١٥٣ ، وأزيريس Aziris
(= وادي الخليج) ١٥٤ التي كان أهل قوريني قد استقروا بها . ومن هنا
تبدأ أرض السلفيوم ، التي تمتد من جزيرة بلاتيا حتى مدخل خليج سرت *
وهذه القبيلة تشبه في عاداتها ، عادات قبيلة الأدورماخيداي *

فقرة ١٧٠ : والى الغرب من الجليجاماي ، قبيلة الأسبوستاي
Asbystae ، الذين يقطنون الى الداخل من مدينة قوريني ، ولكن
مواطنهم لا تصل الى الشاطئ ، لأنه مواطن أهل قوريني . وكان هؤلاء
الأسبوستاي يقودون العربات التي تجرها أربعة من الخيل . وهم في ذلك
يزون غيرهم من الليبيين ، وقد اصطنعوا معظم عادات أهل قوريني .

فقرة ١٧١ : والى الغرب من قبيلة الأسبوستاي ، قبيلة الأوسخيساي
Auschiac ، وهم يقيمون في الداخل فيما يلي برقة (= المرج)
ويتصلون بالشاطئ عند يوسبيديس (= بنغازي) . وفي وسط أرض
الأوسخيساي ، تقيم قبيلة البكاليس Bakales الصغيرة ، والتي تتصل
أرضها بالبحر عند توخيلا (= توكرة) ، وهي مدينة في اقليم برقة
(= المرج) * وعاداتهم هي نفس عادات القبيلة التي تقيم في الداخل فيما
يلي قوريني (ويقصد الأسبوستاي) .

فقرة ١٧٢ : ويلي الأوسخيساي الى الغرب ، اقليم النسامونيس
Nasamones الأهل بسكانه . وقد اعتاد هؤلاء القوم أن يتركوا
قطعانهم في الصيف ، بجوار البحر ، ويذهبوا الى منطقة في الداخل ، يقال
لها أوجلة ، ليجنوا البلح من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة واضحة .
وجميع النخيل مثل ثمره * وهم يقتنصون الجراد ثم يجففونه في الشمس *

وبعد طحنه ينثرونه على اللبن ويشربونه * وكان من عادة الرجل منهم اتخاذ عدد من الزوجات * وكان الاتصال بالنساء مشاعا ، مثلما كان الحال عند قبائل الميساجيتاي **Messagetai** وكانوا يغرسون عصا أمام أماكن إقامتهم ، ومن ثم يباشرون النساء * وكان الرجل من النسامونيس ، عندما يتزوج للمرة الأولى ، فإنه يجب على عروسه ، وبحكم العرف ، أن تضاجع كل فرد من أفراد الجماعة كلها ، كلا بدوره * وكان كل رجل بعد مباشرتها ، يقدم لها الهدية التي أحضرها معه من منزله * وفيما يتعلق بالقسم واستطلاع الغيب ، فإنهم كانوا يضعون أيديهم على قبور أولئك الذين عرف أنهم كانوا أكثر الناس عدلا وطيبة خلق * وبهؤلاء الناس كانوا يقسمون * أما عن عاداتهم عند استطلاع الغيب فإنهم يذهبون إلى مقابر أسلافهم ، وبعد أداء الصلوات يرقدون * وأي منام يترأى لهم في نومهم يحملونه على محمل الوحى * وكانوا يعطون الموائيق ويأخذونها بأن يشرب الواحد منهم من يد الآخر * وإذا لم يجدوا سائلا ، فإنهم كانوا يستعيضون عنه بأخذ تراب الأرض ولعقه *
فقرة ١٧٣ وعلى حدود النسامونيس موطن البسولوى **Psylloi** الذين فنوا على النحو التالي: حدث أن رياح الجنوب جففت صهاريجهم ، التي يحتفظون فيها بالماء * وكانت كل مواطنهم الواقعة في منطقة سرت عديمة المياه * وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، زحفوا جنوبا ، (وانى لأقص القصة كما يرويها الليبيون) ، وعندما وصلوا إلى الصحراء الرملية ، هبت عليهم ريح عاتية من الجنوب ، ردمتهم جميعا * وبذلك هلكوا عن آخرهم واستحوذ النسامونيس على أراضيهم *

فقرة ١٧٤: وفيما يلي هؤلاء إلى الداخل ، يسكن في الجنوب ، الجرامنتيس (وصحة اسمهم الجامفازا تئيس **Gamphasantes**) (١٥٠) في أرض الوحوش ، وكانوا يفرون من منظر الناس ، وينفرون من صحبتهم ، ولم تكن لهم أسلحة حرب ، ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم *

فقرة ١٧٥: وهؤلاء يقيمون فيما يلي ، إقليم النسامونيس إلى الداخل * أما المنطقة المجاورة لإقليم النسامونيس ، وفي اتجاه الغرب ، فقد كانت موطن

الماكاي Macai الذى كانوا يخلقون رؤوسهم ، بأن يتركوا شوشة من الشعر لتنمو فى أعلى الرأس ، ويزيلون الشعر من على الجانبين • ويحملون فى الحرب جعب المياه المصنوعة من جلود النعام • ويجرى نهر كينوبس Kinyps الى بحرهم قادماعبر أراضيهم من تل يقال له تل الحسان • وهذا التل كثيف فى أشجاره فى حين أن ليبيا ، التى تحدثت عنها عارية منها • ويبعد التل عن البحر بمائتى فرسخ •

فقرة ١٧٦ : والى الغرب من هؤلاء الماكاي ، قبيلة جيندانييس Gindanes • حيث كانت كل امرأة تضع حول ساقها حلقات من الجلد ، لأن المرأة (هكذا يقال) ، تضع حلقة بعدد الرجال الذين يتصلون بها ، وتلك التى يكون لها أكبر عدد من هذه الحلقات تعتبر خير نساء القبيلة ، لأن معظم رجالها يؤثرونها بحبهم •

فقرة ١٧٧ : ومن أرض الجيندانييس تندفع رأس من اليابس فى البحر ، وعليها يعيش أكلة اللوتس (النبق) وهو غذاؤهم الوحيد • وثمرة اللوتس كبيرة مثل الثوت البرى ، وطعمها حلو مثل طعم البلح • ولا يأكلها أكلة اللوتس فقط ، بل يصنعون منها خمرهم أيضا •

فقرة ١٧٨ : ويلي هؤلاء على طول الساحل الماخلويس Machlyes الذين يستعملون اللوتس أيضا ، ولكن بدرجة أقل من القوم الذين سبق الحديث عنهم • وتصل مواطنهم الى نهر عظيم ، يقال له تريتون ، الذى يصب فى بحيرة تريتون العظيمة ، حيث توجد بها جزيرة تسمى فلا Phla ويقال أن وحياً بشر أهل لاكونيا بأن تكون لهم مستعمرة على هذه الجزيرة •

فقرة ١٨٠ : يلي هؤلاء الماخلويس قبائل الأوسيس Auses ويفصلهم عنهم نهر تريتون ، ويقيمون على سواحل بحيرة تريتونيس وبينما الماخلويس يرسلون شعرهم الطويل لينسدل الى الخلف ، فإن الأوسيس يسدلون شعرهم من أمام • وكانوا كل عام يقيمون عيداً للربة أثينا • وفى الاحتفال بهذا العيد تنقسم فتياتهم الى فريقين يتقاتلان بتراشق الحجارة وبالهراوات • وهكذا (كما

يقولون) يمجّدون هذه الربة الوطنية ، التي نسميها نحن أثينا على نحو ما كان يفعل أسلافهم . وتعتبر الفتيات اللائى يمتن متأثرات بجراحهن غير محافظات على عذريتهن . وقبل أن تشرع الفتيات فى القتال يختار القوم جميعا أجمل فتاة ، ويلبسونها خوذة كورثية ، وعدة حرب يونانية ، ثم يركبونها عربة تسير بها على شواطئ البحيرة . ولا أستطيع أن أقطع بالقول بأى نوع من أنواع الدروع كانوا يجهزون بها فتياتهم ، قبل أن يستقر الاغريق بالقرب منهم . ولكن فى ظنى أن الدرع المستعمل كان درعا مصريا . لأننى أقول أن الاغريق أخذوا درعهم وخوذتهم من مصر . أما بالنسبة لأثينا ، فيقولون أنها ابنة بوسيدون وبحيرة تريثونيس . ولسبب ما غضبت من أبيها ، ووهبت نفسها لزيوس ، الذى جعل منها ابنته . هذه هى قصتهم . والاتصال بين الرجال والنساء مشاع ، وهم لا يتزوجون وانما يفعلون كما تفعل السوائم . وعندما يكبر ابن المرأة ، فإن الرجال يجتمعون فى مدى ثلاثة شهور ، وينسبون الولد لمن هو أشد به شبها بين الرجال .

فقرة ١٨١ : تحدثت عن كل الليبيين الرعاة ، الذين كانوا يعيشون على ساحل البحر . وإلى الداخل بعيدا توجد بلاد ليبيا التى ترتادها الوحوش . ولكن بعد الأرض التى تعيش فيها هذه الوحوش ، هناك شريط من الرمال ، يمتد من طيبة فى مصر الى أعمدة هرقل . وعلى مراحل كل مرحلة منها تستغرق عشرة أيام ، توجد أكمام من الملح فى نجاد رملية . ويعلو كل نجد ، نبع يقذف من وسط الملح بماء بارد عذب . وحولها يقيم القوم الذين تقع مضاربهم بعيدا فى الصحراء وإلى الداخل من أرض الوحوش . وأول جماعة ليبية يقابلها المسافر القادم من طيبة ، وبعد أن يقطع مرحلة عشرة أيام من ذلك المكان ، هى جماعة الأمونيين الذين يعتقدون عبادة زيوس فى طيبة ، لأنه كما سبق أن قلت ، لصورة زيوس رأس كبش . وعندهم أيضا نبع ماء آخر . والماء يكون دافئا عند الفجر ، ولكنه يزداد برودة فى وقت انعقاد السوق ، ويصبح باردا جدا فى وقت الظهيرة . وفى هذا الوقت يروون مزارعهم وبنقدهم النهار تقل برودة الماء . وعند غروب الشمس تكون قد

ازدادت دفئا ، وترتفع درجة حرارتها حتى تبلغ أقصى درجة لها في منتصف الليل ، وعندئذ تغلى وتفور . وبعد منتصف الليل تأخذ في البرودة حتى يحين الفجر . وهذا النبع يسمونه نبع الشمس .

فقرة ١٨٢ : وبعد مسيرة عشرة أيام من أوجلة يقابل المسافر نجدا آخر من الملح ، وينابيع مياه ، ونخيل ذات ثمر ، كما هو الحال في أماكن أخرى . والذين يعيشون هناك يقال لهم الجرامنتيس *Garamantes* وهم شعب كثير العدد ، يضعون التراب على الملح ثم يزرعونه . ومن هنا تبدأ أقصر الطرق التي تؤدي الى مواطن أكلة اللوتس بعد مسيرة ثلاثين يوما . وثيران الجرامنتيس ترعى وهى تسير القهقرى . وسبب ذلك انحناء قرونها الى الأمام . ولذلك فهى تسير متجهة الى الخلف أثناء رعيها وهى لا تستطيع أن تسير الى الأمام لأن قرونها تنغرس في الأرض . وفيما عدا هذا فثيرانهم تشبه بقية نوعها ، فيما عدا أن جلدها أسمك وأشد صلابة عند لمسه . ويستقل هؤلاء الجرامنتيس عرباتهم التي تجرها أربعة من الخيول أثناء مطاردتهم سكان الكهوف الأثيوبيين لأن هؤلاء ، عندما يجرون على أقدامهم ، يكونون أسرع من أى رجال انتهت اليها القصص عن سرعتهم . وهم يقتاتون على الثعابين والسحالي وغيرها من الزواحف ، ولا يشبه حديثهم حديث أى شعب آخر في العالم . وهو يشبه صوت الخفافيش .

فقرة ١٨٦ : هكذا من مصر الى بحيرة تريتونيس يعيش الليبيون الرعاة ، الذين يأكلون اللحم ويشربون اللبن . ولا يقربون لحم البقر ولا يعنون بتربية الخنزير . وذلك لنفس السبب الذي من أجله يفعل المصريون ذلك . وتعتبر نساء قوريني أنه من الخطأ أكل لحم البقر بسبب ايزيس ، الربة المصرية ، بل وهم يقدسونها بالصوم واقامة الحفلات . وترفض نسوة مدينة برقة (= المرج) أكل الخنزير وأكل البقر أيضا .

فقرة ١٨٧ : يقول هيرودوت ، أنه الى الغرب من بحيرة تريتونيس ، يقيم لبييون ليسوا يبدو أو رعاة ، وليست لهم نفس العادات ولا يعاملون أبناءهم

على نحو ما يفعل الرعاة من الليبيين ، لأنه من عادة هؤلاء (ولا أستطيع أن أجزم على وجه الدقة ما اذا كانت هذه هى عادة الجميع) أن يأخذوا أولادهم عندما يبلغون سن الرابعة فيعمدون الى حرق عروق فروة الرأس وأحيانا عروق أصدانهم بالشحم الذى يوجد فى صوف الخراف وذلك حتى لا يتأثر الأولاد بالافرازات التى تنزل من الرأس . وهم يقولون ان ذلك يجعل أولادهم أكثر صحة وعافية . وفى الحقيقة اننا لا نعرف شعبا على هذا القدر من الصحة مثل الليبيين . ولا أستطيع أن أقول على وجه التحديد أن السبب فى ذلك يرجع الى هذه العادة ، ولكنهم أكثر الشعوب صحة بالتأكيد . واذا توجع الصبى من ألم الحرق ، فان الليبيين وجدوا لذلك علاجا ، بأن يربطوا موضع الحرق ببول الماعز ، هذا ما يقوله الليبيون أنفسهم .

فقرة ١٨٨ : طريقة تقديم البدو للقرايين هى أن يقطعوا جزءا من أذن الضحية لبشائر المحاصيل ، ويلقون بها فوق مسكنهم ، وبعد ذلك يلوون رقبة الضحية الى الخلف . ولا يقدمون القرايين لأى اله سوى رب الشمس ورب القمر . ولكن المقيمين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرايين لأئينا أساسا ، ثم بعد ذلك الى تريتون وبوسيدون .

فقرة ١٨٩ : ويبدو أن الثوب الذى يكسو تماثيل أئينا ودرعها انما أخذه الاغريق عن السيدات الليبيات ، فيما عدا أن ثوب السيدة الليبية مصنوع من الجلد ، وأهداب دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست بشعابين ، ولكنها مصنوعة من أشرطة من الجلد ، وفيما عدا هذا فان عدة أئينا تشبه عدة الليبيات والاسم Aegis يكشف عن أن الثوب الذى يكسو تماثيل بالاس Pallas انما جاء من ليبيا لأن النسوة الليبيات اعتدن لبس جلد الماعز ذى الأهداب بعد نزع الشعر منه ، فوق ملابسهن ، ويلونونه باللون الأصفر . وغير الاغريق اسم جلود الماعز هذه الى اسم ايجيس Aegis وبالإضافة الى ذلك ، فى ظنى ، ان الانشاد الدينى انما أتى أول الأمر من ليبيا ، لأن نساء هذه البلاد ينشدن بصوت غاية فى الروعة والطرب . ومن الليبيين تعلم الاغريق قيادة العربات التى تجرها الخيل .

فقرة ١٩٠ : يدفن البدو الليبيون موتاهم على طريقة الاغريق فيما عدا النسامونيس فانهم يدفنون موتاهم وهم جلوس ، ويعنون بأن يجعلوا الرجل منهم وهو يجود بروحه فى وضع الجلوس حتى لا يموت وهو مستلق على ظهره . ومساكنهم مصنوعة من نوع من سيقان النبات يلتف حوله نوع من البوص . ويمكن نقل المسكن من مكان الى مكان . هذه هى عادات الليبيين .

وفى الفقرة ١٩١ من كتابه يعقد هيرودوت مقارنة بين الليبيين المقيمين شرق بحيرة تريتونيس ، والليبيين المقيمين غربها ، وهؤلاء يسمون الماكسويس Maxyes ويقول انهم يزرعون الأرض ويمتلكون المنازل . ويستترد الى المقارنة بين حيوانات شرق ليبيا وغربها .

ويضيف هيرودوت فى الفقرة ١٩٧ أنه كان يسكن ليبيا أربعة شعوب ، شعبان منها أصليان وهما الليبيون فى الشمال والأثيوبيون فى الجنوب ، وشعبان غربيان عن ليبيا هما الفينيقيون والاغريق .

هذه هى الشعوب أو القبائل الليبية كما تحدث عنها هيرودوت ، وواضح انقطاع الصلة بين أسمائها وأسماء تلك القبائل التى عرفناها فى النصوص المصرية . ولكن فى رأى بعض المؤرخين ، استنادا الى بعض أوجه الشبه فى الملابس وطريقة ترجيل الشعر ، ان التمحو فى العصور الفرعونية هم الأجداد الذين منهم انحدر مباشرة لبيبو العصر الكلاسيكى ، وأنه يمكن التوفيق بين أسماء الليبيين فى العصرين مع شىء من التحفظ . فقبيلة الاسبت عند الفراعنة ربما كانت قبيلة الأسبوستاى ، وقبيلة البكن ربما كانت قبيلة البكاليس ، ومجموعة المشوش ربما كانت الماكسويس المقيمة غربى بحيرة تريتونيس . وقد يعزز هذا الرأى أن التماثيل التى عثر عليها فى قورينى ، من العصرين اليونانى والرومانى ، لأفراد من الليبيين انما كانت تحتفظ بنفس ملامح الليبيين التى حفظتها الآثار المصرية^{١٥٦} . ويضيف مؤرخ آخر ، نقلا عن بعض المصادر الأدبية أن الاغريق المستعمرين فى قورينى كانوا يرقصون مع فتيات شقراوات وأنه كان يعمل فى بلاط كليوباترة لبيبون بيض البشرة ، وأن الليبيين حول بحيرة تريتونيس كانوا كذلك . وأنه كان يوجد بين الليبيين قوم من ذوى

العيون التى لها زرقة البحر^{١٥٧} . وقد يقوى من هذه الفكرة اقبال المستعمرين الأوائل على الزواج من لبيبات^{١٥٨} .

وأول شعب لىبى تقابله فيما يلى مصر غربا هو شعب الأدور ماخيداي ، وقد ذكر هيرودوت أن موطن اقامتهم كان قريبا جدا من مصر ، ومعنى ذلك أنه كان يمتد من حدود مصر الغربية مباشرة حتى ميناء بلونوس (= سيدى برانى) . وهذا يعنى أن الأدور ماخيداي قد حلوا محل التخنو فى هذه المنطقة الواقعة بين مصر ومارمرىكا .

وبالمثل نستطيع القول ان قبيلة الجيليجاماي قد احتلت موطن التنجو . ويكون الأسبوستاى والبكالىس والأوسخيساى قد احتلوا فى منطقة الجبل الأخضر موطن الريبو . واذا سلمنا أن الأسبوستاى هم الاسبت وأن البكالىس هم البكن وهؤلاء كانوا فرعا من الريبو فان معنى ذلك أنه لم يحدث تغيير فى موطنهم . ونضيف أن قبائل النساموئيس والماكاي والجيندائيس والمخلويس قد انتشرت على خليج سرت ، ربما فى نفس المناطق التى كان يقيم فيها المشوش . واذا سلمنا أن المشوش هم الماكسويس فان ذلك قد يعنى أنهم نزحوا عن اقليم سرت ليستقروا غرب بحيرة تريتونيس^{١٥٩} .

وبصفة عامة فان معلوماتنا عن القبائل اللبية تحسنت بفضل هذه المعلومات التى أوردتها هيرودوت فى كتابه الرابع .

ويهمنا أن ندرس العلاقة بين لىبى برقة والاغريق الذين حلوا بينهم ، والعلاقة بين طرابلس والفينيقيين الذين نزلوا بسواحلها .

قال هيرودوت فى الفقرة (١٥٨) من الكتاب الرابع بعد أن تحدث عن استقرار أهل ثيرا فى أزيريس (وادي الخليج) انهم أقاموا فى هذا المكان ست سنوات وأنهم فى السنة السابعة أقنعهم الليبيون ، مقوسلين اليهم ، بترك هذا المكان قائلين لهم انهم سوف يقودونهم الى مكان أفضل . ومن ثم تولوا قيادة الاغريق من أزيريس متجهين بهم شطر الغرب وراعوا فى سيرهم أن يدركهم الليل وهم يرون بمكان يقال له ايراسا Irasa ، لعله أم الرزم ،

وهو أخصب مكان في بلادهم ، حتى لا تقع عليه أعين الاغريق اثناء سيرهم ، حتى انتهوا بهم الى مكان يقال له نبع أبوللون وقالوا لهم «هنا أيها الاغريق هذا المكان مناسب لاقامتكم لأنه توجد هنا فتحة في السماء» .

وواضح أن الليبيين الذين قادوا اغريق ثيرا الى نبع أبو للون انما هم الجيليجمائى (راجع فقرة ١٦٩) . ويبدو أنهم حرصوا على اخراج الاغريق من مواطنهم والذهاب بهم الى مواطن جيرانهم الأسبوستائى حيث نبع أبوللون . ولم يخل عليهم الأسبوستائى بالمساعدة في انشاء مستعمرتهم قورينى في عام ٦٣١ ق.م . وقد كان باتوس منشىء المستعمرة (وهو معاصر للملك ، بسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين في مصر) قد صحب معه عددا من اغريق ثيرا لا يزيد على المائتين ، وذلك عند أول مجيئهم الى بلاتيا . وليس من السهل أن تتصور أن مثل هذا العدد القليل كان يستطيع أن يستمر محافظا على كيانه وعلى مستعمرته التى أنشأها في أرض جديدة ، دون أن يدعم بوافدين جدد ، ويبدو أن الاغريق بادروا بالزواج من سيدات ليبيات ذلك لأنهم لم يصحبوا معهم نساء من ثيرا . وقد يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره هيرودوت من أن نساء قورينى امتنعن عن أكل لحم البقر مثل النساء الليبيات ، وكن مثل الليبيات أيضا في تقديس ايزيس بالصيام لها واقامة الحفلات من أجلها . وكانت العلاقات بين أهل قورينى وجيرانهم الليبيين على ما يرام . وقد ذكر بنداروس في قصيدته البوئية التاسعة ان أحد أبناء تيليسكراتيس القورينى قد تقدم الى ملك الجيليجمائى طالبا يد ابنته . وكان عليه أن يشترك مع غيره من الاغريق والفرسان الليبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له . وكان الفائز هو أليكسيدياموس الاغريقى وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز ١٦ . وقد مضت العلاقات طيبة بين الجانب الاغريقى واللىبى طوال عصر باتوس الأول . ولكن عندما عمد باتوس الثانى (من عام ٥٨٣ الى ما بعد عام ٥٧٠ ق.م) الى تدعيم العناصر الاغريقية في المستعمرة باغراء الاغريق من شتى أرجاء بلاد الاغريق للقدوم الى قورينى ووزع عليهم أراض اغتصبها من الليبيين ١٦ ، كان لابد

أن تسوء العلاقات بين الليبيين والاغريق ، ويقول هيرودوت ان الليبيين ومعهم ملكهم اديكران Adicran ذهبوا الى مصر والتمسوا مساعدة ملكها أبريس . وقد جند أبريس جيشا كبيرا من المصريين لنجدة الليبيين . والتقى هذا الجيش بأهل قوريني عند ايراسا حيث درات الدائرة على المصريين لأن هؤلاء كما قال هيرودوت لم تكن لهم نفس خبرة الاغريق^{١٦٢} . والتجاء الليبيون الى المصريين كان أمراً طبيعياً ، خاصة وأن الأسرة السادسة والعشرين كانت من سايس ، ومن المحتمل جداً أن يكون ملوكها من أصل ليبي ، وكان جيشهم يضم عناصر ليبية^{١٦٣} . ولم يكن في وسع أبريس أن يزود الليبيين بالجند المرتزقة من الاغريق الذين كانوا عماد جيشه ، وذلك خشية انضمامهم الى بنى جلدتهم من اغريق قوريني^{١٦٤} . وقد ترتب على هزيمة الليبيين مع حلفائهم في ايراسا أن ثبت الاغريق أقدامهم في برقة ، واضطروا الليبيون الى الخضوع لهم . ولكن هذا الخضوع لم يطل اذ سرعان ما تجدد الصراع بين الليبيون وأهل قوريني وذلك على عهد الملك أركيسيللوس الثاني (وهو معاصر للسلالة أمازيغية وهو أيضاً من ملوك الأسرة السادسة والعشرين في مصر) . وقد نشب بين هذا الملك واخوته خلاف خرجوا على أثره من قوريني الى موطن قبيلة الأوسخييى الليبية حيث أنشأوا بمساعدتها مدينة برقة (= المرج)^{١٦٥} . ولم يكون من الصعب استمالة هذه القبيلة لأن الليبيين لم ينسوا بعد ثأر ايراسا ، وكانوا من ناحية أخرى قد ضاقوا ذرعاً باحتكار ملوك قوريني لنبات السلفيوم^{١٦٦} . وقد حانت الفرصة المناسبة عند ما تقدم الملك اركيسيللوس الثاني «ومعه الجيش في أرض الليبيين الذين استقبلوا أخوته والذين قاموا بالثورة أيضاً» . وقد فر هؤلاء خوفاً من الليبيين الشرقيين وقد سار اركيسيللوس في أثرهم حتى وصل وهو يطاردتهم الى «لويكون» Leukon حيث عقد الليبيون العزم على مهاجمته ، والتحموا معه في المعركة ، ومن ثم كروا جميعاً على أهل قوريني ، وتغلبوا عليهم ، وذبح من أهلها سبعة آلاف من المشاة الثقيلة «...»^{١٦٧} . وبذلك ثأر الليبيون لهزيمة ايراسا . ولكن هيرودوت لم يذكر لنا ما الذي عاد على الليبيين من هذا الانتصار ،

ولم يتحدث مثلاً عن استرجاعهم لأراضيهم ، وإن كنا لا نستبعد أن يكون أخوة الملك قد أرضوهم بطريقة أو بأخرى . ويطلق بعض المؤرخين على الحرب التي خاضها الليبيون ضد باتوس الثانى الحرب الليبية الأولى . وذلك فى سلسلة الحروب الليبية أو حروب مارمريكا التى لم تتوقف حتى الفتح العربى ١٦٨ .

ولما اشتد الصراع بين الملكية ممثلة فى الملك باتوس الثالث والأرستقراطية ممثلة فى أخوته وبين أهل ثيرا الذين استأنروا بكل الامتيازات ، والاغريق الوافدين الى قورينى احتكم أهلها لوحى دلفى . واطاعة لهذا الوحى استدعى المشرع ديموناكس من أركاديا ليضع دستوراً للمدينة . ويهمننا منه ما جاء بشأن تقسيم السكان الى ثلاث قبائل ، تضم الأولى منها أهل ثيرا والبيري أو يكوى **Preioikoi** ١٦٩ . وقد اختلف المؤرخون فيما بين يكون هؤلاء البيرأويكوى ، فمنهم من قال انهم الليبيون الذين أسهموا فى انشاء المستعمرة ، وقد حان الأوان لمنحهم نفس الحقوق التى كانت لأهل ثيرا ، ويكون لهم نفس الوضع القانونى فى المدينة ١٧٠ خاصة وأن هيرودوت قد قال أن قبيلة الاسبوستاى ، وهى التى عاونت فى انشاء المستعمرة قد تأغرقت ١٧١ ، وأن الدستور البطلمى للمدينة قد نص على منح حقوق المواطنة لآبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من مواطنى قورينى ١٧٢ والفريق الثانى يقول ان المقصود بهؤلاء البيري أو يكوى الجماعات الهلينية التى قدمت حديثا الى برقة والتى لم تستطع أن تحصل على الحقوق السياسية التى كانت للطبقة الممتازة من أهل ثيرا المستعمرين الأوائل الذين أرادوا ان يحشكروا لأنفسهم كافة الامتيازات بوصفهم أنهم هم الذين انشأوا المستعمرة . وهذا التفسير فى رأيهم يتمشى مع ما ألفته المدن الاغريقية من قصر حقوق المواطنة على المنحدرين من أصل اغريقى واضح . سيما وأن البرى أو يكوى فى اسبرطه وأرجوليس وتساليا وكريت يقصد بهم الاغريق الذين كانوا اقيمون فى الريف ولهم منظمات دستورية . وإن كان وضعهم الدستورى يقل عن وضع المواطنين الكاملين . هذا بالإضافة الى أن أفراد طبقة البيري أو يكوى فى لاكونيا كانوا رجالا أحراراً ، من

حقهم حمل لقب اللاكيد يموينيين والخدمة في الجيش مع الاسبرطيين في فرق المشاة الثقيلة ولما كان ملوك قوريني قد اشتبكوا في حرب مع الليبيين فانه ينبغي في رأى هؤلاء المؤرخين أن يستبعد احتمال قبول الليبيين في هيئة مواطني المدينة ١٧٣ . وهذا الرأى الأخير ينبغي ألا يعنى استبعاد الليبيين كعنصر من عناصر سكان المدينة ، ذلك لأن تماثيل قوريني ، كما أسلفنا ، تكشف وجود عنصر وطني بين سكانها . فضلا عن أن نقوش المدينة تحمل بعض الاسماء الليبية مثل باكال وألازير . واذا جاز لنا القول بأن حقوق المواطنة منحت لبعض الأفراد بصفته الشخصية ، فهل لا يمكن القول بأن الليبيين الذين أسهموا بالفعل في انشاء المستعمرة وتزوج الاغريق من نسائهم ، قد ضموا الى عداد المواطنين ، ولم يكونوا بالكثرة التي تحول دون ضمهم الى بناء المدينة السياسى ؟ ولا عبرة هنا بالاعتراض بأن مظاهر الدين كانت كلها اغريقية صرفة ، ذلك أن هناك أثرا دينيا ليبيا واضحا في تحريم نساء قوريني أكل لحم البقر والخنزير تقديسا لايزيس الربة المحببة عند الليبيين . واذا كان الدستور البطلمي قد أدخل في عداد المواطنين أبناء السيدات الليبيات من آباء قورينائيين ، فان هذا الدستور يكون قد أقر وضعاً قائماً أو صحيح من وضع خاطيء . هل يمكن افتراض أن الليبيين كانوا أصلاً مواطنين في نفس مرتبة أهل ثيرا وفي عداد طبقتهم منذ البداية فلا داعى للإلحاح على مناقشة وضعهم في طبقة اليبيرى أو يكوى التي ضمها ديموناكس للقبيلة الأولى ؟ وفي هذه الحالة لا بأس من قصرها على الاغريق الجدد . ولو كنا قد ظفرنا بدستور مدينة برقة لكننا قد عرفنا منه الى أى مدى أمكن ادخال العنصر الوطنى في المدينة ، ذلك لأن هذه المدينة نشأت في أرض ليبية ، وشارك أهلها في الصراع ضد ملوك قورينى . ولعلمهم عانوا كما عانى الاغريق من حصار الفرس لمدينتهم ، وذلك الحصار الذى دام تسعة أشهر ، ومن انتقام فريتمى لمصرع ابنها باتوس الرابع . وقد أبعد من أهل مدينة برقة من تبقى منهم حيا الى باكتريا بعد استرقاقهم . وقد منحهم الملك الفارسى مدينة في هذا الاقليم ليسكنوا فيها فاطلقوا عليها اسم برقة ١٧٤ . وعند انسحاب الفرس من برقة في طريق العودة الى

مصر وقعوا في أيدي الليبيين الذين ذبحوا منهم المتخلفين والشاردين ليستولوا على ملابسهم وأسلحتهم • ولعل الفرس قد عانوا من هذه الهجمات ولحققتهم خسارة فادحة ١٧٥ •

وقد كان ملك قوريني باتوس الرابع قد اعترف بالتبعية للملك الفارسي قمبيز في عام ٥٢٥ ق.م. وقد بسط الفرس سيطرتهم على القبائل الليبية وخاصة بعد مجيء هذا الجيش الذي فتح مدينة برقة ووصل الى مدينة يوسبيريدس ١٧٦ ، ذلك أن جيش الملك خشايارشا (أكزركسيس) كان يضم فرقة ليبية يلبس أفرادها الملابس المصنوعة من الجلد ، وكان سلاحهم الوحيد رمحا قصيرا زاد من صلابته تقسيته بالنار ١٧٧ • وكان الجيش الفارسي يضم أيضا فرقة من العربات الحربية التي يقودها لبيون ١٧٨ •

ويدافع شامو عن موقف مدينة قوريني أثناء الحروب الفارسية بأنه لم يكن في استطاعتها مثل مدينة مساليا (مرسلية) أن تشترك مع المدن الاغريقية الاخرى لتوقف زحف الفرس في بلاد الاغريق ، وذلك لبعدها من ناحية ولخضوعها لسيادة الفرس من ناحية أخرى • ويرى أن الذين اشتركوا في جيش الفرس انما هم الليبيون الوطنيون ، وليسوا اغريق المدينة • وأن قوريني ما كانت لتخون قضية الاغريق ١٧٩ •

وليس هناك ما يدعو الى كل هذا الحماس في الدفاع عن قوريني الذي لا يؤكد أي مصدر ، ولا نستبعد أن تكون هناك فرقة عسكرية من اغريق المدينة الى جانب فرقة الليبيين العاملة في جيش خشايارشا حتى ولو كان هيرودوت قد خص الليبيين بالقول بأنهم اشتركوا في الجيش الفارسي • وإذا كانت قوريني قد خانت قضية الاغريق فعذرهما في ذلك أنها كانت تروح تحت الاحتلال الفارسي وهو نفس العذر الذي التمسه شامو لأهل قوريني لعدم اسهامهم في الدفاع عن الاغريق ضد زحف الفرس في بلادهم •

وقد شمل الحكم الفارسي المصريين والليبيين معا فلا ندهش اذا قرأنا عند هيرودوت أنه في عام ٤٦٠ ق.م. على عهد الملك ارتاخشاشا (أرتاكسرركسيسن

(الأول) (٤٦٤ - ٣٢٤ ق.م) هبت في مصر ثورة تزعمها أمير لبيى محلى يدعى ارت حرارو (ايناروس) بن بسماتيك. واسمه يوحى بأنه كان من فرع الاسرة السادسة والعشرين القديمة وكان أميراً على الليبيين في المنطقة الممتدة من ماريا (على بحيرة مريوط) حتى فاروس. وقد حالفه أمرتى (امير تايوس) وهو ايضا من سايس. وقد نجح ايناروس في طرد جباة الضرائب وجند فرقا من الجنود المرتزقة. ولم تلبث الثورة أن عمت مصر بأكملها. ثم طلب ايناروس المساعدة من أثينا التي بادرت الى تأييده وأرسلت أسطولا من ثلثمائة سفينة، وكانت الحرب سجلا بين الفرس وبين الثوار في الدلتا وانتصر ايناروس في القتال العنيف الذي دار عند پاپريميس. وقد شهد هيرودوت بنفسه ميدان المعركة واستطاع أن يميز قتلى الليبيين بصلابة جماجمهم. ولما دارت الدائرة على ايناروس أسر وأحضر الى سوسا عاصمة الفرس حيث حكم عليه بالموت. وعلى ختم اسطواني للملك الفارسي ارتاخشاشا صور الزعيم الليبي وهو يذبح. وكان لا يزال يرتدى تاج مصر المزدوج ١٨٠.

وفي عام ٤٤٩ عقد الصلح بين أثينا والفرس، وهدأت الثورة في مصر. ولم ير الوالى الفارسي بأساً من وضع ثانوراس Thannyras بن ايناروس على رأس الاقليم الذى كان يحكمه أبوه ووضع باسيريى بن أمير تايوس محل أبيه، بالرغم مما لقيه الفرس من عنت على يد ايناروس وأمير تايوس ١٨١.

وثمة حدث هام ينبىء عن علاقة قرطاجة بقبيلة الماكاي الليبية. ويتلخص هذا الحدث في أن دوريبوس بن أناكساندر يداس ملك اسبرطة غضب لأنه لم يخلف أباه في عرشها، فجاء الى ليبيا يريد أن ينشئ مستعمرة بها، فقاد حملة ضخمة الى وادى كعام في عام ٥١٤ ق.م. وبعد سنتين قضاهما مع أتباعه على ضفاف هذا الوادى نجحت قرطاجة بمساعدة الماكاي في طرده من هذه المنطقة ١٨٢. وذلك أن قرطاجة ما كانت تسمح بأى تسلل اغريقى الى مناطق نفوذهم في طرابلس ١٨٣.

وحوالى عام ٤٤٠ ق.م. كانت أسرة باتوس قد انتهت أمرها، ودخلت برقة في مرحلة من عدم الاستقرار. ويبدو أن القبائل الليبية انتهزت الفرصة

فعمدت الى اثاره المتاعب للمدن اليونانية ؛ من ذلك ان قبيلة النسامونيس — فيما يرجح — قامت بحصار مدينة يوسبير يدس حوالى ٤١٣ ق م٠ وحدث أن ريجا طيبة دفعت بطريق الصدفة القائد الاسبرطى جوليبوس Gylippus وكان فى طريقه الى سيراكوز فحادث به الى شاطئ المدينة ، ففك الحصار عنها ١٨٤ •

وفى نفس الوقت تقريبا كانت قورينى «نتيجة للصراع الحزبى بين الحزبين الارستقراطى والديمقراطى» قد تعرضت لهجوم ثيرون المغامر الاسبرطى • وتحالفت بعض عناصر المدينة مع الليبيين الذين أعدوا كميناً لقواته فى منطقة توكرة وقتلوا منهم الكثيرين ولكن الليبيين لم يتمكنوا مع أهل قورينى من الصمود أمام هجوم قوى شنه ثيرون على المدينة ١٨٥ •

واذا كانت برقة قد استمرت نهباً لمثل هذه الأحداث فان مصر كانت هى الأخرى ترزح تحت حكم الفرس وتحاول التخلص منهم ؛ وتغير الوضع بها بمجىء الاسكندر الأكبر اليها فى عام ٣٣١ ق م٠ وقد بادرت قورينى بالاعتراف بالتبعية له عندما سمعت أنه قد وصل الى بارايتونيوم Paractonium (مرسى مطروح) • وبعد وفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق م٠ أصبح بطليموس بن لاجوس والياً على مصر • وما لبث أن انتهز فرصة الصراع الداخلى فى مدينة قورينى حتى أقدم على احتلالها فى عام ٣٢٢ ق م٠ ١٨٦ • وبذلك قدر لمصر ولبرقة أن تخضعاً معاً لحكم واحد هو حكم البطالمة •

وقبل أن نمضى فى دراسة أوضاع الليبيين فى ظل هذا العهد الجديد نترث قليلاً لدراسة بعض نواحي حياة الليبيين فى ضوء ما ذكره هيرودوت •

كان هيرودوت واضحاً وهو يتحدث عن ليبيا برقة من الناحية الحضارية عندما قال ان قبائل الأدورماخيداي والجيليجاماي قد تمصرت أو اكتسبت العادات المصرية فيما عدا تمسكها بملابس الليبيين ، وأن الأسبوستاي والأوسخيساي وربما البكاليس قد اصطنعوا عادات أهل قورينى أو تأغرقوا ؛ ومع ذلك فقد غلبت صفة الرعى والبداءة على الليبيين شرق بحيرة تريتونيس •

وهذا الوصف في ظاهره قد يبدو صحيحاً ، بالرغم من أنه حدد لكل قبيلة موطناً له حدود واضحة . والوصف صحيح أيضاً الى حد ما بالنسبة لقبائل النسامونيس بالرغم من أنه كانت لهم مراكز ثابتة على خليج سرت الا أنهم كانوا يتركون قطعانهم في الصيف . أما في الشتاء فانهم كانوا يرحلون الى واحة أوجلة لجنى محصول البلح ، وعلى العكس من النسامونيس كان الماكاي يرتادون الساحل موسم الأمطار بعد أن يجسوا ما شيتهم في الحظائر ، أما في الصيف عندما تقل المياه في السهل الساحلى الرملى فانهم يذهبون بعيداً الى الداخل ، ربما الى جبل غريان الخصب . وحتى صفة الرعى بالنسبة للبسولوى يجب أن تقبل بتحفظ ، ذلك لأنهم كانوا يمتلكون صهايج للمياه بصفة دائمة، ولم يكن أكله اللوتس يتجولون على نطاق واسع ، اذ كانت منطقة اقامتهم محدودة بجزيرة زوخيس Zuchis الصغيرة أما الماخلويس والأوسيس فقد كانوا يقيمون حول بحيرة تريتونيس فهم بذلك ليسوا بأهل رعى بالمعنى المفهوم . وفي الداخل كان الجرامنتيس كما لاحظ هيرودوت يغطون التربة الملحة بطبقة من الصلصال قبل زراعتها ، وكانت لهم ايضا تنقلات موسمية ، ففي أشهر الشتاء كانوا يذهبون الى الداخل التماسا للصيد . ولذلك فإن هيرودوت لم يكن دقيقاً في تعميم صفة الرعى بالنسبة لليبيين الشرقيين ١٨٧ .

وتغلب صفة الرعى بمعناها الصحيح على سكان الدواخل بين القبائل التى حدد هيرودوت مضاربها جنوب مناطق النسامونيس . وكان لطبيعة الأوضاع هناك أثرها الواضح في حملهم على حياة التنقل اتجاءاً للرعى ، وربما كانت الصحراء في هذه المناطق أقل جذبا مما هي عليه الآن، وربما كانت تسمح بتجمعات بشرية أيام الاغريق والفينيقيين . ومع ذلك فهناك اختلاف واضح بين عادات القبائل البدوية التى تعيش على الساحل وتلك التى تعيش في الداخل . فحيث المطر منتظم والتربة صالحة للزراعة فان الليبى كان يبتد حياة التجوال ، ويفيد من هذه الظروف ، والا فانه يظل مقيماً على حياة الرعى . ولعل هذه الهجرات التى قام بها الليبيون الى مصر وخاصة على عهد الدولة الحديثة ، انما كانت تحدث بضغط من شعوب أخرى كانت تقيم في الغرب . أما في عهد

هيرودوت فيبدو أن الهجرات كانت قد توقفت واحتلت جماعات بدوية المناطق الزراعية على الساحل، أما القبائل التي لم يسعدها الحظ فتفوز بمناطق للاستقرار فانها ظلت في الداخل تتابع حياة التنقل . ولعلها كانت قد جمعت الى الرعى حرفة الصيد . وواضح مما ذكره هيرودوت أن الصحراء كانت تموج بعدد ضخم من الحيوانات المتوحشة^{١٨٨} . ونحن نعرف أن مهنة الصيد كانت سابقة لمهن الرعى والزراعة والتجارة . وقد قامت الأدلة على احتراف الليبيين القدماء لهذه المهنة منذ عصور ما قبل التاريخ كما أسلفنا^{١٨٩} . وقد استمروا يمارسونها في العصور التاريخية . ولكثرة وجود الحيوانات التي عددها هيرودوت ، فلا نعجب اذا عرفنا أن الليبيين قد تعلموا صناعة ملابسهم من جلودها الى جانب صنعها من جلود الحيوانات التي استأنسوها . وكان من الطبيعي أن ينتقل الليبي من مرحلة الصيد الى مرحلة استئناس الحيوان وتربيته . وتأتى في مقدمة الحيوانات التي استؤنس الخراف والماعز والحمير التي تستطيع ان تتحمل العطش كما أخبر بذلك هيرودوت . وهذه ملاحظة صحيحة اذ انه في استطاعة الحيوان أن يتأقلم في البيئة التي يعيش فيها وأن يعتاد ظروفها ، فحتى الخراف والماعز تستطيع أن تعيش وهى في حالة صحية حسنة بدون ماء على الاطلاق^{١٩٠} . والأدلة كثيرة على استئناس الحيوانات في المناطق الشمالية من ليبيا ، فهناك الماعز والحمير والأغنام في برقة ، وقد عرفنا من نصوص مرنبتاح استخدام القبائل الليبية للخيول . ثم أن هيرودوت أشار الى خيل الأسبوساى ، والخيول التي تجر عربات الجرامنتيس والى ثيرانهم التي ترعى وهى تسير القهقرى .

وبالنسبة للقبائل التي كانت تفتقد الحياة المستقرة الناعمة تصبح مراعيها وآبارها مورد حياتها التي تذود عنها حتى الموت . واذا وجدت أن هذه المراعى وهذه الآبار لم تعد كافية لسد حاجتها فانه لا مناص لها من أن تغير على مراعى جيرانها . ولعل الذى ذكره هيرودوت عن فناء البسولوى من أن الرياح أهلكتهم وعن استيلاء النسامونيس على أماكنهم ليدخل في هذا الضرب من أنواع التزاحم والتقاتل على موارد المياه . أما اذا اشتد الجذب فان

الهجرات الموسمية التى تحدث هيرودوت عن بعضها تتحول الى اغارات وقد لا تجدى وسائل الدفاع العادية أمام تدفق جموع البدو وشدة بأسهم وقدرتهم على الحركة . وقد أفاضت النصوص المصرية من عهد الدولة الحديثة فى الحديث عن ضخامة عدد المغيرين من الريبو والمشوش وسجلت ما كان يشعر به المصريون من خوف وقلق ازاء هذه الهجمات التى توالى فى موجات متتابة كادت أن تتداعى تحت قسوة ضرباتها الحصون التى أنشأها الفراعنة من منف حتى مارمرىكا . وعلى أى حال كانت القبائل الليبية مضطرة للحفاظ على حياتها الى استغلال كل موارد الصحراء الضئيلة . وكانت الهجرات الموسمية من الصحراء الى مناطق التلال والهضبة فى الشمال الظاهرة المميزة لحياة هؤلاء القوم ١٩١ . ولم يكن هناك أى حاجز طبيعى يفصل الليبيين الرعاة عن الليبيين الذين استقروا وألفوا حياة الزراعة . وقد كتب هيرودوت عن قبائل الجرامنتيس وكيف أنه كانت لهم عربات تجرها أربعة من الخيل . وبها كانوا يطاردون أهل الكهوف من الأثيوبيين وهؤلاء هم على الأرجح التيبو فى التبت ١٩٢ . وقد أكد ما ذكره هيرودوت عن عربات الجرامنتيس الرسوم التى عثر عليها مصورة على الصخر فى وادى (سيجسا) فى قلب منطقة الجرامنتيس . وكان هيرودوت دقيقا فى حديثه عن الرحلة التى تستغرق ثلاثين يوما من منطقتهم الى أرض أكلة اللوتس ، وهى عنده المنطقة الساحلية بين خليجى سرت الكبير والصغير ، وبذلك يكون هيرودوت صادقا فى تصوير ما كان معروفا على أيامه فى داخلية الصحراء الليبية وتبعاً لذلك لابد وأنه كانت توجد هناك بعض العلاقات بين أهالى الصحراء وسكان الساحل . ولا شك أن وسيلة الاتصال بين الصحراء والساحل كانت تتم بفضل استخدام الثيران فى النقل وفى جر العربات كما كشف عن ذلك الرسوم فى فزان من العصر الحجري الحديث والتى تظهر بوضوح صور رجال يركبون الثيران ، وثيران تجر العربات . ولكن الثيران ما كانت لتتحمل العطش مدة طويلة ، لذلك يفترض أن حركة النقل من الصحراء الى السواحل كانت تتم أيضا بالاستعانة بالحمير التى كانت فى استطاعتها السير بدون ماء ١٩٣ .

وهذا الاحتكاك المستمر بين الصحراء والأرض المنزرعة على الساحل يعنى التجارة . والتجارة تجر الى تبادل الأفكار والمعارف ، وفوق كل شيء الى المعرفة الجغرافية . فمن الشمال تتواتر القصص عن بحر متسع وعن شعوب غريبة تمخر عبابه ، وتأتى من الجنوب المعلومات عن الواحات الكثيرة المزدهرة فى قلب الصحراء . والقصص الذى يثير الدهشة عن تلك الأرض المزدهمة بسكانها الواقعة وراء الصحراء . ولذلك ليس هناك ما يدهشنا عن معلومات هيرودوت عن الجرامنتيس وعرباتهم وطريقتهم فى تغطية التربة الملحة بطبقة من الصلصال ، ثم اعدادها للزراعة * وقد نقل هيرودوت عن بعض أهل قورينى أن النسامونيس اختاروا بالقرعة خمسة من شباهم « لمعينة صحراء ليبيا ليروا اذا كان فى مقدورهم أن يروا شيئا أكثر مما رآه من سبقوهم من الرحالة * وليبيا فيما وراء الشعوب التى تصل بلادها الى البحر مليئة بالوحوش . صحراء لا شيء فيها غير الرمال ويتزايد جفافها وصحراء ولا شيء غير الصحراء . وهذه هى قصة هؤلاء الشبان عندما تركوا رفاقهم وقد تزودوا بالماء والمؤن ، رحلوا أولا فى الأرض المأهولة وراء المنطقة التى ترتادها الوحوش ، ثم ارتحلوا فى الصحراء فى اتجاه الغرب ، واجتازوا منطقة صحراوية واسعة . وبعد أيام كثيرة رأوا نخيلا ينمو فى السهل ، وعندما وصلوا اليه وأخذوا فى التقاط ثماره ، جاءهم رجال من الأقزام وساقوهم أسرى . ولم يفهم الفتيّة من النسامونيس لغتهم ، وما فهمم الأقزام لغة النسامونيس . وقد ساق الأقزام الفتيّة عبر مستنقعات واسعة حتى بلغوا مدينة أهلها فى مثل قامة آسريهم وكانوا سود البشرة ، وهناك بجوار المدينة نهر كبير يجرى من الغرب فى اتجاه مطلع الشمس ، وترى فيه التماسيح . . . »

وقد رجع الفتيّة سالمين كما أخبر بذلك أهل قورينى وأضافوا أن القوم الذين رأوهم فى هذا المكان البعيد كانوا من السحرة وقد ظنوا أن النهر هو نهر النيل . وأكد هيرودوت هذا الظن . ولكن من الواضح أنه نهر النيجر ١٩٤ .

وعن طريق التجارة اذن كان اتصال اقليم فزان والجرامنتيس والمنطقة

الواقعة بين خليجي سرت الصغير والكبير، وحيث هذا الاقليم العارى من الساحل وغير المضيايف الذى كان هيرودوت يطلق عليه اسم اقليم أكلة اللوتس ، ويسميه القدماء أقليم المراكز التجارية الفينيقية Emporia وتقع عليه وعلى مسافات متقاربة المدن الثلاثة : صبراته ، وأويا (طرابلس) ولبتس ماجنا . ولم يكن هناك أى سبب سياسى أو استراتيجى خاص للتجمع فى مثل هذه المراكز . وكان لا يمكن لهذه المراكز الثلاث أن تحقق هذا القدر من الاتساع والرخاء لولا أنها كانت بوابة الصحراء التى ينتهى عندها طريق الجرامنتيس . وقد أسلفنا أن أهل قرطاجة تمكنوا بمساعدة الماكاي من القضاء على المستعمرة التى أنشأها دوريبوس الاسبرطى فى وادى كينوبس (كعام) ، وهذا اشعار بأهمية منطقة سرت ، وبحرص قرطاجة على أن تحول بكل ما تستطيع من قوة دون تسلل الاغريق الى هذه المنطقة حتى لا يسلكوا طريق الجرامنتيس الى فزان . ولذلك جعلت بين منطقة نفوذها فى طرابلس ومنطقة نفوذ الاغريق فى برقة مذبح الأخوين الفيلينى حداً فاصلاً . وهذه المراكز التجارية الفينيقية تقع على خليج عميق كونه البحر ، وهذا الخليج يتغلغل فى الصحراء ، مما ترتب عليه قصر المسافة بين البحر وأواسط افريقيا . وطريق الجرامنتيس هو أقصر طريق الى فزان والى الأقاليم الواقعة فيما وراءها وخاصة منطقة تشاد . وكان الجرامنتيس فى رأى بعض المؤرخين يحملون الى الساحل عدداً من السلع لعل أهمها العاج وجلود الحيوانات وريش النعام وبعض الذهب والأخشاب الثمينة وأحجار المالح المتأثرة^{١٩٥} . وكانت تأتى من الداخل أيضاً أحجار ثمينة من أهمها حجر العقيق Carbuncle وكان ثيوفراستوس يعرفه باسم Anthrax ويسميه بلينى Carbunculus وأطلق عليه الاغريق اسم حجر قرطاجة ho Karchodonios lithos ، بالرغم من أنه كان يأتى من أرض الجرامنتيس ذلك لأنه كان ينقل عن طريق تجار قرطاجة الى الأسواق الخارجية . وكانت هناك سلعة ثمينة أخرى هى الذهب ، ينقل عبر طريقين أساسيين هما طريق الجرامنتيس من فزان الى طرابلس وطريق من النيجر الى سلجماسة فى الغرب .

والى جانب هذه السلع كان العبيد يأتون عن طريق الجرامنتيس كذلك.
وقد مر بنا كيف كان الجرامنتيس يقتنصونهم بعرباتهم السريعة *
وفى رأى البعض أن حجر قرطاجة أو العقيق هو الذى أعطى طريق
الجرامنتيس كل هذا القدر من الأهمية ١٩٦ .

. ويبدو أن الفينيقيين لم يذهبوا بعيداً الى أواسط افريقيا ليقوموا
بأنفسهم بجلب ما فيها من سلع وخيرات ، بل اكتفوا بأن ينتظروا فى مراكزهم
التجارية على الساحل حتى تأتى القوافل تحت حراسة الجرامنتيس القوية .
وفى القرن الخامس قبل الميلاد كان تجار قرطاجة يأتون الى صبراته ليحصلوا
على حاجتهم من هذه السلع * ويبدو أن أهل قرطاجة بعد ذلك أرادوا أن
يصلوا الى منابع هذه السلع ومصادرها بدون مساعدة الجرامنتيس فأوفدوا
البعثات الكشفية لمحاولة الكشف عن الطريق المؤدية الى المراكز التجارية فى
أواسط افريقيا ١٧٩ ولكننا لا نعرف من التفاصيل ما يساعد على تبين مدى
ما وفق اليه الفينيقيون بهذا الصدد ، وان كان من المستبعد أن يكونوا قد
نجحوا فى تحقيق هدفهم نظراً لقوة الجرامنتيس وعدم تسليمهم بسهولة
بالتنازل عن احتكارهم للتجارة وسيطرتهم على طرقها .

ولعل الليبيين كانوا يحصلون مقابل السلع التى يحملونها الى الساحل
على الفخار الآثينى وأباريق الخمر وقوارير العطور الفينيقية والأدوات
الزجاجية من انتاج مصر عن طريق القرطاجيين الذين لعبوا دور الوسيط فى
تجارة البحر الأبيض ، ويبدو من المحتمل أيضاً أن الليبيين حصلوا على أنواع
أفضل من الأقمشة وعلى أسلحتهم البرونزية وأوانيهم الفضية عن طريق
القرطاجيين كذلك ١٩٨ .

ولا شك أن المدن الداخلية مثل غدامس وجاراما (عاصمة الجرامنتيس)
قد أفادت من التجارة ، كما أفادت منها مدن الساحل . وذلك أن هذه المدن
الداخلية كانت بمثابة مراكز تتم فيها عملية تبادل سلع الشمال مع السلع القادمة
من أواسط افريقيا . ولا بد وأن نفترض أنه كان يوجد نظام معين لتنظيم

عملية النقل بالقوافل وتوفير الأمن لها • ومن السهل أن تتصور وجود مراكز ثابتة لتزويد القوافل بما تحتاجه من مؤن وغيرها .

وإذا انتقلنا بعد ذلك الى دراسة المجتمع الليبي في ضوء ما ذكره هيرودوت في كتابه الرابع لوجدناه يصور الأسرة وقد تميزت بظاهرة تعدد الزوجات ، أو يتهم بعض القبائل بالأخذ بمبدأ شيوعية النساء . وتعدد الزوجات كان عادة شائعة عند الريبو والمشوش - كما رأينا - على عهد الفراعنة . وهى ظاهرة لم يعتدها مؤرخو الاغريق أو الرومان ، ولذلك أساءوا فهمها ، وبالتالي لم يحسنوا الحديث عنها . من ذلك ما ذكره هيرودوت من أن الرجل من النسامونيس كان له أن يتخذ عدداً من الزوجات وله في الوقت نفسه أن يتصل بزوجات رفاقه في القبيلة . وأشار كذلك الى عادة غريبة حين يقول أنه عندما يتزوج الرجل من النسامونيس للمرة الأولى كان على عروسه في ليلة زفافها أن تضاجع كل رجال القبيلة ، وأنه على كل واحد منهم أن يقدم لها هدية أحضرها معه من منزله • وقد اتهم هيرودوت قبيلة الأوسيس بممارسة شيوعية النساء ، وقال ان الطفل عندما يكبر كان يعرض على مجلس القبيلة الذى يقرر نسبته لأقرب رجال القبيلة شبيها به . ولا يتفق هذا القول مع ما ذكره هيرودوت نفسه عن اهتمام هذه القبيلة بالمحافظة على عذرية فتياتهم . ويرجح هذا ما نفهمه من أن الفتاة اذا لقيت مصرعها متأثرة بجراحها في الحفل الذى يقام حول بحيرة تريتونيس للربة أثينا ، فان ذلك يعد دليلاً على أنها فرطت في عذريتها ، وأن موتها هو الجزاء الحق لاعتدائها على مقدسات قومها . ولكن شيوعية النساء عند بعض علماء الأثروبولوجيا مرفوضة تماماً . ولم تكن هذه العادة في رأيهم لتوجد حتى بين أشد الشعوب بدائية ، ولا يمكن لمجتمع سوى أن يقبل هذا الوضع الا اذا كان مجتمعاً منحرفاً . ولا بد وأن نسلم بوجود نوع من العلاقة أو الصلة بين الأبوين تدوم طويلاً أو قليلاً حتى بعد ولادة الطفل . ويرفض هذا الاتجاه ما ذكره هيرودوت وغيره عن شيوعية النساء ، ويصر هذا الفريق من العلماء على وجوب الاعتراف بوجود تنظيم معين تقوم عليه الأسرة وفي ظله يرتبط الابن بالأب ويعرف الابن

من والده ١٩٩ . وقد ذكر هيرودوت عادة غريبة أخرى انفرد بها الأدورماخيداي دون بقية الليبيين ، وهى أنه كان من الضروري عرض فتيات القبيلة المقبلات على الزواج على ملك القبيلة ليختار من تروق له منهن فيزيل بكارتها . وقد يكون لهذه العادة اتصال بالناحية الدينية وأساسها الخوف من تحمل مسؤولية فض بكاره الفتاة ، فلا بد من ترك هذه المهمة لملك القبيلة الذى لا بد وأن كانت له سلطات دينية بالنسبة لأفراد القبيلة ٢٠٠ . من المحتمل أن هيرودوت أو من نقل عنهم قد فهموا خطأ ما كان يحدث فى القبيلة ، اذ ربما كان الملك يختار لنفسه زوجات من بين فتياتها حديثات السن ، قادرات على القيام بخدمته . وقد ذكر هيرودوت عادة أخرى عند قبائل الجندائيس ، وهى أن المرأة عندهم كانت تلبس فى ساقها حلقات من الجلد بعدد الرجال الذين اتصلوا بها ، ومن الصعب قبول هذا القول الا اذا اعتبرنا أن الفتاة كانت عن طريق اتصالها بالرجال تجمع ما يكفى ليكون صداقا لها تقدمه لمن يتقدم للزواج منها ٢٠١ .

على أى حال يجب أن نتحفظ ما أمكن عند قراءة كل ما كتبه هيرودوت عن العلاقات الجنسية بين رجال القبائل ولسائها سيما وأن المرأة كانت فيما يبدو تتمتع بمرکز لا بأس به . وكانت تعنى عند القبائل الليبية بأطفالها . فهى التى تقوم بحرق عروق رأس الولد لمنع تعرضه لافرازات الرأس . ونضيف الى ما تقدم أنه فى مجتمع تسلطت عليه فكرة تقديس السلف — كما روى هيرودوت عن النسامونيس . لا بد أن تكون هذه الفكرة قد قامت من نظم زواج وروابط اجتماعية معينة يمكن عن طريقها تتبع تسلسل النسب بين أفراد هذا المجتمع .

وكانت السلطة فى القبيلة لرئيسها أو ملكها ، والى جانبه يوجد مجلس القبيلة المكون من كل الرجال الكبار . وكان المجلس يجتمع كما هو الحال بالنسبة لقبائل الأوسيس كل ثلاثة أشهر أى مرة فى كل فصل من فصول السنة ٣٠٢ .

وقد أسلفنا أن قراب العورة كان يميز معظم الليبيين في صورهم التي حفظت على الآثار المصرية • ولكن عن هيرودوت لا يقابلنا هذا النوع من اللباس • ولعله كان قد اختفى عند وصول الاغريق • ولم يخبرنا هيرودوت بشيء عن ختان الليبيين • ويبدو أن ليبى هيرودوت قد استمروا في لبس الملابس المصنوعة من الجلد ، ولعل هذا هو ما كان يلبسه أفراد قبيلة الأدورماخيداي ، اذ قال هيرودوت أنه بالرغم من تمصرهم الا أنهم كانوا يلبسون ملابس الليبيين وكانت النساء تلبسن فوق أثوابهن جلد الماعز بعد نزع صوفه ، وكان له أهداب عند أطرافه ويلونونه باللون القرمزى •

وقد أعلن هيرودوت جهله بالأسلحة التي كان الليبيون يستخدمونها قبل قدوم الاغريق لبلادهم • وبالرغم من أنه تحدث عن عربات الجرامتيس الا أنه لم يفصح عن نوع أسلحتهم رغم تأكيدهم أنهم كانوا أقوياء ، كثير عددهم • وذكر أن الجامفازنيس لم يعرفوا الأسلحة على الاطلاق • ولكن لنا أن نفهم من الأسلحة التي كانت فتيات الأوسيس يستعملنها في القتال خلال الحفلات الدينية ، والتي كانت عبارة عن هراوات وحجارة ، ان هذين هما السلاحان الرئيسيان عند الليبيين • ونضيف اليهما الرمح الصغير الذى قسوه بالنار ، والذى كان يستخدمه الليبيون في جيش خشارياشاه (اكركسيس) • ولما كان هيرودوت قد ذكر أن فتيات الأوسيس كن يلبسن خوذات كورثية وعدة كاملة من الدروع الاغريقية ، فهل لنا أن نفهم من هذا أن الليبيين ، من هذه القبيلة على الأقل ، كانوا قد تعلموا استخدام هذا النوع من العدة الحربية أو أن أستعمالها كان مقصوراً على الحفلات الدينية فحسب ، خاصة وأنه لم يرد في مصادر العصور التالية أى ذكر لأسلحة معدنية عند الليبيين ؟ على أى حال هذا لاينفى وجود أسلحة معينة يستخدمها الليبيون على نطاق ضيق مثل الخنجر الصغير وذلك بحكم اتصالهم بشعوب البحر الأبيض • ونفهم من هيرودوت أيضا أن الماكاي كانوا يستعملون التروس المصنوعة من الجلد وأنهم استخدموا العربات • ولعل الليبيين كانوا قد عرفوها نتيجة لاحتكاكهم بجيرانهم المصريين أو نقلوها عن الايجيين • والذى يهمننا هوتسجيل أن

استخدام العربات شاع حتى في دواخل ليبيا عند الجرامنتيس على سبيل المثال • وكان الليبيون في الجيش الفارسي يختصون بقيادة العربات • والمعروف أن أهل قوريني أخذوا العربا عن الليبيين^{٢٠٣} •

واذا أردنا نتعرف على آثار الحضارة المادية عند ليبيا هيرودوت ، فإن هذا المؤرخ لا يمدنا الا بالقليل من المعلومات التي لا تكفى لتكون في أذهاننا الصورة الواضحة عن هذه الحضارة ، خاصة وأن المخلفات الأثرية تكاد تكون منعدمة فيما عدا بعض الأبنية المتواضعة في خليج بومبا • وحتى هذه ، ربما كانت من عصر متأخر • وقد وصف منازل النسامونيس بأنها كانت تصنع من سيقان نبات ومن البوص ليسهل نقلها من مكان الى آخر • وتحدث عن المقابر التي كان النسامونيس يقسمون عندها ويلتمسون وحيتها • وقد تحدث هيرودوت عن اهتمام النسامونيس بدفن موتاهم جلوسا • وقد سجل الرحالة التيجاني أن إحدى قبائل طرابلس كانت لا تزال تمارس هذه العادة ، وذلك في القرن الرابع عشر • وفي اعتقاد هذه القبيلة أن ابن الميت يظل يتمتع بالرفاهية والاحترام طالما ظل أبوه مدفونا على هذا النحو^{٢٠٤} •

ولا نستبعد أن يكون الليبيون قد استخدموا الأحجار في بناء مساكنهم وقبورهم ، وإن كانت لم تستطع مقاومة عوامل الفناء ومن الطبيعي أن تتصور أن الليبيين بعد أن ألفوا حياة الاستقرار اهتموا بانشاء مساكن ومخازن للغلال وحفروا الآبار • وقد ذكر هيرودوت أنه كان للبسولوى صهاريج لحفظ المياه • وحقيقة أن الأغريق والرومان في برقة والفينيقيين ثم الرومان في طرابلس اهتموا بانشاء خزانات للمياه ، ولكن يستبعد أن يكون تاريخها راجع لفترة سابقة على مقدم هذه العناصر الأجنبية الى أرض ليبيا •

ولم يرد في نصوص هيرودوت شيء عن فن الموسيقى عند الليبيين القدماء سوى ما ذكره عن تلك الصيحات التي كانت النساء يطلقنها في الحفلات • وهذه الصيحات تعتبر من الوجهة الأثربولوجية نوعا من الموسيقى لعابها (الزغاريد) التي نألفها في بلادنا • وهناك الى جانب هذه الصيحات أو الزغاريد رقصات ليبية مرتبطة بالربة أثينا في بحيرة تريتونيس^{٢٠٥} •

ويوضح هيرودوت الى حد ما معتقدات الليبيين الدينية * وكان من أبرزها عبادة مظاهر الطبيعة * ولا بد وأن نفترض أنه كان لنبح أبوللون وغيره من الينايع قدسية خاصة عند الليبيين قبل مجيء الاغريق^{٢٠٦} ومن قصة البسولوى مع الريح يمكن أن نستنتج أن هؤلاء القوم كانوا يخشونها^{٢٠٧} وان كانوا قد جرعوا على تحديها ومحاربتها ، غير أن افتعال القصة واضح * وكان النسامونيس يقصدسون أرواح أسلافهم Manes ويقسمون بها ، ويزورون قبورهم ويلتسمون وحيها * وأورد هيرودوت وصفاً شيقاً لطريقة النسامونيس عند أخذ العهود والمواثيق ، اذ كان من عاداتهم عند أخذها أن يشرب كل من المتعاهدين من يد الآخر ، واذا لم يكن لديهم سائل فانهم يأخذون التراب ويلعقونه ، وهذه عادة تدخل فى باب السحر ، وتعنى أن أحد الطرفين يعطى نفسه للآخر^{٢٠٨} .

وقد ذكر هيرودوت أن الاغريق استمدوا معرفتهم لبوسيدون رب البحر من الليبيين * الذين أولوا هذا الرب التشريف والتمجيد ، وأن الليبيين هم الشعب القديم الوحيد الذى كان عنده اله بهذا الاسم^{٢٠٩} وهذه ملاحظة مهمة ، اذ تشير بوضوح الى وجود اله من آلهة البحر اكتسب شهرة واسعة بين لىبىى الساحل فى القرن الخامس قبل الميلاد * وكانت تقام لهذا الاله الطقوس الدينية حول بحيرة تريتونيس^{٢١٠} ومن الصعب الجزم ما اذا كان هذا الاله لىبىيا أم هو واحد من الآلهة التى يفترض أن شعوب البحر تكون قد أتت بها معها الى لىبىيا * وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين حول هذه البحيرة يعبدون رباً باسم تريتون ، وفى أسطورة الأرجو قاد هذا الاله بطل الأسطورة ياسون فى المناطق الضحلة بالبحيرة من أجل الحصول على المقعد ذى القوائم الثلاث * وبذلك يكون تريتون معبوداً محلياً ، ونشاطه محدوداً بمنطقة معينة ويقرونون به الربة تريتونيس التى حملت بالربة أثينا من الاله بوسيدون^{٢١١} .

وقد لاحظ هيرودوت أن كل الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر وليس لأى اله آخر ، ووصف طريقة تقديم هذه القرابين ، فكانت الطقوس تبدأ بقطع أذن الضحية ، والقائها على مساكنهم ، ثم يقتلون الحيوان

بلى رقبته • ولما كانت عبادة القمر عبادة فينيقية ، فانه من الراجح أن تكون قد انتقلت الى الليبيين عن طريق المدن الفينيقية فى طرابلس • أما عبادة الشمس فهى ديانة وطنية أكدتها صورة الثور الذى يحمل قرص الشمس بين قرنيه • والثور هنا يقرن بالاله آمون رع المصرى • ولعل عبادة هذا الاله ، كما أسلفنا كانت عبادة محلية فى سيوة ثم انتشرت عبادته من هذه الواحة الى ليبيا ، وذهبت بعيداً الى منطقة الجرامنتيس ٢١٢ •

وقد تحدث هيرودوت عن الربة أثينا فى بحيرة تريتونيس ، وقد أسلفنا أنها تقرن بعبادة الربة الليبية نيت بالرغم من أن هذا المؤرخ قد أعطاها الصورة الاغريقية بوصفها ابنة بوسيدون والربة تريتونيس ٢١٣ •

هذا ما كان من شأن القبائل الليبية التى وجدها الاغريق عند قدومهم الى برقة ، والفينيقيون عندما أقاموا مراكزهم التجارية على الساحل الشمالى لطرابلس ، وبينما احتك الاغريق بالليبيين فى برقة واتسمت علاقاتهم بالتوتر ، كان الفينيقيون على العكس من ذلك قد قنعوا بمراكزهم التجارية ولم يتدخلوا بكثير أو قليل فى حياة الليبيين ، وخاصة قبيلة الجرامنتيس • وبينما انتقل حكم برقة الى البطالمة حوالى عام ٣٢٢ ق.م • كانت قرطاجة لا تزال تبسط سيطرتها على المدن الفينيقية الثلاث فى طرابلس •

واذا سلمنا أن سكيلاكس Skylax قد كتب حوالى عام ٣٢٠ ق.م • ٢١٤ فان توزيع القبائل الليبية على حسب هذا المصدر فى العصر البطلمى تكون على النحو التالى :

١ — الأدورما خيداي وموطنهم فيما يلى مصر غربا حتى مدينة أيبس (زاوية الرخم الى الشرق من السلوم) ولا تزال الصفة المصرية غالبة عليهم •

٢ — المارماريداي Marmaridae الى الغرب من القبيلة السابقة وتنتشر فى داخلية برقة حتى تقترب مواطنهم من خليج سرت •

٣ — النسامونيس ، وموطنهم شرق خليج سرت الكبير فى الجنوب

الغربى من برقة ، ويمتد حتى مذبج الأخوين فيلاينى *Philaenorum*

Area

٤ — الماكاي ومواطنهم تقع الى الغرب من موطن النسامونيس وتمتد
حتى نهر كينوبس •

٥ — أكلة اللوتس وتمتد مواطنهم من نهر كينوبس الى جتشييس

Gichthis المواجهة لجزيرة جربة •

ويلاحظ أن اسم المارماريداي يظهر لأول مرة عند سكيلاكس • وقد أعطوا اسمهم الى الاقليم الذى أقامو فيه وصار يعرف باسم مارمريكا أو المرمريق • ويلاحظ ايضا أن اقليم مارمريكا قد شمل موطن قبيلة الجيليجماي والأسبوستاي والأوسخيساي والبكالييس • أما اسم البسولوى فقد اختفى عند سكيلاكس ؛ فهل يعنى اختفاء أسماء القبائل التى وردت عند هيرودوت ، أنها قد ذابت فى شعب المارماريداي أم أن هذا المصدر أغفل ذكرها اكتفاء بذكر المجموعات الكبيرة ؟ على أية حال فإن أسماء هذه القبائل ستعود الى الظهور مرة أخرى فى مصادر العصر الرومانى مما يرجح أن مصدرنا «سكيلاكس» قد اكتفى بالفعل بذكر أسماء المجموعات الكبيرة •

ومعلوماتنا عن ليبيى برقة فى العصر البطلمى تقف عليها من عدة مصادر • من بينها نقش من قورينى مؤرخ بالقرن الثالث قبل الميلاد • ويتحدث النقش عن أن خمسة من قواد قورينى ، احتفالا بنصر أحرزوه فى حرب خاضوها ضد قبائل الماكاي والنسامونيس أهدوا أبوللون عشر الغنائم ، وشيدوا مبنى الستراتيجيوم فى قورينى بمناسبة هذا الانتصار •

وتحدثنا المصادر الأدبية عن أن ماجاس ، وهو أخ غير شقيق لبطلميوس الثانى فيلادلفوس ونائبه فى حكم قورينى ، أعلن استقلاله ببرقة وحالف أطيوخوس الأول وزحف على مصر فى عام ٢٧٤ ق.م • وكاد أن يصل الى الاسكندرية ولكنه توقف بالقرب من مرسى مطروح اذ كانت أرسنوى زوجة بطليموس قد نجحت ، بما جبلت عليه من براعة سياسية ، فى تحريض

قبائل المارماريداي على الثورة ضد ماجاس ، فكان عليه أن يعود بسرعة الى برقة حتى لا يفقد عرشه •

ومن مصادر مصر البطلمية نعرف أن فرق الفرسان الليبية في جيش الملك بطليموس الرابع فيلوباتور قد أسهمت في احراز النصر في موقعة رفح المشهورة في عام ٢١٧ ق م • والتي أنقذت مصر من الوقوع في يد أنطيوخوس الثالث والتي كانت لها أيضاً نتائج بعيدة المدى بالنسبة للأوضاع الداخلية في مصر نفسها • وكان جيش البطالمه يضم ثلاثة آلاف من الليبيين مسلحين مثل المقدونيين وكان يقودهم قائد اغريقى من مدينة برقة (المرج) يدعى أمونيوس •

وفي فترة الصراع بين بطليموس السادس و بطليموس الصغير (فيما بعد بطليموس الثامن يورجتيس الثاني) حوالى ١٦٣ ق م • ذهب الأخير الى روما وترك سومبيتيسيس Sympetesis وهو لىبى ، نائبا عنه في حكم قورينى • وقد اتخذ لنفسه اسم بطليموس • وانهز هذا الأخير فرصة تغيب الملك فأشعلها ثورة ضده ، وحالفه فيها مدينة قورينى والمدن الأخرى والليبيون الذين كانت قوتهم قد تزايدت مما اضطر بطليموس الصغير الى العودة لاستعادة مكاتته في قورينى التى أعاد فتحها من جديد ٢١٧ .

وقد تحدث الشاعر لوكان Lucan في (فارساليا) Pharsalia عن الليبيات الشقراوات اللائى كن في خدمة الملكة كليوباترة ٢١٨ • وقد روى أن أكتافيان استدعى أحد أفراد قبائل البوسولوى في محاولة لانتفاذ كليوباترة من سم الشعبان ولكنه لم يفلح على غير عادة البوسولوى ٢١٩ •

وفيما يتعلق بوضع الليبيين القانونى أو الدستورى في العصر البطلمى فإننا نعرف أن الدستور المنسوب الى بطليموس الأول قد نص على زيادة عدد أعضاء هيئة المواطنين العاملين Politeuma الاغريقية من ألف الى عشرة آلاف • وأدخل في عدادهم أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريقى وذلك في المنطقة الممتدة من كاتاباثموس (السلوم) شرقا وأتومالاكس Automalax بالقرب من العقيلة غربا ٢٢٠ . وهذا يعنى اعتراف البطالمة ضمنا

بأهمية العنصر الليبي • ونرجح أن الليبيين ظلوا متمسكين بنظامهم القبلى وأنهم شاركوا فى حياة القرى المنتشرة فى ريف برقة .

فلا بد أن يكون الليبين — فى ظل نظام الحكم البطامى — دورهم كمزارعين وأجراء فى أرض المدن أو فى الأراضى الملكية . وبالرغم من أنه لم تصلنا تفاصيل ذات شأن عن النظم الادارية والاقتصادية التى سنها البطالة لبرقة ، الا أنه ليس من المتعذر قياس الأوضاع فى برقة على ما كان جاريا فى مصر نفسها . وبذلك يمكن تصور وجود طبقة من الفلاحين الملكيين من الليبين الى جانب الفلاحين أو المزارعين العاديين ، والعاملين فى الرعى والمهن المتصلة باحتكارات الملك ٢٢١ .

وفى الفترة المقابلة لحكم البطالة فى برقة كانت المدن الطرابلسية الفينيقية ماضية فى تدعيم علاقاتها بالقبائل الليبية فى الداخل . وقد زاد نشاط التجارة دون شك نتيجة لسياسة هذه المدن الودية تجاه هذه القبائل اذ لا نسمع عن أية اضطرابات أو مصادمات بين القبائل الليبية ومدن الساحل ، لذلك نرجح أن تلك القبائل استمرت تمارس حياتها بحرية تامة • بل ربما أنها تكون قد أفادت من مشاريع الفينيقين الزراعية من ادخال وسائل الرى الحديثة والمحاصيل التى لم تكن طرابلس تعرفها من قبل . وقد أشار استرابون الى وجود خزان ماء فينيقى فى وادى كعام . وادخال المحاصيل الجديدة مثل الزيتون وانتشار الزراعة الفينيقية لابد وأن يكون نتيجة تعاون مشترك مع الليبين • ونعيد ما أسلفنا ذكره من مساعدة قبائل الماكاي لقرطاجة • فى الاطاحة بمستعمرة دوريبوس التى أنشأها فى وادى كعام ٢٢٢ .

وفى عام ٩٦ ق.م • آلت برقة تركة خالصة للشعب الرومانى بعد وفاة بطليموس أبيون آخر ملوك برقة البطالة وطبقاً لوصيته المشهورة ٢٢٣ • وحوالى عام ٤٧ ق.م. كانت المدن الطرابلسية قد تحولت الى مدن تابعة لروما بعد أن كانت حليفة لها ٢٢٤ . وبذلك شمل الحكم الرومانى ليبيا بشطريها برقة وطرابلس •

ونستمد معلوماتنا عن القبائل الليبية في العصر الروماني من كل من
 استرابون وديودورس الصقلي وبليني الأكبر (القرن الأول الميلادي)
 وبطليموس الجغرافي (القرن الثاني الميلادي) ٢٢٠ • وسنقتصر على ذكر قوائمهم
 بأسماء القبائل الليبية الهامة عند هؤلاء الكتاب مع مقارنتها بقائمتي هيروdot
 واسكيلاكس وذلك على النحو التالي :—

<u>هیردوت</u>	<u>سکیلاکس</u>	<u>استرابون</u>	<u>دیودورس</u>	<u>بلینی</u>	<u>بطلیموس</u>
الادیورماخیدای	الادیورماخیدای	الادیورماخیدای	الادیورماخیدای	الادیورماخیدای	الادیورماخیدای
الاجیاجامای					
الاسیوستای		الاسیوستای	الاسیوستای		الاسیوستای
		الالیبون الهیسیراتی			
	الامارمایدای	الامارمایدای	الامادمایدای	الامارمایدای	الامارمایدای
الاولسخیسیای			الاولسخیسیای		
البکالیس					
الانسامونیس	الانسامونیس	الانسامونیس	الانسامونیس	الانسامونیس	الانسامونیس
الاسولوی	الاسولوی	الاسولوی	الاسولوی	الاسولوی	الاسولوی
الاکای	الاکای	الاکای	الاکای	الاکای	الاکای
		الالیبون الفیتیقون	الالیبون الفیتیقون	الالیبون الفیتیقون	الالیبون الفیتیقون
اکلة اللوتس	اکلة اللوتس	اکلة اللوتس	اکلة اللوتس	اکلة اللوتس	اکلة اللوتس
الجرامتیس		الجیتولیون		الجیتولیون	
		الجرامتیس		الجامفادانتیس	
الجامفارانتیس					
		الفرانی			

ويلاحظ من هذه القوائم استمرار وجود القبائل الليبية الكبرى في مصادر العصر الروماني حتى القرن الثاني الميلادي . وهذه القبائل هي :
الأدورماخيداي والمارماريداي والأوسخيساي والأسبوستاي والنسامونيس
والبسولوي والماكاي وأكلة اللوتس والجرامنتيس *

ويلاحظ أيضا ظهور أسماء جديدة مثل الليبيين المصريين والليبيين
الفيثقيين . وهذه أسماء صفات أكثر منها أسماء أجناس ويظن أن الليبيين
المصريين كانوا يقيمون في الواحات جنوب وادي النطرون ، وأن الليبيين
الفيثقيين انتشروا من رأس مصراته الى شرق قرطاجة *

والى جانب الأسماء السابقة ظهرت أسماء قبائل جديدة مثل الجيتوليين .
وهؤلاء كانت مواطنهم جنوب موطن الليبيين الفيثقيين وفي شمال غرب
منطقة الجرامنتيس ، وقبائل الفزاني ، وهؤلاء كانت مضاربهم شمال المنطقة
الأخيرة .

وتكشف مصادر العصر الروماني المتأخر عن استمرار وجود قبائل
المارماريداي والماكاي والنسامونيس * وقد استمرت هذه القبائل أيضا الى
ما قبل الفتح العربي لليبييا ٢٢٦ .

وتضيف مصادر العصر الروماني مزيدا من المعلومات عن الليبيين الذين
كان على روما مواجهتهم . ويفهم منها أن هؤلاء الليبيين استمروا في ممارسة
مهنهم الأساسية من زراعة وري . وقد استمرت عنايتهم بتربية الخيل
وتدريبها . وقد برع الليبيون في ركوبها وهي غير مسرجة . وقد أولى رؤساء
القبائل تربية الخيل كل عنايتهم ٢٢٧ .

وقد استمر لبيبو العصر الروماني في أكل الجراد على النحو الذي وصف
هيرودوت ، كما أن الليبيين المقيمين حول خليج سرت اعتادوا أكل الأسماك
التي تتخلف على الشاطئ أثناء حركة الجزر * وربما كانوا يأكلون المحار
كذلك ٢٢٨ .

ولم يتوقف نشاط الجرامنتيس في نقل السلع من الداخل الى المراكز التجارية على الساحل . وربما يكون نشاطهم قد ازداد ازاء زيادة حجم تجارة هذه المراكز بعد أن آل أمرها الى الرومان . وكثيرا ما كان التجار وأصحاب القوافل عرضة لأعمال القرصنة وقطع الطرق من قبل بعض القبائل ، التي كان لها معاقل يشنون منها هجماتهم ويحتفظون فيها بأسلابهم وغنائمهم . ويحدثنا ديودورس الصقلي عن طائفة من الليبيين كانت لا تلتزم بالطاعة للملك ، ولا تهتم بإقامة العدالة . وكان أفرادها يعيشون على النهب والسلب ويشنون هجمات مفاجئة غير متوقعة من مراكزهم عبر الصحراء ثم ينسحبون سريعا من حيث أتوا وكانوا يغطون أجسامهم بجلود الماعز ولم تكن لهم مدن أو قرى بل كانوا يقيمون أبراجا بجوار منابع الماء ويحفظون أسلابهم بها . وكانوا يتسلحون بثلاثة رماح وقطع من الحجر يضعونها في حقائب من الجلد ولم يستعملوا السيوف ولم يلبسوا الخوذات اذ كانوا يستهدفون التفوق في السرعة والانقضاض . وكانوا قساة في معاملة أعدائهم يذبحونهم ويسفكون دماءهم ويعاملونهم معاملة اللصوص ٢٢٩ .

وقد اهتم الرومان — كما سنرى فيما بعد — بتأمين طرق القوافل ضد اعتداءات قطاع الطرق وربما يكون الجرامنتيس قد اقتصعوا بالتعاون مع الرومان لتحقيق هذا الهدف .

ولم يقتصر تهديد طرق التجارة على الداخل بل امتد هذا التهديد الى الساحل وكان النمامونيس على سواحل خليج سرت يقومون بالتعرض للسفن واغراقها ٢٣٠ . ولعل الحملة التي وجهت ضدهم على عهد الامبراطور دوميتيانوس — كما سيلي — كانت تستهدف القضاء على هذه القرصنة الى جانب الزامهم بعدم ترك مراكزهم تسهila لمهمة جباة الضرائب وملتزميها .

ويبدو أن رجال القبائل من الليبيين قد اقتصعوا بإقامة مراكز يدفع عندها رجال القوافل نوعا من المكوس أو الأتاوات وهذا مورد دخل أضمن وأفضل مما يمكن الحصول عليه عن طريق النهب والسلب ٢٣١ .

ومن مصادر العصر الرومانى يمكن أن نتبين فيما يتعلق بالمجتمع والأسرة والقبيلة استمرار بعض المظاهر الأساسية التى عرفناها عند هيرودوت من تعدد الزوجات واحترام مكانة المرأة والأهمية التى كانت لرؤساء القبائل الذين وصفوا بأنهم ملوك * والى جانبهم يوجد جماعة الحكام والكبار ٢٣٢ *

وقد استمرت مظاهر حضارتهم ، فى غالبيتها قائمة فى العصر الرومانى . وقد وصف استرابون الرداء الطويل الذى يلبسه لىبيو عصره بأنه لم يكن محبوبا على الجسم وأنه كانت له أطراف عريضة . واستمر كذلك استخدام الليبيين للملابس المصنوعة من الجلد ٢٣٣ * وفى رسوم سلنطة ، وهى من صنع مجتمع لىبى فى العصر الرومانى ، نرى النساء يلبسن مئزرا ينسدل من الخصر حتى القدمين ٢٣٤ .

ولم تذكر مصادر العصر الرومانى شيئا عن معادن ليبيا ويبدو أن الأسلحة التى استعملها الليبيون فى العصور السابقة ظلت مستعملة فى هذا العصر كذلك * وهذا ما نستطيع أن نتبينه مما ذكره «ديودورس» عن أسلحة تلك الطائفة من الليبيين التى كانت ترتكب أعمال النهب وقطع الطريق ٢٣٥ .

واستمر الليبيون فى العصر الرومانى فيما يبدو فى سكنى منازل بسيطة . هى فى الواقع مساكن متنقلة وهى المعروفة باسم Mapalia عند الكتاب الرومان . وكانت فى الغالب مصنوعة من فروع الأشجار على نحو ما وصفه هيرودوت بالنسبة لمساكن النسامونيس . ويرجح أن الخيام المصنوعة من الجلد ، والتى كان يستخدمها لىبيو الدولة الحديثة استمرت مستعملة حتى العصر الرومانى . وهناك منازل ثابتة أشار إليها بلينى . وكان هيرودوت قد ذكرها عند حديثه عن الجرامنتيس * وعند هذين الكاتبين كانت هذه المنازل تصنع من أحجار الملح ٢٣٦ .

ونعرف من مصادر العصر الرومانى أن الليبيين كانوا يقدسون مظاهر الطبيعة المختلفة مثل لىبي هيرودوت . وكانوا يتصورون وجود أرواح وجن

وشياطين مختفية تحت الحجارة أو في الآبار وعيون الماء . وكانوا يرصدون الكواكب والنجوم بل ان الامبراطور سيبتيميوس سيفيروس ، وهو من بلدة كما نعرف ، كان مهتما بهذا الفن . واستمرت عادة تقديس أرواح الأجداد على نحو ما عرفنا عن النسامونيس^{٢٣٧} .

وكان الليبيون يمارسون السحر . وقد يدخل في هذا الباب ما عرف عن البوسولوى من قدرتهم المدهشة على سحر الثعابين والشفاء من لدغاتها . ويقول بليني أنه في أجسام هؤلاء القوم نوع معين من السم قاتل للشعابين ورائحة هذا السم التي تفوح من أجسامهم ، كافية لاصابة الثعبان بالخدر وتسلمه الى الاستكانة ، وأنه كان من عاداتهم تعريض أبنائهم فور ولادتهم لأشد أنواع الأفاعى فتكا اثباتا لوفاء زوجاتهم ، فاذا لم تنفر الأفعى من الوليد فهذا دليل على شرعية مولده . وقد عرفنا عن البوسولوى هذه القدرة على الشفاء من عضات الثعبان ولدغة العقرب ، حتى أن أكتافيان ، كما أسلفنا استعان بواحد منهم لينقذ كليوباترة وان كان هذا الليبى لم ينجح في مهمته . وكانت من عادة هؤلاء القوم أنه اذا عضت حية قرناء شخصا ما أن ييصق أحدهم مكان العضة . واذا كانت العضة خطيرة فان الشخص المعالج كان يعض فمه بماء يسكبه في كأس ويدفعها الى المصاب ليشرب منه . أما اذا ساءت حال المصاب ولم تجد الوسائل السابقة فانه كان يرقد ملتصقا به . وبما له من قوة خاصة يستطيع أن يقهر السم^{٢٣٨} .

وكان السحر الأسود معروفا عند الليبيين كذلك ، كما هو الحال في كل شمال أفريقيا . وقد ساد بينهم الاعتقاد بالعين الشريرة . وتتردد الأقوال عن وجود بعض الأسر الليبية من السحرة أو المشعوذين الذين لهم القدرة بفضل نوع من التعاويذ أو الرقى — أن يهلكوا الماشية وأن يصيبوا النخيل بالذبول وأن يميئوا الأطفال^{٢٣٩} .

وقد استمر النسامونيس في دفن موتاهم جلوسا^{٢٤٠} . ولكنهم كانوا أيضا يلقون بموتاهم في البحر . وقد يفسر ذلك بوجود بعض رواسب الماضى عندما كانت شعوب البحر تنزل بسواحل ليبيا أو قد تفسر بأن النسامونيس

كانوا يحصلون من البحر على أرزاق كثيرة ولذلك يجب أن تعود اليه
أبدانهم ٢٤١ .

وقد كان الجرامنتيس يهتمون بقبور موتاهم التى تنتشر فى وادى
الآجال وهى مشيدة من الحجر . فى حين أن مساكنهم لم تكن غير الخيام .
وهناك ما يدل على وجود موائد القرايين التى تقدم للموتى عند دفنهم *
ويلحق بالقبور من الخارج مائدة قرايين من الحجر . وكانت أسرة الميت
تستخدمها بعد اغلاق المقبرة ٢٤٢ .

وقد اهتم اللييون بصفة عامة باقامة المقابر أو الأضرحة ، وكانت توجد
فى كل مناطق طرابلس الرومانية . والموجود منها على الساحل مهدم وليس فى
حالة جيدة . أما الموجود منها فى الداخل ، فيعد نموذجا حسنا للأضرحة
الليبية وهى كثيرة فى الجبل وفى الوديان الجنوبية حيث توجد مزارع أهل
الشعور العسكرية . وتنقسم هذه الأضرحة الى نوعين : نوع من المقابر من
طراز المعابد ، ونوع آخر على شكل المسلة . وأحسن نماذج النوع الأول
ضريح جرزة الذى شيده شخصان هما نيميرا Nimira و فيضيل Fedel
من أجل والديهما ناصف Nasif وماثلييتش Mathlich وتاريخ هذا الضريح
يعود الى القرن الرابع الميلادى * وفى قصر أم الأحمد Umm el - Ahmed
فى وادى نقد ضريح يؤرخ بالقرن الثالث الميلادى وهو من نوع المسلة ٣٤٤ *

ومن المهم أن نذكر أن عبادة الاله آمون استمرت محتفظة بمكانتها
لدى ليبيى العصر الرومانى ذلك أن أحد رجال القبائل الليبية ويدعى
تاكساف Taksaph عهد الى مهندس معمارى رومانى بأن يشيد هيكلًا
صغيرا للاله آمون فى مرتفع ترهونة وسجل أنه كرس هذا الهيكل لعبادة
آمون وذلك فى نقش باللغة الفينيقية الحديثة يعود تاريخه الى عام
١٥ - ١٦م ٢٤٠ .

وبعد أن آلت برقة الى روما فى عام ٩٦ ق م * عهد بادارتها الى مجلس
الشيخ الرومانى ، الذى اكتفى بضم الأراضى الملكية وترك للمدن حريتها .

ولكن ذلك أسلم هذه المدن لأعمال العنف والطغيان . وتعاقب على حكم برقة في تلك الفترة نفر من الطغاة مثل «فايديموس» • وقد قتله «نيكوكراتيس» ، وحل محله كطاغية للمدينة • وتزوج من السيدة «أرتافيل» ؛ أرملة الطاغية القتيل . ولكنها أقنعت «لياندر» ، شقيق زوجها الطاغية الجديد بقتله • بيد أنه ازاء قسوة «لياندر» استعانت «أرتافيل» بزعيم قبيلة ليبية مجاورة ، يسمى «أنابو» ، الذى لم يتردد فى دخول المدينة برجاله^{٣٤٦} • وهكذا استمر تدخل الليبيين فى المدينة فى الفترة ما بين عامى ٩٦ و ٧٥ ق.م • ولانستبعد أن الليبيين انتهزوا فرصة الاضطرابات الداخلية السائدة فوضعوا أيديهم على بعض الأراضى الملكية ، كما فعل الاغريق • وكانت الحكومة الرومانية تحاول استرداد هذه الأراضى وطرد هذه العناصر منها . وربما ترتب على ذلك صدام بين القوات الرومانية وبين هؤلاء الليبيين ، وان كانت مصادر هذه الفترة من العصر الرومانى لا تفصح عنها . ولكن «استرابون» نص على أن سكان برقة كانوا يتكونون من عدد من العناصر، التى كان من بينها عنصر المزارعين Georgoi وهؤلاء غالبا ما كانوا ليبين من بقايا طبقة المزارعين على عهد البطالمة .

وعندما آل أمر روما وامبراطوريتها الى الامبراطور أغسطس فى عام ٢٧ ق.م. وزع حكم الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ الرومانى . وقد ألحقت برقة بجزيرة كريت ، وكوتنا معا ولاية مزدوجة من جديد اذ كانتا تكونان هذه الولاية من قبل فى عام ٦٧ ق.م • وعهد بحكم الولاية المزدوجة الجديدة الى مجلس الشيوخ . أما فى الشق الغربى من ليبيا ، فقد ضمت طرابلس الى ولاية أفريقية . وعهد بآدارة هذه الولاية أيضا الى مجلس الشيوخ^{٢٤٨} .

وكان على الحكم الرومانى الجديد على عهد الامبراطور أغسطس مواجهة ثورات القبائل الليبية فى مارمريكا والوقوف فى وجه الخطر القادم من منطقة سرت ، حيث كانت قبيلة النسامونيس القوية . وكان على روما أن تحتل افريقيا احتلالا عسكريا صريحا ، لأن هذه هى الطريقة الوحيدة

لحماية الوجود الرومانى فى هذه المنطقة . وفعلا خضعت كل المنطقة الشمالية الساحلية من لبدّة حتى الأطلنطى لحكم روما . وكان من السهل على روما أن تتعامل مع القبائل الليبية ، التى تقيم فى مناطق قريبة من الساحل ، والتى كانت قد ألفت حياة الاستقرار والزراعة . وكان النسامونيس فى شرق طرابلس ، يقومون بتحركات موسمية ، كما عرفنا عند هيرودوت ، ولم تعجب هذه التحركات جباة الضرائب وملتزميها من الرومان ، اذ كان يهمهم بقاء القبائل فى أماكن ثابتة لتسهيل عملية جباية الضرائب . وعمل الرومان على أن يحلوا محل قرطاجة ، ومن ثم ورثوا علاقاتها التجارية مع الجرامنتيس ، تلك القبيلة القوية ، التى قال تاكيتوس عنها أنه لا يمكن قهرها . وقد انتشرت مواطن الجرامنتيس فى العصر الرومانى من فزان الى منطقة ملاصقة لخليج سرت . وربما كانت منطقة انتشارهم قد امتدت جنوبا بشرق حتى وادى النيل . وبفضل عددهم الضخم واتساع رقعة منطقتهم جغرافيا ، اكتسبوا مكانة ممتازة فى هذه المنطقة التى انتشروا فيها . وقد جمعوا الى عملهم كوسطاء فى نقل المتاجر الى الساحل ، امتهانهم للزراعة والرعى . وكان الجرامنتيس فى الوقت نفسه يقومون بهجرة موسمية من مناطقهم فى فزان والصحراء الواقعة فى شمالها الى المناطق المرتفعة الواقعة الى الشمال من منطقتهم ، حيث المكان المناسب لرعى ماشيتهم . وأراد الرومان أن يكونوا القوة الوحيدة فى هذه المناطق ، التى اعتاد الجرامنتيس التنقل فيها بحرية . وهذا ما لم يتحملة هؤلاء القوم . وكان الجيتوليون قد سبقو بالثورة ضد روما . وبادر الجرامنتيس الى مساعدتهم . وهذا فى حد ذاته تحد صارخ لروما . وسواء أكان هذا هو السبب المباشر لحدوث الفرقة بين روما ، وبين هذه القبائل ، أم انه كان مجرد مبرر لها ، فان الصدام بين القوتين كان لا بد وأن يقع . وفى عام ١٩ ق.م. قاد البروقنصل « لوكيوس كورنيليوس بالبوس » **Lucius Cornelius Balbus** ، وهو من مواطنى مدينة قادش بأسبانيا ، حملة تحركت بسرعة الى فزان ، حيث أخذت الجرامنتيس على غرة . وقد قص بلينى أبناء هذه الحرب وتفهم منه أن مدنا للجرامنتيس وقعت فى يد

الرومان ، وهى جراما ، عاصمة الجرامنتيس ومقلهم وواحة كيداميس (غدامس) ، وثالجاى وديبريس . وقد كرم بالبوس بأن أقيم له حفل للنصر . وفى موكب النصر عرضت الى جانب كيداميس وجراما أسماء ونماذج لكل الشعوب الأخرى ومدن فزان ، يهنا منها جبل « جورى » Gyri وكان يسبق هذا الاسم نقش نص فيه على أن هذا الموقع كانت تستخرج منه الأحجار الكريمة .

ويعتبر نجاح بالبوس من الأهمية بمكان . اذ لم يسبق لروما أن نقلت الحرب الى قلب الصحراء . وكان عليه أن يسير ثلاثين يوما فى منطقة ينذر فيها الماء قبل أن يبلغ معاقل الجرامنتيس فى فزان . ومن الصعب التعرف على المدن التى ذكرها بلينى ، وخصوصا جبل «جورى» الذى ذكر أنه موطن انتاج الأحجار الكريمة . اذ أن ذلك يكشف عن طبيعة تجارة الجرامنتيس وأهميتها .

ومن المحتمل أن هدف الحملة كان تحطيم قوة الجرامنتيس واشعارهم بقوة روما . ولكن تحطيم قوة الجرامنتيس لم يكن بالأمر السهل ومع ذلك فقد كان نجاح بالبوس فى مهاجمتهم فى عقر دارهم ، وهذا أمر لم يتوقعوه من قبل ، وما خلفه بالبوس وراءه من آثار التخريب والتدمير ، صدمة عنيفة لهم وانذارا لهم أنه ليس من السهل تحدى قوة روما العسكرية . فكان عليهم بعد ذلك أن يكونوا على حذر من التدخل فى كل ما من شأنه أن يغضب روما . وهذا الحذر جعلهم يسهمون فى أوجه النشاط المعادى للرومان والذى كان يبذله جيرانهم . من ذلك مثلا أنهم أمدوا قبائل المارماريداي فى برقة بمساعدتهم . وجاءت قوات منهم تشد أزهرهم^{٢٤٩} . وتصدى لهذا الهجوم المشترك على برقة «بوبليكوس سوليبيكيوس كويرينيوس» ، بروبرايتور ولاية كريت وبرقة .

وقد عثر فى قورينى على نقش يتحدث عن نهاية حرب مارمريكا Polemos Marmarikos وعلى نقش آخر يتحدث عن تكريم أحد مواطنى المدينة ، لأنه فى (حرب مامريكا) جابه الخطر وصد الهجوم ، الذى تعرضت

له المدينة . وقد يفهم أن النقشين انما يتحدثان عن حرب واحدة أو عن حربين ضد المارماريداي . ولا يعرف ما اذا كان النقش الأول يتحدث عن الحملة التي قادها سولبيكوس كويرينيوس ، أم أن روما كانت تخوض سلسلة من الحروب لتخضع قبائل المارماريداي ، التي بدا خطرهما واضحا في العصر البطلمي . وبذلك يكون النقش الأول مجرد تعبير عن تفاؤل الرجل الذي قام بنقشه . ويرجح البعض أن الحرب وقعت في عام ٢٠ ق.م. ويؤرخها البعض الآخر بعام ١٥ ق.م. فاذا كان التاريخ الأول صحيحا ، فإن حملة سوليكيوس كويرينيوس « كانت مرتبطة بحملة بالبوس ضد الجرامنتيس في فزان . واذا سلمنا بذلك ، فإن هذا يعنى أن المارماريداي شنوا هجومهم على برقة في الوقت الذي كانت فيه قبائل الجرامنتيس تتحدى سلطة روما في طرابلس وتدعم ثوة قبائل برقة . وكان لا بد من تنسيق العمليات العسكرية ضد هذه القبائل مجتمعة .

وهناك رأى ثالث يؤخر تاريخ هذه الحرب الى عام ١٢ م . اذ أن «كويرينيوس» كان يتقلد القنصلية في تلك السنة . وصادف أنه في ذلك التاريخ كان في اجدايا جند رومان حاربوا في سوريا ، فلعله أتى بهم عندما كان يعمل قائدا هناك . وقد يدعم من رأى القائلين بهذا التاريخ أن المؤرخ «فلوروس» *Florus* كتب عن حملة قادها «كويرينيوس» ضد المارماريداي والجرامنتيس ، وعن حملة أخرى قادها «كورنيليوس كورسوس» ضد قبائل الجيتولين والموسولامي *Musulamii* وهذه الحملة كانت في عام ٦ م . وعلى كل حال كان على قوريني أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة كل خطر قد يأتياها من المارماريداي أو من حلفائهم الجرامنتيس . وقد عمل البروقنصل بروكولوس على تقوية تحصينات المدينة ٢٥٠ .

وفي عهد الامبراطور تيريوس ثارت قبائل الموسولامي في نوميديا (= الجزائر تقريبا) بزعامة «تاكفاريناس»، وهو جندي كان يعمل في الفرق المساعدة الرومانية . وبفضل خبرته العسكرية درب رجاله على أساليب الحرب عند الرومان . وقد تطلب اخماد الثورة أن يبذل الامبراطور ومجلس الشيوخ

جهودا مضنية • وأرسل الامبراطور الى نوميديا الفرقة التاسعة الاسبانية
Legio ix Hispania بقيادة دولابلا في عام ٢٠ م. ليدعم بها الفرقة
 الأوغسطية الثالثة • ويبدو أن الحرب امتدت الى منطقة سرت ، أو أن
 السلطات الرومانية خشيت أن تمتد الى هذه المنطقة ، لذلك فانها اهتمت
 بأن تعسكر قوة رومانية بالقرب من مدينة لبدة لتحول دون اتصال الثائر
 النوميدي بالجرامنتيس • وبالرغم من ذلك ، يبدو أنه كان ينبجح في الاتصال
 بهم والالتجاء اليهم ، كلما شدد الرومان النكير عليه • وفجأة أمر الامبراطور
 بسحب الفرقة الاسبانية من أفريقيا ، مما سهل على تاكفاريناس اقناع ملك
 الجرامنتيس في الانضمام اليه صراحة • ولكن هذا الملك ، ولم يكن قد نسي
 بعد هزيمة قومه على يد «بالبوس» ، أمدّه بفصائل صغيرة من الجند • ولم
 يكن في استطاعة السلطات الرومانية أن تنفذ الى الجرامنتيس حملة تلزمهم
 بالتخلي عن الزعيم النوميدي • وعندما قتل تاكفاريناس في عام ٢٤ م. كان
 على الجرامنتيس أن يتوقعوا أن تنزل بهم روما أشد العقاب. ولذلك ذهب رسل
 منهم ، كما يقول «تاكيتوس» ، مع دولابلا ليلتمسوا الصفح من الشعب
 الروماني • ومن المرجح أن روما رحبت بهؤلاء السفراء ولم تشأ التعرض لهم
 بأي أذى • ويبدو أنها ، على العكس من ذلك ، حمدت للجرامنتيس أن أعطوها
 الحجة حتى لا تشن الهجمات على فزان وهي تعلم أن قواتها لن تنجح فيها •
 اذ أن انتصار «بالبوس» لم يكن الا لأنه أخذ الجرامنتيس على غرة • أما
 الآن فمن الواضح أن الجرامنتيس أصبحوا مستعدين لكافة الاحتمالات ٢٥١ •

وفي عهد الامبراطور تيبيريوس أيضا شق البروقنصل أيلوس لاميا
L. Aelius Lamia (١٥ — ١٦ م) طريقا الى مسافة أربعة وأربعين ميلا
 موليا وجهه شطر الجنوب الغربي من لبدة الى مرتفع ترهونة • وبالرغم من أن طريق
 لاميا هذا قد أدمج فيما بعد في الطريق الاستراتيجي الذي كانت تقوم على
 حراسته فصائل عسكرية رومانية ، الا أنه ليس هناك من دليل على أنه قام بمهمة
 عسكرية خلال سنواته المبكرة • وبالتأكيد كانت السياسة الرومانية موجهة

خلال القرنين الأول والثاني الى التحكم في شئون القبائل أكثر من اهتمامها
باقامة الشغور العسكرية ٢٥٢ *

وفي عام ٦٩ م • انتهزت مدينتا لبدة وأويا فرصة اضطراب
الأوضاع في روما بعد وفاة الامبراطور نيرون لتسوية خلاف بينهما لعل الدافع
اليه كان المنافسة التجارية بينهما • وطلبت أويا مساعدة الجرامنتيس الذين
أجابوها الى طلبها • وتصدى لهم هذه المرة فاليريوس فستوس Valerius
Festus حاكم نوميديا الروماني وكان الجرامنتيس يعتمدون على أنهم عندما
يعجزون عن مواجهة قوة روما ، فانهم ينسحبون الى الصحراء والى معاقلمهم في
فزان ، وردم آبار المياه أثناء هذا الانسحاب • ولكن فستوس اندفع بسرعة
مدهشة نحو الساحل فحرر لبدة وهزم الجرامنتيس واستعاد كثيرا من الأسلاب
التي كانوا قد غنموها وطاردهم في الصحراء • وقال بلينى ان هذا القائد وجد
طريقا قصيرا عبر الصحراء يعرف باسم Iter Praetor Coput Saxi
وقد يكون حاليا (باب رأس الحمادة) وربما كان الطريق الذى ينتجه جنوبا من
أويا مارا بغريان ومزدة والقرية الغربية • ولا يعقل أن يكون مثل هذا الطريق
مجهولا للجرامنتيس وهم أعرف بمنطقتهم • ولذلك فان البعض يفترض أن
الفضل في اختراق هذا الطريق وبهذه السرعة إنما يعود الى استعمال الرومان للجمل •
وكان الجرامنتيس لا يقبلون على استعمال هذا الطريق لأن خيلهم كانت لا تستطيع
تحمل العطش ٢٥٣ *

ويبدو أن الأمر كان قد استقر للرومان في فزان اذ جعلوا منها قاعدة
أرسلوا منها حملتين بمساعدة الجرامنتيس الى داخل افريقيا ، واحدة على عهد
الامبراطور دوميتيانوس (٨١ — ٩٦ م) قادها فلاكوس قائد الفرقة الأوغسطية
الثالثة الى السودان فيما يرجع ٢٥٤ والثانية بلغ فيها يوليوس ماتيرنوس منطقة
تبستى حيث الأثيوبيون سكان الكهوف •

وتكشف هاتان الحملتان عن التعاون بين الرومان والجرامنتيس .
ويحتمل أن الجرامنتيس اضطروا الى قبول هذه الصداقة بعد أن رأوا أن

الرومان يستطيعون الوصول الى معاقلهم في فزان مرة أخرى بفضل الجبل • وربما كان هدف الرومان ادخال تحسينات على وسائل نقل التجارة من الداخل الى الساحل وتمكين التجار الايطاليين والرومان من اقامة وكالات لهم في جراما عاصمة الجرامنتيس . وقد عثر في ضريح روماني في هذه المدينة على أوان من الفخار والزجاج والمصاييح ونسيج من الصوف المتعدد الألوان والمصبوغ بالصبغة الأرجوانية من صناعة صور . وتظهر أيضا مجموعة في سلع البحر الأبيض ، كثير منها روماني • وقد وصلت هذه الى فزان في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول والقرن الرابع أو ما بعده . ويبدو أن الضريح نفسه يعود تاريخه الى القرن الثاني . وفي رأى البعض أن هدف التجار الرومان لم يكن الحصول على الذهب والعبيد والعاج وريش النعام فليس هناك من دليل على أن مصدر هذه السلع كان فزان ، انما هدفهم كما يفهم من بلينى هو الحصول على الأحجار الكريمة Carbuncle وقبل ذلك بقرن أشار استرابون الى أن فزان هي البلاد التي كان يأتي منها العقيق الأحمر ٢٥٥ .

وفي الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين الجرامنتيس والرومان قد بدأت تدخل في دور الهدوء كانت قبائل النسامونيس في عام ٨٥/٨٦م. قد ضاقت ذرعا بجباة الضرائب الرومان الذين أجبروا السلطات الرومانية على الزامهم بعدم ترك مناطق اقامتهم أى أنهم حالوا بينهم وبين حرية الهجرة الموسمية الى أوجلة . وجرّد عليهم الرومان حملة لقيت هزيمة ساحقة على يد النسامونيس الذين احتلوا معسكرهم وبدلاً من قيام النسامونيس بمطاردة فلول الرومان أقبلوا على دنان الخمر التي وجدوها في المعسكر يشربون منها حتى ثملوا ، وكان من السهل على الرومان بعد ذلك أن يكروا عليهم . وذبحوهم الا قليلا منهم فروا الى الصحراء • وقد تاه دوميتيانوس فخرا وهو يقرر أمام مجلس الشيوخ الروماني أنه لن تقوم للنسامونيس قائمة بعد ذلك ٢٥٦ ولكن من الواضح أن النسامونيس استمروا في كل مصادر العصر الروماني دون أن تقضى عليهم هذه الهزيمة قضاء تاما .

وكان القرن الثانى الميلادى بالنسبة لطرابلس بصفة خاصة والامبراطورية الرومانية ، بصفة عامة فترة هدوء وسلام ورخاء . ولكن الغيوم ما لبثت أن تكاثفت فى آخره اذ قامت قبائل الجرمانتييس والنسامونيس من جديد بالاغارة على الأقاليم الساحلية من طرابلس على عهد الامبراطور سيثيميوس سيفيروس (١٩٣ - ٢١١ م) وتمدنا المصادر الأدبية بمعلومات نعرف منها أن ثمة حملات وجهت فى عهد هذا الامبراطور ضد هذه القبائل ولعله قدم بنفسه وأحبط هجوم هذه القبائل اذ أنه زار لبدّة مسقط رأسه وبدأ فى اقامة سلسلة من الثغور العسكرية قصد به مواجهة تهديد قائم بالفعل أكثر مما قصد من ورائها أن تكون مستعدة لمواجهة خطر متوقع . وقد تابع ابنه كاراكلا اقامة هذه الثغور وأتمها الامبراطور اسكندر سيفيروس . وتعرف هذه الثغور باسم Limes Tripolitanus وتحتل المنطقة الواقعة الى أقصى الشرق من سلسلة الثغور التى كانت تحمى الولايات اللاتينية فى أفريقيا الرومانية وهى تبعد لمسافة ١٠٠٠ كم من TCsis Tamalleni (تيلمين Telmino الحديثة) على حافة بحيرة شط الجريد بتونس الى آخر نهايتها الشرقية عند مذبح الأخوين على حدود برقة القديمة ، وعند القسم الشرقى من هذه الثغور لمسافة ٣٠٠ كم من سبخة تاورغا الى المذبح . والقسم الأوسط من منطقة الثغور الممتدة من حدود تونس الى سبخة تاورغا ، من أهم أقسام منطقة الثغور من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، اذ كانت المنطقة خط الدفاع الفعال لمدن الساحل المزدهرة صبراته وأويا ولبدّة فى مواجهة القبائل اللبية فى الداخل . وفى الوقت نفسه كانت توفر الحماية الكافية لمنطقة الزراعة ذات الأهمية الكبيرة فى اقتصاديات طرابلس ، اذ أنها كانت منطقة زراعة الزيتون عماد ثروة اقليم طرابلس .

وقد سبقت الإشارة الى الطريق الذى شقه البروقنصل لاميا L. Aelius Lamia (١٥ - ١٦ م) لمسافة ٤٤ كم فى اتجاه جنوبى غربى من لبدّة الى مرتفع ترهونة ، وأن السياسة الرومانية كانت تميل الى التحكم فى القبائل اللبية أكثر من اهتمامها باقامة ثغور عسكرية. وقد تخلى الامبراطور

سيبتييموس سيفيروس عن السياسة التي تهدف الى السيطرة على المناطق الصحراوية بارسال حملات من المدن الساحلية تسير الى مسافات طويلة لتصل الى معقل القبائل الليبية مثلما حدث بالنسبة لقبيلة الجرمانتيس . وقد تميزت نهاية القرن الثانى الميلادى بتزايد ضغط القبائل مما جعل هذا الامبراطور يبادر الى تنظيم سلسلة من الثغور العسكرية قادرة على مواجهة تهديدها . والواقع أن المؤرخ ليردد كثيرا فى قبول الفكرة القائلة بأن الصحراء ظلت هادئة بصفة عامة، فى الفترة ما بين حكم الامبراطور كومودوس (١٧٧ - ١٩٢م) والامبراطور جودريانوس الثانى (٢٣٨ - ٢٤٤م) * ٢٥٧ .

وقد عثر على عدد لا يحصى من المنشآت الدفاعية الصغيرة ، ليس فقط على طول حافة الجبل الأخضر ، ولكن أيضا فى المنطقة الممتدة من زنتان الى سبخة تاورغا . وتنتشر الثغور فى وادى سوف الجين ووادى زمزم . وكانت تقوم فى هذين الواديين حياة زراعية مستقرة . وقد كشف عن بقايا طريق عسكرى تدافع عنه مراكز عسكرية فى منطقة سوف الجين . وكانت مهمة الطريق الجبلى الممتد من تونس الى لبدة أن يوفر الحماية اللازمة بطريقة فعالة للأراضى الواقعة الى ما وراء لبدة ولم يكن هذا الطريق منذ عصر سيبتييموس حصينا ، الى الحد الذى أصبح معه حاجزا بالمعنى المفهوم بين المدن الساحلية وقبائل الداخل . وكانت منطقة الثغور الطرابلسية عبارة عن سلسلة من المراكز التى كانت تنتشر جنوب خط زنتان - لبدة وتمتد حتى وادى زمزم محتضنة كل وادى سوف الجين على اتساعه . وفى عصر سيبتييموس سيفيروس شيدت قلعة فى غدامس ، وامتدت الطرق العسكرية الى مزدة فى عهد ابنه كاراكلا . وفى عهد اسكندر سيفيروس شيدت قلعة القرية الغربية . وتقوم الأدلة على وجود طريق رومانى يتفرع من طريق الجبل فى منطقة جادو أو زنتان ويسير جنوبا بشرق الى مزدة حيث كان يتقابل مع طريق هام يصل أويا بفزان . وكانت مزدة تتوسط منطقة ثغور عسكرية تمتد شرقا وتمتد غربا . وجنوبى هذه المنطقة خط ثغور آخر يمتد من غدامس الى القرية الغربية ثم الى بونجهم ، والملاحظ أن كل هذه المواقع تقع تقريبا على خط عرض واحد ٢٥٨ .

وفي المنطقة الممتدة من النوفلية الى مرسى بريقة كانت كل المزارع محصنة وان كان من المرجح أنها تنتمي الى العصر البيزنطى . وتوجد قلعة كبيرة عند رأس بن جواد . وعند مرسى بريقة تبدأ منطقة كانت فى العصور القديمة ولا زالت حتى الآن منطقة يكثر بها البدو وكانت أكبر مراكزها بوريوم . وهى قرية ازدهرت حول حصن عند رأس بوقراة . ويتناثر حول هذه المنطقة عدد كبير من القلاع القديمة . وكانت بوريوم وهذه القلاع والمزارع المحصنة خط دفاع يحول دون توغل القبائل الليبية نحو الشمال الشرقى الى قلب منطقة المدن الخمس . وكانت أجدايا بتحكمها فى الطريق الى أوجلة مفتاح منطقة الثغور الواقعة حول خليج سرت فى القرن الأول الميلادى . وبين أجدايا وبنغازى يوجد عدد من المباني المحصنة تشتمل على مجموعة من القلاع التى يطلق عليها اسم القلاع الليبية الرومانية متناثرة حول قمينس . ويوجد حصن رومانى فى زاوية الطيلمون . وطبيعة هذه المواقع تعطى الاحساس بوجود مجتمع وطنى مسته الحضارتان الاغريقية والرومانية مساً خفيفا وكانت فى العصر الرومانى تؤدي مهمة الوسادة التى تتلقى هجمات قبائل سرت . واذا كانت للقلاع حول قمينس الطابع الليبى ، فانه من المرجح أن تكون قبائل الماكاي الليبية ، وقد أصبحت موالية للرومان أو البيزنطيين ، هى التى قامت بتشبيدها وتحت اشراف هؤلاء . وبينما كانت أجدايا بمثابة رأس الرمح بالنسبة لمنطقة الثغور الرومانية فى منطقة خليج سرت ، كان خط الدفاع الخلفى يتكون من ثلاث قلاع هامة فى زاوية الطيلمون ، واشليديما ، وزاوية مسوس . وشمال هذا الخط الدفاعى يوجد عدد من المباني الصغيرة المحصنة . وتاريخها غير معروف وتنتشر حتى أطراف مدينة بنغازى ٢٥٩ .

وبين بنغازى وبطوليميس نجد عدداً من الحصون الصغيرة ومعظمها من العصر البيزنطى متناثرا فى السهول الساحلية . ولكن هذه الحصون ما كانت لتقوم بمهمة الدفاع عن المنطقة دفاعا مرضيا وكان من المهم الدفاع عن سهل المرج الخصب وذلك بإقامة مجموعة من الحصون والمزارع الخصبة على الطرق الغربية والجنوبية التى تؤدي الى هذا السهل .

وبصفة عامة يمكن القول بأن أقصى منطقة انتشرت فيها مواطن الاستقرار في منطقة المدن الخمس كانت عند الخط الممتد من الأبيار الى المخيلي ماراً بخروبة ، ولكن لم يعثر في المنطقة على مخلفات اغريقية رومانية ، وهذا يجعلنا نحس أننا بصدد منطقة كانت خارج نفوذ الاغريق والرومان . والحصون التي عثر عليها في المنطقة تعود الى أوائل العصر الاسلامي ولكن المهم أن أحدها يحتل موقع مزرعة ليبية كانت قائمة في العصر الروماني . وهذا الحصن هو قصر تيكاسيس *Tecasis* . وبالقرب من هذا القصر عثر على حائط لايزيد عرضه على ٧٠ سم . ويعترض وادي سمالوس *Sammalus* ثم يستمر في الصحراء المكشوفة لمسافة ثلاثة أميال ، ولعل هذا الحائط كان علامة على منطقة حدود للقبائل الليبية .

وإذا سرنا بالقرب من منطقة الغابات في برقة وسلكنا طريقا يمتد من الغرب الى الشرق ، وهو المعروف باسم طريق عزيزة الذي يكتنف الينابيع والآبار في أقصى جنوب الهضبة ، والواقعة على الخط الذي يصل بين الأبيار ومرادة وبويرات وخولان ، لوجدنا عددا من الحصون المشيدة من الحجر بشكل غير مهذب . ومن المحتمل أن هذا الخط يمثل أقصى ماوصل اليه الاغريق والرومان في هذه المنطقة . وأن المنطقة الواقعة جنوب طريق عزيزة ، قد ترك للقبائل الليبية .

والمنطقة الممتدة الى الشرق والى الغرب من قوريني ، مليئة بالمواقع القديمة وبعضها قرى متسعة والبعض الآخر عبارة عن مزارع حصينة . وكل ذلك يظهر مدى صعوبة الحياة في منطقة المدن الخمس اذ كان الغزاة الليبيون يستغلون طبيعة وادي الكوف فيشنون منه هجماتهم على هذه المدن . وكان الهدف من انشاء قصر بنى قدم وقصر شيادن في منطقة وادي الكوف منع الليبيين من شطر الولاية شطرين اذا نجحت هجماتهم على الاقليم . واذا كانت الثغور في هذه المنطقة تفود الى الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والسابع الميلادى الا أن ذلك لا يمنع من القول أن منطقة وادي الكوف كانت في

العصر الرومانى أيضا مصدر قلق وازعاج للمدن الخمس على الأقل فى أواخر القرن الثالث الميلادى •

وكانت بعض المواقع الحصينة تحمى المسالك الشرقية الى المدن الخمس والطريق من دارنيس الى الداخل فى اتجاه الميلى •

ويلاحظ ندرة هذه المواقع فى خليج بومبا • ونظرا لوجود عدد من القلاع والحصون فى الأرض المنزرعة وقرب الساحل فان ذلك يعنى أن كل المنطقة تحولت الى منطقة تغور ابتداء من القرن الخامس •

ونخلص من هذا الى القول بأن نظام الدفاع عن برقة ، مدنها وريفها ، الذى وصفه الرومان فى القرن الأول الميلادى ظل قائما حتى القرن السادس • وكان البيزنطيون حريصين على وضع أيديهم على كل المنطقة الخصبة من برقة بعكس الحال فى طرابلس اذ قنعوا بالسيطرة على الساحل وعلى مدنه الرئيسية وقنعوا بالسيطرة على الدواخل بعقد أواصر المودة مع القبائل الصديقة • وفى القرن الأول كانت الثغور قائمة فى جنوب غرب برقة لتحميها من الأخطار التى كانت تتعرض لها من منطقة خليج سرت • وربما تنتمى الى نفس العصر تقريبا القلاع التى نراها منتشرة على أطراف هضبة برقة • وكان من الأهمية بمكان دفع كل خطر تتعرض له برقة ، والمدن بصفة خاصة من ناحية وادى الكوف^{٢٥٩} •

وكان برابط فى الثغور العسكرية جماعة من الليبيين الذين أنهموا خدمتهم العسكرية فى الجيش الرومانى ومنحوا عند نهاية مدة خدمتهم قطعا من الأرض معفاة من الضرائب وبعض العبيد والماشية مقابل الدفاع عن منطقتهم ضد عدوان القبائل الليبية المقيمة فى الجنوب من منطقة الثغور^{٢٦٠} •

وكانت عناصر ليبية تقبل على الخدمة العسكرية مع الرومان فى أواخر العصر الرومانى • وكان الرومان وخاصة فى طرابلس يخلعون على بعض القادة منهم لقب تريبيون Tribunos^{٢٦١} • وكان هؤلاء الجنود المزارعون من أهل الثغور يقيمون فى مزارع محصنة وتعتبر هذه المزارع ذات المنازل المشيدة على هيئة أبراج والأضرحة التى شيدها لموتاهم من أهم المعالم الأثرية فى

أقليم طرابلس فيما وراء خط الثغور الخارجى ٢٦٢ • وفى عام ٢٣٨ م • حل
الامبراطور جورديان الثالث (٢٣٩ — ٢٤٤ م) الفرقة الأوغسطية الثالثة •
وبالرغم من أن الامبراطور فاليريان (٢٥٣ — ٢٦٠ م) قد أدخل بعض التعديلات
على تكوينها إلا أنها لم تعمل ثانية فى طرابلس • وأصبحت حاميات القلاع فى
بونجيم والقرية الغربية تجند أحيانا من عناصر محلية ٢٦٣ •

كل هذه الأنظمة العسكرية وما يرتبط بها من ثغور ومزارع محصنة
وغيرها إنما تكشف عن حقيقة الأوضاع فى ليبيا فى ظل الحكم الرومانى وأنه
كان ينبغى على الحكومة الرومانية سواء فى برقة أو فى طرابلس أن تكون
متيقظة أبداً لاحتمالات غزو تقوم به القبائل الليبية فى أى وقت •

وقد حاول الرومان ابتداء من عصر أغسطس اجتذاب الليبيين الى الحياة
المستقرة • وقد حاول أغسطس ارضاءهم بأن دفع عنهم مظالم جباة الضرائب
وكان الليبيون فى برقة قد ضاقوا ذراعاً بها ٢٦٤ • وقد اختفى نبات السلفيوم أو
كاد • وكان احتكاراً لملوك قورينى ثم للحكومة الرومانية فعهد الليبيون فى
راى استرابون الى اهلاك هذا النبات باتباع وسائل خاطئة فى جنيه ، وأرجع
بلىنى اختفاء هذا النبات الى أن ملتزمى الضرائب حولوا ارض المراعى الى أرض
زراعية، فلم تعد أرض برقة منتجة لهذا المحصول ٢٦٥ • وقد اهتم الرومان بانعاش
الزراعة وتنفيذ الكثير من مشاريع الرى والربط بين الساحل والداخل • حتى أن
عنايتهم بالأرض الزراعية وتوفير سبل الاستقرار بها امتدت حتى حافة الحزام
شبه الصحراوى فى القسم الجنوبى من برقة الذى لم يكن الاغريق قد وصلوا
اليه من قبل ٢٦٦ • وقد كان الغرض من كل هذه الأعمال هو أن يوفر للقبائل
الليبية أسباب الأمن والطمأنينة فيتحولون من بدو رعاة الى مزارعين مرتبطين
بالأرض •

وفى طرابلس عمل الأباطرة الرومان على احلال نظام المزارع محل أراضى
المراعى • وشجعوا رجال القبائل من الرعاة على العمل والاستقرار بها •
وكذلك أغرى بعض الأباطرة مثل هادريان عناصر من الليبيين بالاقبال على

زراعة الأرض المهملّة أو المهجورة وأعفوها من دفع الضرائب على أشجار الزيتون والعنب حتى تؤتى أكلها • وأعفوا بعض النباتات بصفة دائمة من الضرائب • ويبدو أن الليبيين استجابوا لخطط الحكومة الرومانية بل أن بعضهم اهتم بإنشاء مزارع صغيرة للزيتون^{٢٦٧} • ولعل تلك المزارع الكثيرة التي انتشرت في بعض الوديان مثل وادي سوف الجين ووادي زمزم إنما تدلّ بوجودها للعناصر الليبية الوطنية • وقد عثر على عدد كبير من النقوش المكتوبة باللغة الفينيقية الحديثة ولكن بحروف لاتينية • ولعل اللغة الفينيقية الحديثة كانت إلى حد ما لغة المجتمعات الليبية المحلية في هذه المناطق البعيدة عن الساحل والتي كان يتكون منها طائفة أهل الثغور • ومن أبرز المواقع التي عثر فيها على نقوش من هذا النوع جرزة ، وهي موقع روماني ليبى في وادي زمزم ، ومزرعة محصنة في وادي مردم ، وبئر (دريد) الذي عثر فيه على حوالي أربعين نقشا ، كان بعضها يعلو بوابات المزارع الحصينة أو الأضرحة ومن المرجح أن غالبية هذه النقوش يرجع إلى فترة متأخرة عن بداية القرن الثالث الميلادي • والذي يهم المؤرخ أو الأثري أن هذه النقوش مكتوبة بأبجدية لاتينية ، وليست فينيقية في الوقت الذي قل أن تجد فيه نقوشا لاتينية من الطابع الأصيل^{٢٦٨} • وقد يفسر ذلك بأن الليبيين استمروا يستخدمون اللغة الفينيقية الحديثة التي لا بد وأن تكون قد تأصلت فيهم إلى الحد الذي لم يسمح باستعمال اللغة اللاتينية • ولا يمكن أن نناقش مسألة اللغة اللاتينية في طرابلس إلا وقفز إلى أذهاننا الامبراطور سبتيميوس سيفيروس وشقيقته التي لم تكن لتحسن الحديث باللاتينية • فإذا كان هناك عناصر ليبية أقبلت على الأخذ بأسباب المدنية الرومانية واستعمال اللغة اللاتينية ، فإن ذلك لا يعنى أن جموع الليبيين قد تخلوا عن اللغة الفينيقية • ولعل هذه اللغة الفينيقية كانت قد احتفظت بمكانتها في مدن الساحل حتى أن بعض النقوش في لبدّة صيغت بهذه اللغة • وهذه النقوش لها طابع رسمى إذ أنها تتعلق بموظفين رسميين في بلدية المدينة • وهذا يرجح أنها كانت اللغة الرسمية الثانية بعد اللغة اللاتينية على الأقل في عصر أغسطس • وحتى

لو فرضنا أن اللغة الفينيقية كانت قد فقدت بعض مكائنها على الساحل فلم تستطع مقاومة اللغة اللاتينية الا أننا لا نستطيع أن نسلم باختفائها تماما بعد القرن الأول . وقد يمكن القول أن اللغة الفينيقية استطاعت أن تحتفظ بكيانها في الدواخل وأن عامة الليبيين في هذه المناطق قد تأثروا فعلا ببعض مظاهر الحضارة الرومانية واجتذبتهم مراكزها ، الا أنهم في مجال اللغة لم يستعبروا من اللاتينية سوى أبجديتها^{٢٦٩} .

وكان من الممكن في ضوء ما تقدم أن يأمن الرومان الى وجودهم في كل من برقة وطرابلس ، وأن تركز القبائل الليبية الى السكينة أو تحاول على الأقل تنظيم علاقاتها مع السلطات الحاكمة . ولكننا نجد أن قبائل المارماريداي في برقة تعاود هجومها على المدن وقد تصدت لها القوات الرومانية على عهد الامبراطور كلودبوس جوتيكيوس (٢٦٨ - ٢٧٠ م) بقيادة تيناجينو بروبوس Tenagino Probus حاكم مصر والخير في حرب الصحراء . وبعد أن انتصر هذا القائد على هذه القبائل وأنقذ قوريني من برائنها ، وجد أن من الضروري القيام بعدد كبير من الاصلاحات في المدينة ، وأن يعيد تسميتها باسم كلوديوبوليس Claudiopolis تكريما وتشريفا للامبراطور كلوديوس . وقد وجد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) أنه من الضروري إعادة تنظيم الدفاع عن الامبراطورية . وامتدت تنظيماته الى كل من برقة وطرابلس . وقد فصل برقة عن جزيرة كريت ثم قسمها الى ولايتين احدهما هي ليبيا العليا أو المدن الخمس Pentapolis ، والثانية ليبيا السفلى . وهذه شملت ساحل مارمريكا من الاسكندرية حتى درنة^{٢٧٠} . وبالمثل تحولت طرابلس الى ولاية باسم Provincia Tripolitana وان كان أول دليل على قيامها يعود الى عهد خلفه الامبراطور ماكسينتيوس Maxintius (٣٠٦ - ٣١١ م)^{٢٧١} .

ولم تتحسن الأحوال في طرابلس . وقد زاد الأمر سوءا اقبال الليبيين على اعتناق المسيحية وتمسكهم بمذهب يعرف بالدوناتية وهو يخالف المذهب الكاثوليكي .

وقد ظهر هذا المذهب على يد زعيم ديني يسمى دوناتوس في مدينة قرطة Cirta (قسنطينة) اثر حركات الاضطهاد التي شنها دقلديانوس ضد المسيحيين . وانشق اتباع هذا المذهب على الكنيسة الكاثوليكية . وكانت هذه الكنيسة لا ترى بأسا في أن يعود الى رحابها المسيحيون الذين قبلوا تقديم القرابين للآلهة الوثنية أو سلموا كتبهم المقدسة لحرقها وذلك اذا أعلنوا ندمهم وتوبتهم . أما الدوناتيون فانهم كانوا يرون أن هؤلاء المسيحيين ضعافا في عقيدتهم فرطوا في أمر دينهم وأنه يجب اعادة تعميدهم لقبولهم في المجتمع المسيحي . ومن ناحية اخرى وجه الدوناتيون هجوما شديدا ضد رجال الكنيسة الذين ضعفوا ولم يشدوا أزر الشهداء وضد الشمامسة الذين سلموا الكتب المقدسة للوثنيين ولذلك يجب ابعادهم عن الكنيسة . وقد امتدت الدعوة الدوناتية الى طرابلس . وأمكن التعرف على مبنى تابع لها يعود تاريخه الى القرن الرابع . وهو عبارة عن مزرعة محصنة في (المسوفيين) كتب على بوابتها شعار الدوناتيين وهو (لله الحمد Deo laudes) . والى جانب الناحية الدينية ، فان حركة الدوناتيين تمثل حركة المقاومة الافريقية ضد الحكم الروماني . وقد انبثت حركة المقاومة هذه نتيجة لعوامل اقتصادية واجتماعية ، فضلا عن الشعور بالقومية . ولم تحمل اصلاحات دقلديانوس وقسنطين أي حل للمشاكل الاقتصادية . وجاءت الزيادة الضخمة في عدد الجنود والموظفين عبئا على دافعي الضرائب . وشعرت الطبقات الدنيا والوسطى أنها أصبحت أسيرة لنظام احتكاري بغيض . وتدهور وضع الفلاحين وأصبحوا أشبه برقيق الأرض في العصور الوسطى وكانوا يعرفون باسم Coloni . ويقصد بهم الأجراء الذين يدفعون نسبة من انتاج الأرض التي يقومون بفلاحتها كايجار لها . وفي حالات كثيرة كان الأجير يعمل عددا من الأيام كل سنة في الأرض التي يتولى المالك زراعتها لنفسه أو عن طريق مندوب عنه . وأصبح كل من يغادر الأرض من هؤلاء Coloni عرضة للعقاب . وقد حرم على الملاك بيع أراضيهم بدون هؤلاء الفلاحين الذين يقومون على زراعتها . ومن بين هؤلاء التعمساء ظهرت جماعة تعرف باسم

Circumcelliones (الداورين) كجماعة متطرفة من الدوناتيين وهم فلاحون خارجون على القانون . وأخذوا في نهب مزارع الكاثوليك والوثنيين على السواء ٢٧٢ م. وفي الوقت الذي كانت فيه طرابلس تعاني من عنف هذه الحركات ، كان على السلطات الحاكمة مواجهة تحركات القبائل الليبية وهجماتهما . وفي عام ٢٩٨ م. قام الإمبراطور ماكسيميان بحملة ضد قبيلة ليبية في منطقة سرت تعرف باسم هيلاجواس Hilaguas أو ايلاسجواس Ilaaguas ٢٧٣ م. ثم تهدأ الأحوال مؤقتا لتعود اغارات الليبيين تأخذ شكلا آخر لم يعتده أهل المناطق الشمالية . وقد قامت بهذه الاغارات هذه المرة قبائل يقال لها الأوسترياني Austuriani ولا يعرف أصل هذه القبيلة . وفي رأى البعض أنهم جاءوا من الواحات الشرقية في الصحراء ، ولكن يبدو أنهم كانوا قبيلة تقيم في إقليم سرت مثل قبيلة الهيلاجواس . وكان أول هجوم لها في عام ٢٦٣ م. وقد ادعوا أنهم انما ينتقمون لمصرع واحد منهم قتلته سلطات طرابلس . وقد اجتاحوا أثناء هذا الهجوم كل المنطقة المحيطة ببلدة وشلعوا النار في الممتلكات التي لم يستطيعوا أخذها معهم وذبحوا كل سكان الريف . ولم تسقط مدينة لبدة في أيديهم بفضل أسوارها . وخوفا من أن يعود الأوسترياني مرة أخرى ، بعث أهل لبدة الى كونت رومانوس ، وكان يشغل منصب Comes Africae بين عام ٣٦٣ - ٣٧٣ م. ، يطلبون مساعدته . ولكنه أجاب أنه لن يستطيع نجدهم الا اذا أمدوه بكميات ضخمة من المؤن وأربعة آلاف جمل . فلجأوا الى الامبراطور فالنتينيان الأول Valentinian I (٣٦٤ - ٣٦٥) . وبينما كان أهل لبدة في انتظار رد الامبراطور جاء الأوسترياني مرة أخرى . وفي هذه المرة استباحوا المنطقة المحيطة بمدينتهم ، بل وبمدينة أويا (طرابلس) أيضا . وربما شملت اغارتهم صبراتة . بالرغم من أن أميانوس ماركيلينوس Ammianus Marcellinus ، وهو مصدرنا الوحيد عن أخبار هذه القبيلة، لم يذكر شيئا عن مهاجمتهم لهذه المدينة، الا أن الشواهد الأثرية تدل على أن كثيرا من مبانيها دمرت في وقت مقارب لزمان حدوث هذه الاغارة . ولما علم الإمبراطور بأنباء الاغارة الجديدة كلف أحد

قاداته ، وكان في طريقه الى أفريقيا أن يتحرى الحقائق عن الموقف في طرابلس . وقبل أن يصل هذا القائد كان الأوسترياني قد شنوا هجوما ثالثا وكان هذه المرة أشد عنفا . وكانت منطقة لبدة هي الهدف الأساسي وقد تركوها عارية من الحياة ومن كل شيء ، ودمروا النخيل والكروم وحاصروا المدينة لمدة ثمانية أيام ثم السحبوا بعد أن يسوا من استسلامها^{٢٧٤} . ولا شك في أن السذى أكسب اغارات الأوسترياني هذا العنف والقسوة في الهجوم هو استعمالهم للجمل الذى زاد من سرعة زحفهم ثم سرعة انسحابهم . واذا كان رومانوس قد طلب هذا العدد الكبير من الجمل ، فان ذلك يفسر بأنه كان يدرك أنه لاسبيل الى مطاردة هؤلاء المغيرين الا اذا كان لديه العدد الكافى من الجمل . وتتساءل لماذا لم يبادر أهل الثغور العسكرية الى وقف هجمات الأوسترياني أو على الأقل لماذا لم يحاولوا التخفيف من حدتها حتى لا تصل بكل هذا العنف الى مدن الساحل ؟ !

ويرجح البعض أن أهل الثغور ربما كانوا قد تواطأوا مع المغيرين فسهلوا لهم اجتياز خطوط الدفاع وهم بكامل قوتهم فألقوا بكل ثقلهم على المدن وريفها^{٢٧٥} . ولا شك في أن هذه الاغارات المتكررة كان لها أبعد الأثر فى تدمير اقتصاديات المدن الساحلية ومن ثم كانت عاملا من عوامل تدهورها . ولم يقتصر خطر الأوسترياني على طرابلس وحدها بل امتد الى برقة . اذ كانت المدن الخمس ابتداء من عام ٣٩٠م تتعرض لمزيد من هجمات هذه القبائل . ولم تكن القوات العسكرية فى الولاية على درجة من الكفاءة تمكنها من مقاومة هذا الزحف المدمر . وقد لقيت مدينة قورينى بصفة خاصة أشد العنت على أيدي المغيرين . ومن كتابات الأسقف سينيسيوس Synesius نعرف أن هذه القبيلة كانت تنهب المزارع وتحرق المحاصيل وترهب المدن والقرى وتقتل الرجال وتسبى النساء وتسرق الأطفال . وقد نظم الأسقف ، بعد أن يأس من مقاومة القوات البيزنطية ، مع أغنياء الريف قوات من المتطوعين . وحولت المنازل الريفية الى قلاع صغيرة ومن أبراجها وأبراج الحصون كان الحراس يتبادلون اشارات الضوء لانداز المناطق المهددة عند

اقتراب الخطر ٢٧٦ • وكانت قبيلة المازيكيس Mazikes تشارك الأوسترياني الهجوم أيضا على مراكز العمران في برقة ٢٧٧ .

وقد خلفت هذه القبائل في تهديد أهل طرابلس وأهل برقة ، قبيلة ليبية أخرى شديدة المراس هي قبيلة لواتة ٢٧٨ • وكان يتزعمها في طرابلس رئيس يقال له قابايون Cabaon • وكان للقبيلة علاقات ودية مع الوندال الذين انتزعوا طرابلس من الدولة البيزنطية في عام ٤٣٩ م .

ويبدو أن العلاقات كانت طيبة بين القبيلة وبين جنسريق ملك الوندال • ولكن ما أن مات الملك في عام ٤٧٧ م حتى حدث صدام بين الفريقين . وزاد من قوة لواتة وخطورتها استخدامها للجمل في معاركها مع الوندال ، الذين كانوا لا يحسنون القتال الا على ظهور الخيل . ولم يكن في وسع الخيل مواجهة الجمال • وفي الفترة ما بين عامي ٥٢٧ ، ٥٣٣ م هزمت قبيلة لواتة الوندال في طرابلس واستباحت لبدّة وخلفتها قاعا صنفصفا وقد توقفت فيها الحياة تماما ٢٧٩ .

وقد انتشرت لواتة أيضا في الجبل الأخضر وأصبح وجودها حقيقية واقعة • وفضلت الاستقرار في مناطقها الخصبة ، واتخذت من مدينة برقة (المرج) عاصمة لها ٢٨٠ • وقد بلغ من قوتهم أن هرقل حاكم أفريقيا استعان بها في عام ٦٠٨ م في الاستيلاء على الأسكندرية . وقد استطاع هذا الحاكم بفضل ثراء مصر أن يرتقى عرش الامبراطورية ٢٨١ • والواقع أن لواتة أصبحت في برقة القوة الحقيقية حتى أن العرب ، وقد فطنوا الى هذه الحقيقة ، عرفوا كيف يتعاملون معها ، مما سهل عليهم فتح برقة في عام ٦٤٣ م .

هذه هي قصة القبائل الليبية حتى أواخر العصر الروماني . وقد رأيت أن أتابع بإيجاز الحديث عنها بعد عصر دقلديانوس أثناء العصر البيزنطي وذلك لتكتمل لدينا الصورة عنها الى ما قبل الفتح العربي .

مما سبق يتضح لنا أن القبائل الليبية كانت شوكة في جنب القوى الأجنبية الحاكمة في برقة وطرابلس وأنها ما كانت لتترك السلطات الحاكمة

في الاقليمين لتستريح بل كانت تغير في موجة تتبعها موجة بل حدث أحيانا ،
أن شملت اغارات قبيلتي الأوسترياني ولوالة الاقليمين معا .

واذا حاولنا أن ندرس أسباب تلك الاغارات لوجدنا أنها تعود الى
نوعين من الأسباب .

الأول ، ويتلخص في أن ثورة القبائل الليبية لانتزاع أراضيها الزراعية
واقصائها عنها كما حدث في برقة على عهد أسرة باتوس أو لفرض الضرائب
الثقيلة التي ناء بها كاهل الليبيين أو التدخل في حرية تنقلهم ، وقد رأينا أنه
كانت لبعضهم تنقلات موسمية مثل تنقلات قبيلة النسامونيس ، أو هضم حقوق
المزارعين وتحويلهم الى ما يشبه وضع رقيق الأرض كما حدث في إقليم
طرابلس مما دفعهم الى اعتناق الدوناتية كمظهر لسخطهم فكانت اغاراتهم على
المزارع التي يمتلكها أغنياء الكاثوليك أو الوثنيين .

وربما كان من السهل تبين النوع الثاني من الأسباب محاولات القبائل
الليبية الوصول الى الأقاليم الساحلية . وقد لاحظنا ونحن نتحدث عن القبائل
الليبية وعلاقاتها مع مصر في العصر الفرعوني أن الصحراء الليبية كانت طوال
ذلك العصر تموج بهجرات وتحركات لكتل بشرية ضخمة ، تتفاوت في قوتها
وقوة تحملها ، وكانت تتحرك في اتجاه مصر . وكان من الممكن أن تنجح في
اختراق حدودها والاستقرار بها لولا أن هجماتها كانت تتحطم على صخرة
المقاومة العنيفة التي أبداهها ملوك مصر . وقد نبهت خطورة هذه الهجمات
فراعنة مصر الى ضرورة الاهتمام بتحصين حدود مصر الغربية . ويؤكد هذه
الحقيقة تلك المجموعة من القلاع والحصون الممتدة من غرب الاسكندرية
الى العلمين بل الى مارماريكا . أى ان الفراعنة قد أقاموا خطا دفاعيا محصنا
على حدود مصر الغربية كما فعل أباطرة روما باقامتهم خطوط الدفاع المحصنة
على نحو ما أسلفنا في كل من برقة وطرابلس . وقد كانت تحركات القبائل
الليبية في اتجاه مصر نتيجة لوجود شعوب وتجمعات أقوى منها ومقيمة الى
ما وراء مناطق اقامتها في ليبيا وكانت تريد بدورها أن تصل الى ساحل ليبيا

الشمالي أو أنها كانت بسبب هجمات شعوب البحر التي أرادت أن تستقر على سواحل ليبيا فضغطت على القبائل الليبية ودفعتها نحو مصر . ولكن بعد ذلك بعشرة قرون تقريبا كانت القبائل الليبية قد استقرت بشكل واضح في الأماكن الساحلية من برقة ومنطقة خليج سرت وطرابلس واستقرت أيضا في فزان . وهذه القبائل كما رأينا لم تكن قبائل بدوية بالمعنى المفهوم لأن كل قبيلة كانت تستقر في منطقة لها حدود واضحة مثل قبيلة الأودورماخيداي المتمصرة وقبيلة الأسبوستاي المتأجرة أو قبائل النسامونيس التي احتفظت بصفتي النظام والتمدين بالرغم من انتقالها الموسمي لجنى محصول البلح في واحة أوجلة أو قبيلة الماكاي التي كانت تنتقل في الصيف عندما كان ينضب معين المياه الى المناطق الخصبة من جبل غريان . وقد استطاعت القبائل الليبية أن تتعامل مع سكان المدن الأغريقية في برقة أو الرومانية في طرابلس . ولكن القبائل الليبية التي تمتد مضاربها جنوبا في الصحراء كانت قد بدأت بدورها تعيد القصة القديمة . ذلك أنها ، عندما كانت تشتد حالة الجذب والجفاف ، كانت تضغط على القبائل الليبية المقيمة في السهول الساحلية وفي الوديان والتي كانت قد احلأت الى حياة الأمن والاستقرار وأقلعت عن الإغارة والهجرة . وكان من الممكن بالنسبة لقبيلة الأوسترياني التي تسببت في الخراب الذي حل بأكثر من منطقة من مناطق طرابلس وبرقة أن تستقر في الأماكن التي اجتاحتها في طريقها الى الساحل وأن يتحول أفرادها بدورهم الى مزرعين ورعاة وأن ينشئوا القرى وأن يألّفوا حياة الهدوء والاستقرار . وكانت آخر قبيلة نجحت في أن تترك مضاربها الأصلية وتنتقل الى برقة بعد ان انتشرت في ليبيا كلها ، هي قبيلة لواتة . وقد نجحت في الاستقرار واتخذت من برقة (المرج) عاصمة لها . وكانت بذلك أولى القبائل الليبية التي قابلها العرب عند قدومهم الى ليبيا غزاة فاتحين في عام ٦٤٣ م .



الحواشي

- Herodotus ii. 16 - ١
 idem ii 18 - ٢
 idem ii 32 - ٣
 idem iv. 181, 186 - ٤
 O. Bates, The Eastern Libyans, London 1914. P xx - ٥
 ٦- ابراهيم أحمد رزقانة ، الحضارات المصرية في فجر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،
 ص ٢٣ ، عبد العزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، الاسكندرية ١٩٦٣ ،
 ص ٢٢٨ .
 ٧- ابراهيم أحمد رزقانة ، نفسه ص ١٩ .
 ٨- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, Prehistory and Pleistocene
 Geology in Cyrenaican Libya, Cambridge, 1955 P. 223, cf. R.G.
 Goodchild, Reports and Monograms of the Department of
 Antiquities in Tripolitania, N. 2, Dept. of Antiquities, British
 Military Administration, Tripolitania, 1949. P. 37
 C.B.M. McBurney & R.W. Hey, ibid P. 172 - ٩
 ١٠- المرجع السابق ص ٢٧٠ .
 ١١- المرجع السابق ص ٢٥٠ - راجع ايضا ابراهيم أحمد رزقانة المرجع السابق ،
 ص ٤١ .
 ١٢- C.B.M. McBurney, The Stone Age of Northern Africa,
 (a Pelican Book), London 1960 P. 162.
 ١٣- C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P. 144
 انظر صور الأدوات الحجرية التي عثر عليها في موقع الحاج كريم مثل
 النصال المدببة والمكاشط ، المرجع السابق ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
 ١٤- المرجع السابق ص ١٥٥ .
 C.B.M. McBurney, op. cit. P. 167
 C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P. 156 - ١٥
 ١٦- المرجع السابق ص ١٥٧ .
 ١٧- المرجع السابق ص ١٦٢ .
 ١٨- المرجع السابق ص ١٦٢ ، ١٦٧ .
 ١٩- المرجع السابق ص ١٦٧ وما يليها .
 ٢٠- C.B.M. McBurney, op. cit. PP. 168 ff.
 ٢١- C.B.M. McBurney & R.W. Hey op. cit. P.162
 ٢٢- ابراهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ١١٤

- C.B.M. McBurney, op. cit. PP. 174 ff. & figure 21 P. 175 & - ٢٢
figure 22 P. 176 & figure 23 P. 177
وهى صور الآلات الحجرية من وادى مردم . وانظر أيضا نماذج من
الصناعة العاطرية فى وادى غان فى الشكل رقم ٢٤ ص ١٧٨ ، وشكل رقم
٢٥ ص ١٧٩ من الكتاب المذكور ، راجع أيضا .
- C.B.M. McBurney, & R.W. Hey, op. cit. P. 225 P. 6
٢٤ - المرجع السابق ص ١٨٠ - قارن
F. Chamoux, Cyrène Sous La Monarchie Des Battiades Paris,
1953, P. 37
- C.B.M. McBurney, op. cit. P. 160 - ٢٥
- ٢٦ - المرجع ص ٢٢٥ وما يليها ، ابراهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ١١٧ .
وعلى العكس من رزقانة يرى ما كبيرنى أن الحضارة القفصية لم تصل الى
مصر ، وانما الحضارة التى وصلت كانت حضارة وهران .
- C.B.M. McBurney, ibid P. 219
- U. Paradisi, Prehistoric Art. in Gebel el-Akhadar - ٢٧
(Cyrenaica), *Antiquity*, xxxix, N. 154, June 1965 PP. 95 - 101
PP. 95, 99, 101
- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 249 - ٢٨
- ٢٩ - ابراهيم أحمد رزقانة ، الآلات الحجرية ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٩٤ .
٣٠ - راجع حاشية ٢٤ أعلاه .
- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 220 ff.; McBurney, - ٣١
op. cit. P. 223
- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 225 ff. - ٣٢
- F. Chamoux, op. cit. P. 37 - ٣٣
- ٣٤ نفسه .
- Herodotus iv, 183. - ٣٥
- ٣٦ انظر أدناه ص ٥٢ .
- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 262 ff. - ٣٧
- C.B.M. McBurney, op. cit. P. 264 ff. pls. 15 - 24; Arte Prei- ٣٨
storica del Sahara Libico, de Luca editore, Roma 1960;
وخاصة اللوحات التى توضح الرسوم المحفورة على الصخور .
- P. Graziosi, Arte rupestre del Sahara Libico, Firenze, 1962.
- ٣٩ - ابراهيم أحمد رزقانة ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ ص ١٥٠ .
- ٤٠ - هذا هو رأى أحمد سليمان حزين ، كما أورده عبد العزيز صالح فى كتابه
«حضارة مصر القديمة وآثارها» ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٢ ص ١٠٧ .
حاشية رقم ١٠٤ .
- ٤١ - انظر حاشية رقم ٣٩ .
- ٤٢ - أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١٠ .
- ٤٣ - نفسه ، ص ٩ وما يليها .

- ٤٤- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ١٤٦ وما يليها ، ابراهيم أحمد رزقانة ،
المرجع السابق ص ١٦٢ .
- ٤٥- ابراهيم أحمد رزقانة ، المرجع السابق ص ٢١٢ .
- ٤٦- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit. P. 262
- ٤٧- F. Chamoux, op. cit. P. 39
- ٤٨- راجع حاشية ٣٨ .
- ٤٩- C.B.M. McBurney & R.W. Hey, op. cit., P. 272 ff.
- ٥٠- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ص. ١٨٧ ، ١٨٩ ، وشكل ٢٣ ص ١٨٧
F. Chamoux, op. cit. P. 40
- ٥١- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ص ١٩١ ، ١٩٢ حاشية ٣٦ .
F. Chamoux, op. cit. P. 40
- ٥٢- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ١٩٣ .
- ٥٣- نفسه ص ص. ٢٢٤ ، ٢٢٧ .
- ٥٤- نفسه ص ٢٢١ .
- ٥٥- انظر حاشية ٥٣ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 41
- ٥٦- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، سليم حسن ، مصر القديمة ج ٧ القاهرة
١٩٥٠ ص ٢٢ وما يليها .
- ٥٧- اتيين دريوتون ، وچاك فاندييه ، مصر ، تعريب عباس بيومي . القاهرة ؟
ص ١٥٥ . أحمد فخري ، المرجع السابق ص ٤٩ .
- ٥٨- أحمد فخري ، المرجع السابق ص ٥٦ ذكر أن الملك «خع سخم» من ملوك
الأسرة الثانية حارب الليبيين .
- ٥٩- تحدث المؤرخ المصري ما نيشون عن ثورة قام بها الليبيون في مصر في أوائل
عهد الأسرة الثالثة ضد الملك (نفر كارع) ، وأنه عندما زاد حجم القمر
تشاءم الليبيون والقوا أسلحتهم ! راجع .
- O. Bates, ibid. P. 210 ff.
- ٦٠- اتيين دريوتون ، وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ١٩٣ .
- ٦١- سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٣ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 42
- ٦٢- سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٤ وما يليها .
- F. Chamoux, op. cit. P. 43
- ٦٣- سليم حسن ، المرجع السابق ص ٢٥ وما يليها .
- ٦٤- نفسه ص ٢٧ .
- ٦٥- في رأي جاردنر أن (تحنو) أو (تيحنو) اسم يطلق على سكان البلاد الذين
كانوا يسمون (حاتيوغا)
Gardiner, Onomastica, I P. 116 ff.
- ، وهذا المرجع أورده سليم حسن ، المرجع السابق ص ٣٢ حاشية رقم ٤ ،
وراجع أيضا سليم حسن ص ص. ٢٩ ، ٣١ وما يليها .
- F. Chamoux, op. cit. P. 43

- ٦٦- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص ٣٦ ، ٤٤ ، ١٨٧ ، ج ٤ ص ٢٣٣ ، ج ٥ ص ٢٠١ ، ج ٦ ص ٤٦ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 44 — ٦٧
- ٦٨- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٧ .
- ٦٩- المرجع السابق ص ٣٧ وما يليها . أحمد فخرى ، المرجع السابق ص ١١٩ وما يليها .
- O. Bates, op. cit. P. 48 ff. — ٧٠
- O. Bates, op. cit. P. 245 ff. — ٧١
- ٧٢- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٦٥ وما يليها .
- ٧٣- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٨ وما يليها ، أحمد فخرى المرجع السابق ص ١٢٥ وما يليها .
- ٧٤- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص ٣٦ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 45 — ٧٥
- ٧٦- أحمد فخرى ، المرجع السابق ص ١٧٠ وما يليها .
- ٧٧- نفسه ص ١٧١ ، سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٨ .
- ٧٨- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص ١٨٧ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 45
- F. Chamoux op. cit. P. 45, Diod. 1. 53. — ٧٩
- ٨٠- الحاشية السابقة .
- ٨١- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٣ .
- ٨٢- حاشية رقم ٦٨ .
- ٨٣- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٤٠ .
- ٨٤- أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٥ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 50 — ٨٥
- ٨٦- أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٣٨٥ وحاشية رقم ١ ، سليم حسن ، المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٢ .
- O. Bates, op. cit. P. 213 — ٨٧
- ٨٨- الحاشية السابقة .
- ٨٩- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٤ ص ٣٨٧ .
- ٩٠- نفسه ، ج ٥ ص ٢٠١ .
- O. Bates, op. cit. P. 213 — ٩١
- ٩٢- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٥ ص ٤٣٩ .
- ٩٣- نفسه ج ٧ ص ٤٤ وما يليها .
- ٩٤- اتين دريوتون وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ٥٠٣ ، ٤٦٩ ، أحمد بدوى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٨٤٥ وما يليها .
- ٩٥- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٦ ص ٤٩ .
- ٩٦- انظر حاشية ٩٤ .

- A. Rowe, A History of Ancient Cyrenaica, Supplément aux-٩٧
Annales Du Service Des Antiquités de L'Egypte. Cahier No. 12,
Le Caire, 1948 P. 4
- idem, A Contribution to the Archaeology of the Western -٩٨
Desert (Reprint from the Bulletin of the John Rylands
Library) Vol. 36 7 2 March 1954 P. 485
- F. Chamoux, op. cit. P. 50 ff., O. Bates, op. cit. P.214 -٩٩
• وسليم حسن ، المرجع السابق ج ٦ ص ٢٤٠ .
• ١٠٠ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٦ ص ٢٤٠ .
- O. Bates, op. cit. P. 214 ff. F. Chamoux, op. cit. P. 51 -١٠١
- ١٠٢ - راجع هذه النصوص عند سليم حسن ج ٧ من ص ٨٤ الى ص ١٠١ أحمد
بدوي ، المرجع السابق ج ٢ ص ٨٨٩ .
- O. Bates, op. cit. PP. 215 - 219
- ١٠٣ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٨٩ .
١٠٤ - اتيين دريوتون ، وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ٣٩٧ .
١٠٥ - راجع سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٢٨٦ .
١٠٦ - نفسه ص ٢٨٨ .
- O. Bates, op. cit. P. 220 -١٠٧
- ١٠٨ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٠٦ وما يليها .
١٠٩ - انظر حاشية ١٠٧ .
١١٠ - سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٣٢٣ وما يليها .
١١١ - المرجع السابق ج ٧ ص ٤٤ وما يليها ، ص ٥٦ وما يليها .
١١٢ - اتيين دريوتون ، وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ٥٧٠ ، ٥٧٤ وما يليها ،
١١٣ - اتيين دريوتون ، وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ٥٩٠ .
أحمد فخري ، المرجع السابق ص ٣٣٦ وما يليها .
- O. Bates, op. cit. P. 228
- F. Chamoux op. cit. P. 57
- O. Bates, P. 46 -١١٤
- Expedition, The Bulletin of the University Museum of the-١١٥
University of Pennsylvania, Spring 1963 vol. 5. N. 5
- O. Bates, op. cit. PP. 73 - 90 -١١٦
- وعبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢
ص ٢٢ - ٢٥ ، ٢٩ .
- Herod. iv 155 -١١٧
- Cf. F. Chamoux, ibid. P. 96 & No, 1 -١١٨
- Herod. IV. 192 -١١٩

- ١٢٠- راجع حاشية ١٠٢ .
 ١٢١- راجع حاشية ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ .
 ١٢٢- O. Bates, op. cit. P. 94
 ١٢٣- حاشية ١١٥
 ١٢٤- O. Bates, P. 101
 ١٢٥- O. Bates, P. 104
 ١٢٥- أتيين دريوتون ، وچاك فاندينية ، المرجع السابق ص ١٠٩ .
 ibid. P. 108 ff.
 ١٢٦- نفسه .
 ١٢٧- idem P. 117 ff.
 ١٢٨- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٥٧ وما يليها .
 ١٢٩- نفسه ص ٤٥ .
 ١٣٠- O. Bates, op. cit. P. 134 ff.
 ١٣١- نفسه ص ١٣٥ .
 ١٣٢- نفسه ص ١٤٢ وما يليها .
 ١٣٣- نفسه ص ١٥٠ وما يليها ، سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٥٣ .
 ١٣٤- O. Bates, op. cit. P. 150
 ١٣٥- سليم حسن ، المرجع السابق ج ٧ ص ٥٣ .
 ١٣٦- O. Bates, op. cit. P. 148
 ١٣٧- O. Bates, op. cit. P. 153
 ١٣٨- نفسه راجع شكل ٣٣ ص ١٢٨ .
 ١٣٩- نفسه ص ١٥٣ .
 ١٤٠- نفسه ص ١٥٥ .
 ١٤١- راجع حاشية ١٣٧ ص ١٥٩ من المرجع نفسه .
 ١٤٢- نفسه ص ١٦٨ .
 ١٤٣- نفسه ص ١٧٢ .
 ١٤٤- راجع حاشية ٦٢
 ١٤٥- O. Bates, op. cit. P. 184
 ١٤٦- نفسه ص ١٨٧ وما يليها ، ١٨٩ وما يليها .
 ١٤٧- F. Chamoux, op. cit. P. 333
 ١٤٨- O. Bates, op. cit. P. 205 ff.
 ١٤٩- S. Gsell, Hérodote, Textes Relatifs a L'histoire de L'Afrique du Nord, Alger, 1915 P. 66 ff.
 ١٥٠- المرجع السابق ص ٥٨ . راجع ما ذكره هيكتايوس عن ليبيا المرجع السابق ص ٢٤١ .
 ١٥١- ذكر هيرودوت في هذه الفقرة ، أن المرأة من هذه القبيلة كانت تخرج الحشرات من رأسها وتلقيها بعيداً بعد أن تمتصها . وقال أن هذه عادة انفردت بها هذه القبيلة دون سائر القبائل .

- ١٥٠ - ميناء (سیدی برانی) راجع .
- F. Chamoux *ibid.* P. 227
- ١٥١ - المرجع السابق ص ٢٢٥ وما يليها وراجع أيضا .
- S. Gsell, *ibid.* P. 121
- R.G. Goodchild, *Tabula Imperii Romani*, The Society of Anti-quaries of London, 1954. P. 14. - ١٥٢
- ١٥٣ - في موقع البردية .
- F. Chamoux P. 62 ff.
- R.G. Goodchild, *op. cit.* P. 12. cf. Chamoux, *op. cit.* P. 118 ff. - ١٥٤
- O. Bates, *op. cit.* P. 53 - ١٥٥
- F. Chamoux *op. cit.* PP. 47 - 50, O. Bates *op. cit.* P. 51 - ١٥٦
- E. Rosenbaum, A. Catalogue of Cyrenaican Portrait Sculpture, Lond. 1960 PP. 8, 21 ff.
- O. Bates, *op. cit.* P. 40 - ١٥٧
- F. Chamoux, *op. cit.* P. 129 - ١٥٨
- ١٥٩ - راجع توزيع القبائل على خريطة ليبيا .
- O. Bates, *op. cit.* P. 53 map. III
- F. Chamoux, *op. cit.* PP. 114, 128 ff., A.H.M. Jones, *The Cities of the Eastern Roman Provinces*, Oxford, 1937, P. 351 - ١٦٠
- Herodotus, IV 159 - ١٦١
- ١٦٢ - نفسه .
- ١٦٣ - اثنيان دريوتون ، وچاك فاندييه ، المرجع السابق ص ٦٣٧ .
- F. Chamoux, *op. cit.* P. 135
- Herodotus IV 159, F. Chamoux, *op. cit.* P. 135 - ١٦٤
- ibid.* IV 160 - ١٦٥
- F. Chamoux, *op. cit.* P. 137 - ١٦٦
- Herodotus, IV 160 - ١٦٧
- F. Chamoux P. 135. N. 1 - ١٦٨
- Herodotus IV 161 - ١٦٩
- C.A.H. iii, P. 668 cf. 532, A.H.M. Jones, *op. cit.* P. 353 - ١٧٠
- Herodotus IV. 171, A.H.M. Jones, *op. cit.* P. 356 - ١٧١
- S.E.G. I. 1, 2. cf. - ١٧٢
- S. Reinach, *La Charte Ptolémaïque de Cyrene*, *Revue Archéologique*, 5° Serie, Tome XXVI Jul. - Dec., 1927
- F. Chamoux, *op. cit.* P. 223 ff.
- F. Chamoux, *ibid.* P. 223 ff. - ١٧٣
- Herodotus, IV 200 ff. - ١٧٤
- ibid.* IV. 203 - ١٧٥

- A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, (Phoenix-١٧٦ Books) Chicago, 1963, P. 149
- ١٧٧ - نفسه ص ٢٤٤ .
- ١٧٨ - نفسه ص ٢٤٦ .
- F. Chamoux, op. cit. P. 166 - ١٧٩
- ١٨٠ - اثيين دريوتون وچاك فاندديه ، المرجع السابق ص ٦٥٧ .
- A.T. Olmstead, op. cit. PP. 303, 308, 12, F. Chamoux op. cit PP. 165, 202, 204.
- A.T. Olmstead, op. cit. P. 312, Herod. iii. 15 - ١٨١
- C.A.H. iii. PP. 684, cf. F. Chamoux, op. cit. P. 162 ff. - ١٨٢
- ١٨٣ - انظر الحاشية السابقة .
- A.H.M. Jones, op. cit. P. 355 ff. - ١٨٤
- Diodorus, XVII, 19 - 21 - ١٨٥
- ١٨٦ - ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالة ج ١ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٦ .
- M. Cary, A. History of the Greek World, from 323 - 146 B.C., 2nd ed. London. 1951 P. 12
- ١٨٧ - راجع نص هيروdot فيما يتعلق بهذه القبائل .
- O. Bates, op. cit. P. 92
- Herodotus, ii, 32, iv. 192 - ١٨٨
- O. Bates, op. cit. P. 93 ff. - ١٨٩
- E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, London, 1958. - ١٩٠
- P. 9.
- E.W. Bovill, op. cit. P. 11 - ١٩١
- idem, P. 16 - ١٩٢
- idem, P. 16 ff. - ١٩٣
- Herodotus, ii, 32, E.W. Bovill, op. cit. P. 19 ff. - ١٩٤
- M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman - ١٩٥
- Empire, 2nd ed. Oxford, 1957, vol. I. P. 335
- O. Bates, op. cit. P. 49, E.W. Bovill, op. cit. PP. 22 ff., 30 - ١٩٦
- Theophrastus, Frag. ii. 3, Pliny xxxvii 7, Strabo, xvii
- E.W. Bovill, op. cit. P. 27 ff. - ١٩٧
- O. Bates, op. cit. P. 103 - ١٩٨
- T.K. Penniman, A Hundred Years of Anthropology, London. - ١٩٩
- 1952 2nd ed. P. 167
- O. Bates, op. cit. PP. 111, 117, cf. S. Gsell, op. cit. P. 196 - ٢٠٠
- idem. P. 110 - ٢٠١

- idem. P. 117 - ٢٠٢
- O. Bates, op. cit. P. 144 ff. - ٢٠٣
- D.E.L. Haynes, *An Archaeological Historical guide to the pre-Islamic antiquities of Tripolitania, Tripoli*, 1959, P. 22 - ٢٠٤
- O. Bates, op. cit. P. 153 ff. Herodotus iv. 189. - ٢٠٥
- O. Bates, op. cit. P. 173 & N. 6 - ٢٠٦
- Herodotus, IV 173, O. Bates, op. cit. P. 174 - ٢٠٧
- idem, IV. 172. O. Bates, op. cit. P. 174 - ٢٠٨
- Herodotus, ii. 50 - ٢٠٩
- idem, IV. 179 - ٢١٠
- O. Bates, op. cit. P. 186 - ٢١١
- Herodotus, IV 188. O. Bates, op. cit. PP. 187 & N. 1, 188 - ٢١٢
- Herodotus, IV. 180, O. Bates op. cit. P. 203 ff. - ٢١٣
- O. Bates, op. cit. P. 55 - ٢١٤
- SEG. IX, 77, - ٢١٥
- ٢١٦- راجع ، ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ١٠٤ .
- A. Rowe, op. cit. P. 41 ff. - ٢١٧
- O. Bates, op. cit. P. 40 - ٢١٨
- idem, P. 180 - ٢١٩
- ٢٢٠- انظر حاشية ١٧٢ .
- M. Rostovtzeff *Social and Economic History of the Hellenistic World*, Oxford, 1941, P. 310 C.A.H. XI, 670, A.H.M. Jones, op. cit. PP. 361, 486 N. 13. - ٢٢١
- ٢٢٢- عن الفينيقيين في طرابلس ، راجع .
- D.E.L. Haynes, op. cit. P. 25 ff. - ٢٢٣
- ٢٢٣- انظر ترجمة نص الوصية ، عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠ وراجع أيضا .
- S.E.G. IX, 7
- M.N. Tod, *Greek Inscriptions III, Greece and Rome*, Vol. II. N. 4 Oct. 1952 PP. 47 - 51
- D.E.L. Haynes, op. cit. P. 33 ff. - ٢٢٤
- O. Bates, op. cit. PP. 55 - 65 - ٢٢٥
- idem P. 65 ff. - ٢٢٦
- idem P. 96 ff. - ٢٢٧
- idem P. 100 - ٢٢٨
- Diodorus, iii. 49. 3., O. Bates, op. cit. P. 105 - ٢٢٩

- O. Bates, op. cit. P. 105 — ٢٣٠
 idem, P. 107 — ٢٣١
 idem P. 114 ff. — ٢٣٢
 idem PP. 119, 121 — ٢٣٣
 idem P. 128 ff. — ٢٣٤
 — ٢٣٥ — راجع حاشية ٢٢٩ .
 O. Bates, op. cit. P. 129 ff. — ٢٣٦
 idem P. 172 ff. — ٢٣٧
 idem P. 179 ff. — ٢٣٨
 idem P. 180 ff. — ٢٣٩
 — ٢٤٠ — راجع حاشية ٢٠٤ .
 O. Bates, op. cit. P. 181 — ٢٤١
 D.E.L. Haynes, op. cit. P. 23 — ٢٤٣
 idem, PP. 153 - 162, R.G. Goodchild, The Latino - Libyan — ٢٤٤
 inscriptions of Tripolitania, *The Antiquaries JNL*. vol. xxx
 Nos. 3, 4 PP. 135 - 144, P. 143 N. 2
 — ٢٤٥ — نفسه ، نفس الصفحة .
 R.G. Goodchild, J.B.W. Perkins, The Limes Tripolitanus in
 the light cf. Recent Discoveries *JRS* XXXIX, 1941, PP.
 81 - 95, P. 81.
 P. Romanelli, La Cirenaica Romana, 96 a.c. - 642 d.c.) — ٢٤٦
 Verbania, 1935. P. 39, K.H. Kraeling, Ptolemais, Chicago
 1962, P. 11 & Notes 25 - 54
 P. Romanelli op. cit. P. 50 ff., K.H. Kraeling op. cit. P. 13 ff. — ٢٤٧
 D.E.L. Haynes op. cit. P. 36 — ٢٤٨
 E.W. Bovill, op. cit. P. 31 ff. — ٢٤٩
 S.E.G. IX, 63, O.G. 15, 767. cf. P. Romanelli, op. cit. P. 76 ff., — ٢٥٠
 J.M. Reynolds, The Inscriptions of Roman Tripolitania, Rome,
 1952 N. 301.
 هذا النقش يخص الحرب ضد الجيتوليين . وتصور احدى لوحات
 الفسيفساء في زليطن اسرى الجيتوليين وهم يقتلون بقسوة في المسرح
 الدائري ، راجع .
 M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman
 Empire. 2nd ed., Oxford. 1957 PP. 338, 686. cf. C.A.H. vol. X,
 213; vol. XI P. 667
 E.W. Bovill, op. cit. P. 37 ff. D.E.L. Haynes, op. cit. P. 37 — ٢٥١
 R.G. Goodchild, op. cit. P. 81 — ٢٥٢

E.W. Bovill, op. cit. P. 39 ff., D.E.L. Haynes op. cit. P. 37 cf. - ٢٥٣
C.A.H. XI, P. 145, Tacitus, Hist. IV, 49 - 50, Phiny N.H.
V. 38, O. Brogan, The Camel in Roman Tripolitania, P.B.S.R.
vol. XXII, 1954, PP. 126 - 131. P. 128, R.G. Goodchild, Oasis
Forts of Legio III on the Routes to Fezzan, P.B.S.R. vol. xx II,
New Series IX, 1954 P. 56

٢٥٤ - انظر الحاشية السابقة .

E.W. Bovill, op. cit. P. 45 - ٢٥٥
D.E.L. Haynes, op. cit. P. 38 ff. - ٢٥٦
R.G. Goodchild & J.W. Perkins, op. cit. P. 82 ff. - ٢٥٧
٢٥٨ - ويجب ان يراجع في ضوء آراء جود تشيلد ما ذكره بيتس عن القلاع
الموجودة أسفل خليج سرت وحول قمينس من انها ترجع الى أقدم من
العصور اليونانية والرومانية .

R.G. Goodchild, The Roman and Byzantine Limes
in Cyrenaica, JRS. vol. XLIII (1953) PP. 65 - 76. P. 67, idem,
Mapping Roman Libyan, The Geographical JNL. vol. CXVII,
Part 2, June 1952, PP. 142 - 152 P. 147 ff.
O. Bates, op. cit. P. 161 ff.

٢٥٩ - راجع جود تشيلد في مقالاتيه المذكورتين في الحاشية السابقة .

D.E.L. Haynes, op. cit. P. 39 - ٢٦٠
R.G. Goodchild, The Latino - Libyan Iscriptions of Tripolita-
nia, The Antiquaries, JNL. vol. xxx, PP. 135 - 144, P. 139 - ٢٦١
D.E.L. Haynes, op. cit. PP. 148 ff., 135 ff. - ٢٦٢
idem P. 40 - ٢٦٣
C.A.H. XI, 671 - ٢٦٤
A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces PP. 362, - ٢٦٦
486 N. 14, M. Rostovtzeff, op. cit. P. 305
D.E.L. Haynes, op. cit. P. 51 - ٢٦٧

٢٦٨ - راجع حاشية ٢٤٢ . وقد حاول جود تشيلد في هذا المقال ان يثبت ان
النقوش التي عشر عاينها في هذه المواقع انما هي نقوش كتبت باللغة الليبية
القديمة التي رجح انها كانت اللغة التي كان الليبيون يتداولونها فيما
بينهم خلال القرون الأربعة الأولى للميلاد في المنطقة الممتدة من فزان حتى
الساحل ، وأنها كانت مستعملة في عصر سابق بكثير على قدوم الرومان ،
وأن لها اتصالا باللغة الليبية التي كانت منتشرة في شمال افريقيا . وقال
جود تشيلد أيضا أن هناك نقوشا باللغة الفينيقية الحديثة ومكتوبة أيضا
بالحروف اللاتينية . ولا ينبغي أن يفسر ذلك بأن أصحاب اللغة الفينيقية
كانوا قوما هاجروا من الساحل الى الداخل ، فاستعملوا لغتهم تلك ، ثم أنه

عندما غلب العنصر الليبي على أهل الثغور استعمل لفته اللاتينية . وقد كتب جودتشيلد مقالا ثانيا بعنوان .

La Necropoli Romano - Libica Bir ed Dreder, *Quaderni di Archaeologia della Libia* - fasc. N. 3, Roma, 1954 PP. 91 - 107
ردد فيه نفس دعواه السابقة ، ولكن ديلافيدا أثبت أن النقوش التي أوردها جودتشيلد في مقالته إنما هي نقوش صيغت باللغة الفينيقية الحديثة ، وكتبت بحروف لاتينية ، راجع .

G. Levi Della Vida, Sulla Iscrizioni, Latino - Libiche della Tripolitania, (Estratto "Oriens Antiquus") vol. II fas. I. 1963 PP. 65 - 92

R.G. Goodchild, The decline of Cyrene and Rise of Ptolemais, - ٢٦٩
Quaderni di Arch. della Libia N. 4 P. 91, 94

R.G. Goodchild Cyrene and Apollonia, Dept. of Antiquities, United Kingdom of Libya, 2nd ed. 1963, P. 23, cf. O Bates, op. cit. P. 236

R.G. Goodchild, op. cit. P. 23, E.K.H. Kraeling, op. cit. P. 19 ff - ٢٧.

D.E.L. Haynes, op. cit. P. 55, R.H. Warmington, The North - ٢٧١
African Provinces from Diocletian to the Vandal Conquest. Cambridge, 1954, P. 1 ff.

D.E.L. Haynes, op. cit. P. 56 ff., R.H. Warmington, op. cit. - ٢٧٢
PP. 66, 76.

D.E.L. Haynes op. cit. P. 56

٢٧٣ - ظهر اسم هذه القبيلة في مصادر العصر البيزنطي مرتبطاً بقبيلة لواتة ، راجع

D.E.L. Haynes, op. cit. P. 57 ff., R.H. Warmington op. cit. - ٢٧٤
PP. 9 ff., 19, O. Bates, op. cit. P. 237

D.E.L. Haynes op. cit. P. 58 - ٢٧٥

R.G. Goodchild, op. cit. P. 26 ff. O. Bates op. cit. P. 237 - ٢٧٦

O. Bates, op. cit. P. 67 P. Romanelli, op. cit. P. 140 - ٢٧٧

O. Bates, op. cit. P. 67 - ٢٧٨
عن هذه القبيلة ، راجع .

D.E.L. Haynes, op. cit. P. 62 ff.

D.E.L. Haynes op. cit. P. 63 - ٢٧٩

R.G. Goodchild, op. cit. P. 28 - ٢٨٠

idem - ٢٨١

الأوضاع الدستورية في بركة
من عصر أسيرة باتوئس إلى عصر الأمير الطور أغسطس

الأوضاع الدستورية في برقة

لعله يكون من المفيد أن نمهد لموضوعنا بعرض موجز لأهم الملامح الأساسية في تاريخ برقة في الفترة التي نعالج فيها أوضاعها الدستورية .

في عام ٦٣١ ق.م. نزل بأرض برقة دوريون من اغريق جزيرة ثيرا وقد تمكنوا بمساعدة قبيلة الأسبوستاي الليبية من انشاء قوريني أولى مستعمراتهم في هذا الاقليم من ليبيا . وقد قام على حكمها الملك باتوس الأول، الذي أنشأ بها أسرة حاكمة استمرت حتى حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وفي أثناء هذه الفترة احتدم صراع بين الملكية والأرستقراطية ، تمثل في الخلاف الذى نشب بين الملك أوكيسيلوس الثانى ، رابع ملوك الأسرة ، وأخوته . وقد ترتب على هذا الصراع خروج هؤلاء الأخوة من المدينة الى حيث أنشأوا بمساعدة قبيلة الجيليجماي من انشاء مدينة برقة (= المرج) ، وذلك حوالى عام ٥٧٠ ق.م. ١ وعلى عهد الملك باتوس الثالث كان الصراع بين الملكية والأرستقراطية على أشده . وفي الوقت نفسه كان الوافدون الجدد من الاغريق يطالبون بأن يكون لهم نصيب من الامتيازات التى كان المستعمرون الأوائل الذين وفدوا من جزيرة ثيرا قد احتكروها لأنفسهم ٢ . ورغبة من أهل المدينة فى إيجاد حل لهذه المنازعات ، اتفقوا على دعوة ديموناكس ، وهو مشرع من أركاديا ، ليعيد تنظيم العلاقات بين الملك ورعاياه من ناحية ، والعلاقات بين المستعمرين الأوائل والمستعمرين الجدد من ناحية أخرى ٣ . ولكن الملكية عادت تريد استرداد ما سلبه منها هذا المشرع ٤ . وقد ترتب على ذلك مزيد من الاضطرابات التى أودت آخر الأمر بالملكية حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وبعد هذا التاريخ أصبحت المدينة مسرحا لصراع عنيف بين

الأرسنقراطية أو الأوليجاركية ، وبين الديمقراطية * وقد استطاعت القوى الديمقراطية أن تنتصر * ولكن انتصارها لم يدم طويلا إذ استغل بطليموس والى مصر هذا الصراع الحزبى وتدخل لمصلحة المنفيين من أوليجاركية المدينة ، واستطاع فى عام ٣٢٢ ق.م. أن يحتل المدينة^٦ . ومن ثم خضعت بقية مدن برقة الاغريقية الأخرى لحكم البطالمة * وهذه المدن هى : برقة وتوخيرا (= توكرة) ، ويوسبيريدس (= بنغازى) . وأثناء العصر البطلمى تغير اسم توخيرا الى أرسنوى ، ويوسبيريدس الى بيرينيكى . وظهرت مدينة جديدة باسم بطوليميس (= طلميثة) ، وكانت هذه المدينة تعرف قبل ذلك باسم ميناء برقة . وفى فترة تراخت فيها قبضة البطالمة على برقة ، عمدت مدنها الى تكوين حلف فيما بينها حوالى عام ٢٦٥ ق.م. ووضع المشرعان اكديموس وديموفائيس دستوراً لهذا الحلف. ولكن الحلف لم يقدر له أن يستمر إذ كان بطليموس الثالث قد استعاد السيطرة على برقة^٧ . وقد استمر الحكم البطلمى لبرقة حتى ورث الشعب الرومانى ملكها بمقتضى وصية بطليموس أبيون ، آخر ملوك البطالمة الذين حكموا فى برقة ، وذلك بعد وفاته فى عام ٩٦ ق.م.^٨ .

وقد اكتفى مجلس الشيوخ الرومانى بوضع يده على الأراضى الملكية وترك للمدن الاغريقية الحرية فى ادارة شئونها ، وشئون أراضيتها . ولم يكن هذا القرار فى صالح المدن أو فى صالح قورينى بصفة خاصة . إذ صارت هذه المدينة نهبا لأعمال الطغيان والتسلط . وتعرضت لمحاولات متعددة من جانب بعض الطغاة للاستئثار بحكمها^٩ . ولم تجد الادارة الرومانية بدا من تحويل برقة بأكملها فى عام ٧٤ ق.م. الى ولاية رومانية ولما لم تتحسن الأحوال بها ضمتها الى جزيرة كريت فى عام ٦٧ ق.م. لتكونا معا ولاية واحدة من ولايات الامبراطورية الرومانية . ولكن كل ذلك لم يكن كافيا . واستمرت برقة تعاني من أعمال القوضى والاضطراب . وزاد الأمر سوءا أن برقة دخلت فى دوامة الصراع الحزبى فى روما ، وأعلن أنطونيوس أن برقة ملك خاص لايئته كليوباترة سيلينى ، من كليوباترة ملكة مصر . وأخيرا فى عام ٢٧ ق.م.

وعلى عهد الإمبراطور أغسطس ، قسمت الولايات الرومانية بينه وبين مجلس الشيوخ . وضمت برقة الى جزيرة كريت ، وأصبحتا من جديد ولاية واحدة عهد بحكمها الى مجلس الشيوخ^{١١} .

ويمكن أن نقسم تاريخ برقة الى الفترات الرئيسية الآتية :
أولا — العصر الملكي . وندرس في هذه الفترة دستور قوريني الأول ثم دستورها في ضوء اصلاحات ديموناكيس^{١٢} .

ثانيا — الفترة بين سقوط الملكية وبداية الحكم البطلمي . وقد أصبح للمدينة دستور ذو طابع ديمقراطي .

ثالثا — فترة الحكم البطلمي . وفي هذه الفترة وضع للمدينة دستور واضح المعالم عثر عليه مسجلا في نقش على إحدى اللوحات^{١٣} .

رابعا — عهد الإمبراطور أغسطس . وقد أصدر الإمبراطور عددا من القرارات نستطيع أن نقف منها على معلومات هامة تتصل بموضوعنا^{١٤} .

نستمد بعض معلوماتنا عن البناء الدستوري لمدينة قوريني عند أول نشأتها مما ذكره هيرودوت في كتابه الرابع^{١٥} . ومما ورد في نقش من النقوش التي عثر عليها في قوريني^{١٦} .

ذكر هيرودوت أن أهل ثيرا قرروا أن يبعثوا الى برقة برجال من أقسامها السبع على أن يختاروا واحدا من كل أخوين عن طريق القرعة .

أما النقش ، فهو المعروف باسم لوحة المؤسسين . ويرجح أن تاريخه يعود الى منتصف القرن الرابع ق.م. ويمكن أن نخرج منه بعدد من الحقائق من أهمها :

أولا — أن حقوق المواطنة في قوريني كانت تمنح لأهل ثيرا ، الذين قدموا لانشاء المستعمرة ، وكانت تمنح أيضا للذين بقوا في الجزيرة .

ثانيا — يدرج أهل ثيرا في قبيلة Phyle وعشيرة Patra وتسع منظمات Hetairoi .

ثالثا — عند أول مجيء أهل ثيرا الى قوريني ، كان يختار من كل أسرة واحد من أبنائها . ولا يملك عضو الأسرة ، الذى وقع عليه الاختيار ، الرفض . وتتخذ على المهاجرين الموائيق على شكل قسم تحوطه الرهبة والقداسة . وكان كل مهاجر يمنح مساحة من الأرض عن طريق القرعة .

رابعا — اذا لم يتمكن المهاجرون من الإقامة فى قوريني ورجعوا فى العودة الى جزيرة ثيرا فان ذلك يكون فى امكانهم بعد مضي خمس سنوات . على أن يستعيدوا حقوقهم لدى عودتهم الى الجزيرة •

خامسا — يفهم من النص أنه فى امكان مواطنى ثيرا . ومواطنى قوريني تبادل حقوق المواطنة فيما بينهم .

ويلاحظ بعض المؤرخين أن نص هيرودوت ، وتاريخه يعود الى القرن الخامس ق.م. ونص لوحة المؤسسين ، ويعود تاريخه الى القرن الرابع ق.م. يتفقان فى النص على اختيار واحد من كل أسرة للمجئ الى برقة لانشاء مستعمرة قوريني . ويرجح أن كلا من النصين قد نقل عن وثيقة أصلية من منتصف القرن السابع ق.م. أو من تاريخ كتب لأهل ثيرا من وقت مبكر ١٧ .

وبالرغم من قلة مصادرنا عن العصر الملكى ، وخاصة فى بدايته ، الا أنه يكاد يكون من المتفق عليه أن التنظيم السياسى لقوريني ، كان يطابق الى حد ما التنظيم السياسى فى ثيرا ، ولذلك فانه يفترض أن مواطنى المدينة وزعوا بين ثلاث قبائل *Phylai* وذلك على نسق نظام القبائل الثلاث التقليدى فى المدن الدورية ، والذى كان قائما فى جزيرة ثيرا الدورية ١٨ . اذ سرى أن المشرع ديموناكس فى اصلاحاته التى أدخلها على دستور المدينة ، سيوزع المواطنين بين ثلاث قبائل . ويستوقف النظر فى نص لوحة المؤسسين ما ذكر عن ادراج أهل ثيرا فى قبيلة وعشيرة والمنظمات المعروفة باسم *Hetairoi* . ويكاد الاسم الاخير أن يكون اسما نادرا فى النظم السياسية اليونانية ولا يظهر الا فى جزيرة كريت وجزيرة ثيرا . ولذلك يرجح أن نظام هذه المنظمات قد اقتبس عن ثيرا • ويبدو أنها كانت منظمات عسكرية تشبه مثيلاتها فى

كريت ، كما وأنها تشبه أيضا منظمات **Phiditai** في اسبرطة^{١٩} . وكان من الطبيعي أن يدرج المهاجرون الأوائل من ثيرا في القبائل الثلاث . ومن ثم كان في استطاعتهم أن يستأثروا وحدهم بكافة الحقوق والامتيازات السياسية ، خاصة وأنهم كونوا فيما بينهم ارستقراطية تستند الى ملكية الأرض . وهذه الأرض كانت قد منحت لهم لدى قدومهم الى قوريني . أما الاغريق الذين قدموا بعد ذلك فقد وجدوا أنفسهم في وضع التابع بالنسبة لطبقة المستعمرين الأوائل . وفي رأى البعض أن هؤلاء الوافدين الجدد كونوا الطبقة المعروفة باسم طبقة « البيراويكوى » **Perioikoi** ^{٢٠} .

وكان الملك في قوريني صاحب السلطة المطلقة . وقد جمع في يديه كافة الاختصاصات الدينية والمدنية والعسكرية . وبسنى حكمه كان يسجل تاريخ المدينة وذلك بوصفه كاهن أبوللون^{٢١} . وقد قاد الملك أركيسيلوس الثانى بنفسه الحملة العسكرية ضد اخوته وحلفائهم من الليبيين^{٢٢} . وبصفة عامة كانت سلطة الملكية الاغريقية في قوريني ، تشبه السلطة التى كان يتمتع بها ملوك المدن الاغريقية في تاريخها المبكر . ولا بد وأن يكون هناك فى المدينة منذ البداية مجلس للمسنين أو الشيوخ **Gerousia** ، وان كان هذا المجلس سيظهر فى مصادر العصر البطلمى . وما دامت قوريني مستعمرة دورية فمن السهل أن نفترض وجود هيئة « الايفوروى » **Epheroi** الخمسة منذ البداية، سيما وأننا سنقف على معلومات تخص هذه الهيئة من مصادر العصر البطلمى . واذا جاز لنا أن نقرر أن قوريني قد أخذت نظام هذه الهيئة عن اسبرطة ، فانه ولا بد وأن الملك فى أول الأمر ، كان يختص بتعيينهم ، وأنه كان يعهد اليهم بجانب من اختصاصاته القضائية^{٢٣} . وتكشف مصادر من عصر متأخر عن وجود مجلس جيروسيا ومجلس شورى **Boule** بجوار هيئة الايفوروى فى يوسبيريدس^{٢٤} . ولذلك لنا أن نفترض أنه كان لقوريني كذلك مجلس شورى ، ليكتمل بذلك الشكل الدستورى لهذه المدينة الذى كان دستورها نموذجا اتخذته مدينة يوسبيريدس على الأقل ، وهى احدى منشآت مدينة قوريني فيما يرجح ، وتأخر ظهورها حتى عام ٥١٠ ق.م. تقريبا.

وقد ذكر هيرودوت أن الملكة « فيريتيما » Pheretima أم الملك أركيسيلوس الثالث عقدت مع آخرين مجلسا ، أطاق عليه هذا المؤرخ اسم مجلس البولي Boule وذلك عقب مصرع ابنها في مدينة برقة^{٢٥} . وليس هناك ما يؤكد أن هيرودوت استعمل هذا الاسم بمعناه الدقيق وعنى به حقا مجلس شورى . ولا يستبعد أن يكون قد قصد به مجلسا للشيوخ^{٢٦} .

وكنا نود لو كنا قد ظفرنا من هيرودوت ، أو من نقوش العصر الملكي على تفاصيل تتعلق بتشكيل المجالس وطريقة اختيار المرشحين لعضويتها . وليس أمامنا إلا أن نرجح أنها كانت على نسق مجالس المدن الاغريقية المعاصرة تاريخيا لمدينة قوريني في عصرها الملكي .

ولا نستطيع إلا أن نحس بأننا بصدد دستور ذى طابع أوليجاركي ، تتمتع الأسرة Genos في ظله بنفوذ واضح^{٢٧} . وقد رأينا أنه روعى في اختيار المستعمرين الأوائل أن يمثل كل أسرة من ثيرا واحد من أبنائها . وإذا سلمنا بوجود مجالس للمدينة منذ عصر مبكر ، يحتكر عضويتها المستعمرون الأوائل ، فانه كان من السهل على ذلك العدد القليل من الأسر التي نزلت الى ثيرا أن تدير شئون المدينة عن طريق هذه المجالس . ذلك لأن هذه الأسر هي الوحدات التي تألفت منها طبقة المستعمرين الأوائل من ثيرا ، والتي يرجح — كما أسلفنا — أنها كانت تعلق على نفسها عضوية القبائل الثلاث . وكان من السهل بعد ذلك أن تحتكر أرستقراطية المدينة لنفسها مناصب الافيوروى ، والوظائف الرئيسية الأخرى ، التي لا بد وأنها كانت موجودة منذ البداية في قوريني ، ولكننا لا نعرف عنها شيئا ازاء صيت مصادرها^{٢٨} .

ويمكن أن تتصور أن البناء الدستوري لبرقة في العصر الملكي كان قائما على أساس وجود مدن كبيرة ، مثل قوريني وبرقة ويوسبريدس ، يحيط بكل منها ريفها الخاص بها ، وأن الطبقة الممتازة من الاغريق كانت تخصص نفسها بالسلطات الأساسية في المدن ، وأن الريف بقراه ، كان موطننا لاغريق وفدوا حديثا من شتى أرجاء العالم اليونانى وذلك الى جانب اغريق من ثيرا ، وأن هؤلاء الاغريق من أهل الريف كانوا ، فيما يرجح ، يكونون

طبقة البرى أويكوى Perioikoi ٢٩ . والى جانب هؤلاء الاغريق من أهل المدن ، وأهل الريف ، كانت جموع الليبيين الذين انتزعت أراضيهم لتمنح للمهاجرين الذين وفدوا الى برقة ، لدعم العنصر الاغريقى بها . ويمكن بعد ذلك أن تتبين نظاما على رأسه ملك يتمتع بسلطات واسعة ، وأنه كان يقوم الى جانبه مجلس شيوخ ، ومجلس شورى ، ينبثقان عن هيئة المواطنين من الطبقة الممتازة ، التى ضمت المهاجرين الأوائل من أهل ثيرا . ومن هذه الطبقة كان يختار الايفوروى . والى جانب هيئة المواطنين الممتازة، هيئة أخرى لاغريق تتنظمهم طبقة ، ربما كانت طبقة البرى أويكوى ، التى لا ترقى الى مكانة الطبقة الأولى . ثم تأتى طبقة الليبيين . وهؤلاء ما كان لهم أن يندمجوا مع الاغريق ، الا اذا جاز لنا أن نستثنى أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من مواطن قورينى . اذ أننا نعرف أن الاغريق ، عند أول مجيئهم الى برقة ، لم يصحبوا معهم العدد الكافى من النساء فتزوجوا من السيدات الليبيات ٣٠ .

على أى حال ، كان لا بد أن تتعرض قورينى ، مثل بقية المدن الاغريقية المعاصرة لهزات دستورية عنيفة ، وأن تقع مصادمات حادة بين عناصر سكان المدينة . من ذلك ما ذكره هيرودوت أن الملك أركيسيلوس الثانى (حوالى عام ٥٧٠ ق.م)) اختلف مع اخوته ، ودخل معهم فى صراع عنيف ٣١ . ويتساءل شامو ، أليس هذا بادرة مبكرة من بوادر الصدام بين الملكية والأرستقراطية وهذه كان يمثلها اخوة الملك ٣٢ . وخرج هؤلاء الأخوة من المدينة لينشئوا بمساعدة الليبيين مدينة برقة . ثم نشبت الحرب بين الملك من ناحية ، وبين اخوته أو زعماء الأرستقراطية والليبيين ، الذين أحسوا بمدى ما لحقهم من ضرر عندما انتزعت منهم أراضيهم لتمنح للمهاجرين الاغريق الجدد . وقد ذكر هيرودوت أن أهل قورينى طلبوا من مهبط الوحي فى دلفى النصيح لوضع حد لمتاعبهم الداخلية على عهد ملكهم باتوس الثالث . وقد أشار الوحي باستدعاء مشرع من مدينة ماتينيا بأركاديا يدعى ديموناكس Demonax ٣٣ واستدعاء مشرع يوحى بأن المدينة بعد مضى فترة طويلة على تأسيسها ،

أصبحت تواجه عددا من المشاكل الدستورية . وكان من بين هذه المشاكل ، النزاع بين الملكية والأرستقراطية ، والصراع بين المستعمرين ، الذين استأنثروا بكافة الحقوق والامتيازات السياسية ، والمستعمرين الجدد ، الذين لم يسمح لهم ، فيما يبدو ، بالاندماج في القبائل القديمة جنبا الى جنب مع المستعمرين الأوائل . وهنا ما سنتبينه من مواد الدستور الذى وضعه ديموناكس للمدينة . ومن نافلة القول أن نشير الى أن استعانة المدن الاغريقية بالمشرعين في القرن السادس ق.م. لسن التشريعات الكفيلة بحسم أسباب الخلاف بين العناصر المتصارعة في المدينة لم يكن بالأمر الذى يثير الدهشة . وقد قال هيرودوت ان هذا الرجل جاء الى قورينى وبعد أن درس الموقف قسم أهلها الى ثلاث قبائل ؛ ضمت احداها أهل ثيرا والبيري أو يكوى . وضمت القبيلة الثانية أهل البلوبونيسوس وأهل جزيرة كريت ، وضمت القبيلة الثالثة كل أهل الجزر . وقال هيرودوت أن هذا المشرع خص الملك بإدارة عدد من الضياع المقدسة ، والاشراف على الحفلات الدينية ، وسلم للشعب في مجموعه ، ما بقى من سلطات كانت للملك من قبل^{٣٤} .

ويكون هيرودوت ، قد أوضح أن ديموناكس ، قد عالج في اصلاحاته عدة مشاكل ، بعضها يتصل بوضع المهاجرين الجدد ، وبصفة خاصة الوافدين من ثيرا ، الذين تزايد عددهم ، وشعروا بأنهم بالرغم مما يبذلونه من جهد لزيادة موارد المدينة بالعمل في حقلى الزراعة والرعى ، فانهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية . وكانت المشكلة الثانية هى الانتقاص من سلطات الملك ، وكانت المشكلة الثالثة متعلقة بسلطات الملكية التى تبقت بعد قصر وظيفة الملك على النواحي الدينية ، ولمن تؤول اليهم هذه السلطات .

بالنسبة للمشكلة الأولى ، يتعين علينا أن نحاول تحديد أولئك الذين تنتظمهم طبقة البيري أو يكوى . في رأى بعض المؤرخين ، أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأخرين ، الذين ساهموا في انشاء مستعمرة قورينى ، وتعاونوا مع المستعمرين الأوائل في زراعة أراضيهم ، وتزوج هؤلاء من بناتهم^{٣٥} . ويرفض شامو هذا الرأى ، ويرى أنه يتعارض مع ما نعرفه عن مواطنة المدن

الاغريقية ، كما كان يفهمها الاغريق أنفسهم والذين يرون أن الحق في عضوية المدن الاغريقية ، امتياز خاص يقتصر على الاغريق وحدهم ، وأنه لا يمكن قبول أجناب في هذه العضوية . ويرى شامو أنه من الخير البحث عن المعنى المقصود باصطلاح البيري أويكوى في المدن التي وجدت فيها طبقة تحمل هذا الاسم ، مثل اسبرطة واليس وأرجوس ، وفي بعض المناطق مثل تساليا وفي كريت . ويقصد بطبقة البرى أويكوى في هذه المدن وهذه المناطق أولئك الذين يقطنون الريف من الاغريق الأحرار ويتجمعون ، بصفة عامة ، في تجمعات ريفية ، ويتمتعون بوضع مدنى أقل من وضع المواطنين الكاملين ، ويتأرجح وضعهم بين وضع المواطنين من الدرجة الثانية ووضع الحلفاء من الأتباع . وكانت هذه الطبقة في اسبرطة بصفة خاصة تضم جماعة من الأحرار ، كان من حقهم حمل اسم ولقب اللاكيديمونيين ويخدمون في الجيش مع الاسبرطيين في فرق المشاة الثقيلة . ولذلك فانه من المشكوك فيه أن تكون المدينة قد قبلت أن تدخل في عداد مواطنيها عناصر ليبية . وحقيقة ، كانت العلاقات طيبة بين الاغريق والليبيين عند تأسيس المستعمرة . ولكن بعد وصول المستعمرين الجدد الذين أغراهم باتوس الثانى بالمجيئ الى برقة ، توترت العلاقات بين أهل قورينى والليبيين . ومن ثم كانت تلك الحرب بين الفريقين على عهد باتوس الثانى وأركيسيلوس الثانى . وينبغى ألا ننسى أن قورينى كانت مستعمرة زراعية ، وكان توسعها على حساب القبائل الليبية ، وذلك بانتزاع أراضيها ثم الدفع بها بعيدا الى حافة الصحراء . ومن غير المعقول بعد هذا العداء الذى استمر ، ولم يتوقف طوال العصر الملكى والعصور التالية أن يقبل الاغريق ، وخاصة أهل ثيرا أن يندمج معهم فى قبيلة واحدة عناصر ليبية . ومن غير المحتمل أن يكون الليبيون قد قبلوا الدخول معهم فى مثل هذا التنظيم المدنى والقانونى . وإذا كان الدستور البطلمى قد سمح بأن ينضم الى بناء المدينة السياسى أبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق ، فان من رأى شامو أن هؤلاء ليسوا ليبيين بالمعنى المفهوم . وإذا كان ديموناكس قد أدخل العناصر الليبية فى القبيلة الأولى ، ورضى بذلك أهل

ثيرا ، فان ذلك يعنى أن تتوقع العثور على أسماء ليبية فى نقوش المدينة ، وبكثرة واضحة . وقد ظهر بالفعل اسم باكال واسم ألازير وهى أسماء ذات وقع محلى ، ولكن ذلك ، فى رأى شامو ، ليعد من الأمور النادرة الاستثنائية . ويمكن ، فى رأى هذا المؤرخ ، تفسير ذلك ، بأن بعض الليبيين ، منحوا حقوق المواطنة فى المدينة بصفتهم الشخصية ، أو بأن هذه الأسماء ليست بأسماء أصلية ، بل ربما كانت مجرد أسماء كنية أو مجرد ألقاب + ويضيف شامو ، أن المدينة كانت تضم عنصرا ليبيا ، ويتضح ذلك من تلك الملامح الليبية الصريحة التى تتميز بها بعض التماثيل النصفية فى قورينى ، ولكنه يعلل هذه الظاهرة بأن هذه التماثيل انما كانت للعنصر المولد ، ولم تكن للعنصر الليبى الأصيل . ويزيد شامو على ذلك قوله ، ان حضارة قورينى كانت حضارة اغريقية صرفة فى كافة مظاهرها . ولم يكن هناك من أثر ليبى واضح سوى ذلك الأثر ، الذى نلمسه فى التزام نساء قورينى بتحريم أكل لحم البقر تقديسا للربة ايزيس المصرية ، وهى الربة التى كانت محبة لدى الليبيين + وفى رأى شامو أن كل ما ساقه من أدلة لتقطع بأن قورينى لم تسمح لليبيين بأن يكونوا مواطنين بها ، وأن طبقة البيرأويكوى الذى أدخلهم ديموناكس مع أهل ثيرا فى القبيلة الأولى ، كانوا فى الواقع اغريق الريف ، كما يوحى بذلك اسمهم . ولعلهم كانوا من جزيرة ثيرا أيضا وجاءوا بعد الدفعات الأولى من المهاجرين الأوائل من تلك الجزيرة ، ولم يجدوا لهم مكانا فى قورينى ، فتحولوا الى القرى ينزلون بها ، وحققوا لأنفسهم قدرا واضحا من النجاح والثراء . فهم بذلك غير منفصلين عن المستعمرين الأوائل الذين تحولوا الى أرستقراطية حقيقية جمعت الى ثرائها ، السيطرة السياسية الكاملة . وبذلك يكون ديموناكس قد صحح وضعنا خاطئا وأقر هؤلاء الاغريق من سكان الريف على وجهة نظرهم ، وسلم بها ، فقرر ضمهم الى أهل ثيرا مع المستعمرين الأوائل فى قبيلة واحدة ، ويرفض شامو أيضا التسليم بوجهة نظر لارسن T.A.O. Larsen أن ثمة مدن اغريقية الى جانب قورينى ، مثل سيبايريس وسيراكوز ، قد أدخلت فى عداد مواطنيها عناصر وطنية بوصفهم

(بيرى أويكوى) . وذلك لأن رأى لارسن، لا يستند، فى نظره ، الى أى دليل، ولا يتفق مع النظرية المعروفة والقائلة بأن المدن الاغريقية كانت لا تدخل فى عداد مواطنيها عناصر غير اغريقية^{٣٦} .

ولكننا تتساءل ، لماذا لا تفسر عبارة « أهل جزيرة ثيرا » ، كما وردت عند هيرودوت أنها تعنى قدامى المهاجرين من هذه الجزيرة والوافدين الجدد منها ؟ وفى هذه الحالة ، هل لنا أن نقول أن البيرى أويكوى لم يكونوا اغريقا من ثيرا ، أو عناصر اغريقية ، أخرى ذلك لأن ديموناكس خص بقية العناصر الاغريقية بالقبيلتين الثانية والثالثة ؟ وتتساءل أيضا ، لماذا نص الدستور البطلمى على ادماج المولدين أبناء الليبيات من آباء اغريق فى طبقة المواطنين فى قورينى^{٣٧} . هل ذلك لأن هذا الدستور تنبه الى خطأ كان قائما فى العصر الملكى ، فأراد أن يصحح الوضع القانونى لهؤلاء الأبناء ؟ أم لأن هؤلاء الأبناء كانوا بالفعل مواطنين فى المدينة فأراد الدستور البطلمى أن يقر أمرا كان قائما بالفعل ، وأن ينص على ذلك فى وثيقة رسمية ؟ وإذا كان شامو قد رفض فكرة أن البيرى أويكوى كانوا من الليبيين ، الا أنه ازاء وجود أسماء ليبية فى قوائم المواطنين لم يستطع الا أن يقول أن حقوق المواطنة منحت لبعض أفراد من الليبيين بصفتهم الشخصية ، وأن هذه المنحة لم تخرج الى نطاق التعميم . ولعله وجد فى قلة الأسماء ذات الطابع الليبى ما يزكى به رأيه . ولكن هذا فى رأينا لا يعد دليلا فى حد ذاته ، اذ ربما تكشف فى المستقبل قوائم تضم مزيدا من الأسماء الليبية . وقد يعزز رأينا أن التماثيل النصفية التى سلفت الاشارة اليها والتى تحمل ملامح ليبية ، وعثر عليها فى قورينى لتقطع باستمرار وجود المميزات الجنسية للعنصر الليبى فى المدينة من القرن الرابع ق م . حتى القرن الثالث الميلادى . ولم يسع شامو ازاءها الا القول بأن أصحابها كانوا من العنصر المولد دون أن يعطى هذه الحقيقة بعضا من الاهتمام .

وإذا كان شامو قد أسس نظريته على أساس أن العداء الذى تميزت به العلاقات الليبية الاغريقية بعد مجيئ المهاجرين الجدد على عهد باتوس الثانى

قد حال دون التفكير في ادماج الليبيين في هيئة مواطني المدينة ، فهل يمنعنا ذلك من افتراض أن بعض العناصر من قبيلة الأسبوستاي والتي أسهمت منذ البداية في انشاء المستعمرة وأصهرت الى اغريقها ظلت على ولائها للمدينة متعاونة مع آبائها ، سيما وأن هيرودوت ذكر أن هذه القبيلة قد تأغرقت ؟ ونسبها أيضا لماذا لا نستطيع اعتبار طبقة البيري أو يكيوي المقيمة في ريف المدينة ، كانت في الواقع عبارة عن هؤلاء الليبيين من قبيلة الأسبوستاي المتأغرقة ، أو كانت تضم على الأقل عناصر منهم ؟ قد يساعد على الاجابة على هذا السؤال أن هيرودوت ذكر أن كلمة (باتوس) تعنى (ملك) باللغة الليبية^{٣٨} . ونعرف من مصدر آخر أن (باتوس) لم يكن الاسم الحقيقي لمؤسس مستعمرة قوريني ، بل كان اسمه (أرسطاطاليس) ، وذلك قبل مجيئه الى ليبيا^{٣٩} . فاذا سلمنا بأن (باتوس) لقب ليبي ، فانه يمكننا أن نتصور أن الليبيين كانوا ينادون به ملك المستعمرة اليونانية باعتبارهم رعاياه مثل الاغريق الذين قدموا معه سواء بسواء ثم التفت الاغريق هذا اللقب الليبي وأطلقوه على ملكهم ، ومن ثم صار علما عليه . ونضيف الى ما تقدم أن ديموناكس ، جاء الى قوريني عقب انتصار الأرستقراطية الممثلة في اخوة الملك وحلفائهم الليبيين الذين كانوا ، الى حد كبير ، أصحاب الفضل في النصر الذي أحرزوه على الملك أركيسيلوس الثاني في موقعة لويكون . وربما يكون ديموناكس قد فطن الى أهمية العنصر الليبي وخطورته . وإذا سلمنا بأن قبيلة الأسبوستاي المتأغرقة أو عناصر منها ، هم البيروأويكيوي ، أو أنهم كانوا بعض الذين ضمتهم هذه الطبقة ، فان ديموناكس أراد في الواقع بإدخاله هذه الطبقة جنبا الى جنب مع أهل ثيرا في القبيلة الأولى ، أن يرضى الليبيين من ناحية ، وأن يعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى ، وأن يعطى المدينة فرصة من الهدوء والاستقرار من ناحية ثالثة ولذلك فاننا نرى ، ولو أن رأينا لا يستند الى أدلة حاسمة ، أن هناك بعض الاحتمال في أن طبقة البيري أو يكيوي ، كانت مكونة من عناصر من هذه القبيلة .

وقد استطاع ديموناكس ، بفضل توزيع أهل قوريني بين هذه القبائل

الثلاث أن يحل مشكلة تزايد عدد المهاجرين ، وأن يمنح عددا من الأجانب عن المدينة الحقوق السياسية وأن يسبغ عليهم صفة المواطن . وإذا سلمنا بأن قوريني عرفت نظام القبائل الدورية الثلاث منذ بداية العصر الملوكي ، فإن ديموناكس ، يكون باصلاحاته تلك قد حافظ على نظام هذه القبائل وعددها ، وان كان قد أكسب المدينة نظاما دستوريا أكثر تحررا . وبدلا من أن تكون عضوية المدينة مقصورة على عنصر ثيرا الدورى ، أدخل في بنائها عناصر اغريقية أخرى مما أكسبها مسحة عالمية ، وأمكن لها بفضل العناصر الجديدة التى ضمت اليها أن تسهم فى تيار الحضارة الهلينية مثل غيرها من المستعمرات الاغريقية الغنية المزدهمة بالسكان فى صقلية وجنوب ايطاليا . وحتى فى مجال الفن ، بدأت بعض المؤثرات الفنية الجديدة فى الظهور الى جانب تلك التى كانت تفد من ثيرا^{٤٠} .

أما المسألة الثانية ، التى عالجها ديموناكس فى اصلاحاته ، فهى متصلة بسلطة الملكية . وقد أشرنا الى الصدام الذى وقع بين الملكية والأرستقراطية وأن النصر كان حليف الأرستقراطية التى استعانت بالليبيين . وقد تحولت أسرة باتوس الى أسرة ظهرت فيها المنازعات الأسرية . من ذلك مثلا أن ليارخوس قتل أخاه الملك أركيسيلالوس الثانى بعد عودته منهزما الى قوريني . ولكن الأخ القاتل لقي مصرعه على يد اروكسو Eryxo أرملة الملك القاتل^{٤١} . وأمام هذه الملكية الضعيفة كانت الفرصة مهيئة أمام ديموناكس لينتقص من سلطة الملكية . ولذلك فانه خص الملك بإدارة الأملاك المقدسة ، والاشراف على الحفلات الدينية . ولعل ايراد هذه الأملاك كان ينفق على النواحي المتصلة بالمعابد والحفلات ، وما الى ذلك . ويبدو أن الملك قد اختفظ بمنصب كاهن أبوللون . اذ لم تظهر أسماء كهنة هذه الاله ، الذين كانت تؤرخ بسنى وظائفهم الوثائق الرسمية ، الا بعد سقوط الملكية . وقيام الملك بمهام وظيفة كاهن أبوللون كانت تسمح له بمباشرة الطقوس الدينية السرية *telesphoria* التى كانت معروفة فى العصر الكلاسيكى . وكان الملك يقوم أيضا ، فى الأعياد الدينية بقيادة موكب الضحايا من الأكر وبوليس،

حيث القصر الملكي الى هيكل أبوللون أسفل التل . ولعل الملك كان يضطلع
بكهانات أخرى ، ولكننا لا نعرف عنها أى شىء وبذلك أصبح شبيهها
بالأركون ملك فى أثينا^{٤٢} .

وفيما يتعلق بوظائف الملك ، التى كانت له من قبل ، قال هيرودوت ان
بقية ما كان للملك من اختصاصات قد آلت الى الشعب فى مجموعه . ولا
ينبغى أن يظن أن ديموناكس ، أحدث بإصلاحاته تلك ثورة ديموقراطية ،
ولا ينبغى أيضا أن يعطى لكلمة الشعب demos معنى الديمقراطية أو
الحزب الديموقراطى^{٤٣} ، ذلك أن قورينى كانت فى القرن السادس ق.م مدينة
ذات طبيعة أرستقراطية ، والغلبة فيها لطائفة ملاك الأرض . وعندما كتب
هيرودوت ، أن السلطة الملكية حولت الى الشعب ، فانه فى الواقع أخطأ حيث كان ينظر
الى الأمور نظرة المعاصر لبركليس . وفى رأى شامو أن المستفيد الحقيقى من
النظام الجديد هم الأرستقراطية ، وهى الطبقة الاجتماعية الوحيدة التى كانت
تطمح الى الحصول على السلطة السياسية ، وأن قورينى ، مثل بقية المدن
الاغريقية الأخرى لم تنتقل مباشرة من الملكية المطلقة الى حكومة الشعب
الديمقراطية ، وأنه لا يمكن تصور أن ديموناكس الأركادى المحافظ الذى
ينتمى الى الأرستقراطية فى مدينته يتحول الى مصلح متحرر . ولكن المعقول
أنه يضع دستورا أو نظاما تراعى فيه مصالح الأرستقراط الذين يعارضون
الملك . وبذلك يفسر قول هيرودوت ، أن سلطة الملك قد وزعت بين عدد من
الموظفين ، بأن هؤلاء الموظفين كانوا يختارون من طائفة كانت أرستقراطية
بطبيعتها . وقيام الأرستقراط بانتخاب الايفوروى الخمسة جعل منهم ، عن
طريق هؤلاء الموظفين السامين ، رقباء حقيقيين على سلطة الملك ، وأصحاب
السيادة فى المدينة على نحو ما حدث فى اسبرطة . ومن الواضح أن السلطة
السياسية انتقلت الى الايفوروى . ويرجح أن ديموناكس قد أوجد وظيفة
الاستراتيجوى (القادة) Strategoi وسلم لها السلطات العسكرية ، وأنه قد
أوجد أيضا وظائف النوموفولاكيس ، (الأوصياء على القوانين) ، وعهد اليهم
بالسلطات القضائية . وهذه الوظائف ، وان كانت لم تظهر فى النقوش الا بعد

سقوط الملكية، إلا أن ذلك لا يمنع من نسبتها إلى ديموناكس . وعدد النوموفولا كيس تسعة في الدستور البطلمي . وعدددهم ستة في نقوش أخرى . ويضاف إليهم ثلاثة من الكتبة **Grammateis** . وبذلك يكون العدد ثلاثيا . وهو يتناسب ، من أجل ذلك مع عدد القبائل الثلاث ، وليس مع عدد القبائل الخمس أو العشر حسب الدستور البطلمي^{٤٤} .

وفي ظل نظام كهذا ، يتحكم فيه الأرستقراط ، من السهل أن يفترض أن مجلس الشيوخ يستمر في دعم قوته وسلطانه . وقد سبق أن افترضنا أن هذا المجلس كان قائما إلى جانب الملك منذ وقت مبكر ، وأنه كان يمثل الأرستقراطية منذ البداية .

وهكذا نرى أن ديموناكس قد وضع تسوية راعى فيها إعادة تنظيم البناء الدستوري لقوريني على أساس المزج بين العناصر القديمة والعناصر الجديدة من المستعمرين على أن يوزعوا في القبائل الثلاث حسب جنسيتهم . وحد من سلطة الملك ، وقصرها على الشؤون الدينية ، ووزع بقية سلطات الملك على الشعب في مجموعه أو بالأحرى على الطبقة الأرستقراطية . وهى ، إذا سلمنا بوجهة نظر شامو ، الطبقة التى أفادت من اصلاحات هذا المشرع ، ويكون دستوره بذلك قد سجل انتصار الأرستقراطية على الملكية .

ولكن هل قدر لدستور ديموناكس أن يضع حدا للمنازعات في المدينة ؟ يحدثنا هيرودوت أنه طوال عصر باتوس الثالث ، كانت النظم التى وضعها ديموناكس منفذة تنفيذا حسنا . ولكن في عصر ابنه أركيسيلائوس الثالث بدأت الفتن والمنازعات بسبب سلطة الملك وحقوقه . ولم يشأ الملك أن يمثل لما قرره ديموناكس بخصوص هذه الحقوق ، ولكنه طالب بعودة ما كان لأسلافه من امتيازات ، وجعل من نفسه رئيسا لحزب في المدينة ، ولكن غلب على أمره ، ونفى من المدينة إلى جزيرة ساموس ، حيث جمع جنودا أغراهم بمساعدته على استعادة عرشه مقابل منحهم مساحات من الأرض . ولدى عودته إلى قوريني ، انتقم من خصومه . واغتاله مع صهره ألازير ، ملك مدينة برقة ، في تلك المدينة نفر من اغريق قوريني . ولم تكن أمه الملكة

فريثيمى ، لتقل عنه تمسكا بحقوق الملكية وامتيازاتها . وأثناء تغيب ابنها فى مدينة برقة ، كانت هى فى قورينى ، قائمة على شئون الحكم ، وتحضر جلسات المجلس . وقد ذكر هيرودوت هذا المجلس باسم مجلس البولى Boule أو الشورى . وما ان علمت الملكة الأم بمصرع ابنها حتى لجأت الى الفرس ، الذين كانوا قد احتلوا مصر على عهد ملكهم قمبيز فى عام ٥٢٥ ق.م. ومع الجيش الذى أمدها به أريانديس حاكم مصر الفارسى ، دخلت مدينة برقة وانتقمت من أهلها شر انتقام^{٤٥} .

ومعلوماتنا قليلة عن الأحداث التى وقعت على عهد الملك باتوس الرابع ، وان كان عهده يمتاز بشيء من الرخاء والهدوء . أما خلفه أركيسيلوس الرابع فقد كان عليه أن يواجه اضطرابات سياسية فى قورينى ، وكان يقيم فى دلفى بعض اللاجئين السياسيين . وربما تكون هذه الاضطرابات قد نشأت نتيجة لضيق الرقعة الزراعية بسكان قورينى ، أو لعدم مراعاة العدالة فى توزيع الأرض عليهم . وقد انتهى الموقف بنشوب الثورة فى قورينى ، ولجأ الملك الى مدينة يوسبيريدس ، حيث كان مصرعه . وذلك حوالى عام ٤٤٠ ق.م. وبذلك انتهى حكم أسرة باتوس فى برقة^{٤٦} . ولا بد وأن تكون السيطرة على المواقف فى قورينى قد آلت الى الأرستقراطية التى استأثرت بالسلطة .

ومعلوماتنا عن التاريخ الدستورى لقورينى ، فى الفترة ما بين سقوط الملكية وحكم البطالمة فى برقة ، انما نستمدّها من بعض العبارات التى وردت فى الدستور البطلمى^{٤٧} ، وديودوروس الصقلى^{٤٨} ، ومن كتاب السياسة لأرسطو^{٤٩} .

فى المادة الثامنة من مواد الدستور البطلمى ، نص صراحة على أن عدد المواطنين فى البوليتيوما Politeuma ، قبل العصر البطلمى كان ألف مواطن فقط . والمقصود بالبوليتيوما فى هذا الدستور ، كما سيلى ، هيئة المواطنين العاملين الذين يمارسون السلطات الدستورية . ويغلب على الظن أن عددا معينا من الأسر ، التى كان فى حوزتها معظم الأراضى الزراعية ،

استطاعت أن تجمع في يديها الى جانب الثروة ، كافة السلطات السياسية والعسكرية^{٥٠} . وذلك في الفترة التي كانت فيها الأوليغارشية متحكمة في المدينة .

ونعرف من ديودوروس ، ومن أرسطو ، أنه قد حدث في قوريني ثورة ديموقراطية ، قتل فيها خمسمائة من الأغنياء وفر الكثيرون منهم وذلك حوالى عام ٤٠١ ق م . وذكر أرسطو أن الطبقات الفقيرة ضاقت بالعقبات التي وضعتها في طريقها الحكومة الأوليغارشية ، لتحررها من حقوقها الطبيعية ، وخاصة بعد أن زاد عدد الفقراء على عدد أفراد الطبقات الممتازة . وآل الأمر بعد ذلك الى الحزب الديمقراطي ، الذي شرع يعد برنامجا اصلاحيا يستند الى الأسس الديمقراطية التي كان كليستينيس Cleisthenes قد سنها لأثينا ، فحلت محل القبائل والعشائر القديمة ، قبائل وعشائر جديدة تميزت بطابع هذا المشرع الديمقراطي . وقد امتزجت فيها شتى العناصر . واستعاض عن احتفالات القبائل والعشائر الدينية الكثيرة المتعددة ، بعدد قليل من هذه الاحتفالات يشترك فيها جميع المواطنين^{٥١} .

كل هذا يعنى أن دستور ديموناكس ، قد انتهى أمره ، وأنه لا بد وأن يكون مجلس البولي في قوريني ، قد عدل نتيجة التعديلات التي أدخلت على نظام القبائل . وربما كان العامة قد انتقصوا من سلطات الايفوروى التنفيذية خلال معركتهم ضد الأوليغارشية . ولا نقف من مصادرها على عدد القبائل أو على عدد أعضاء مجلس البولي . واذا كان كليستينيس قد قسم الأثينيين الى عشر قبائل ، وجعل أعضاء مجلس البولي خمسمائة بواقع خمسين عضوا عن كل قبيلة^{٥٢} ، فهل يحق لنا قياسا على ذلك أن نقول أن القبائل في قوريني ، على عهد الديمقراطية ، قد أصبحت عددها عشرة بدلا من القبائل الثلاث القديمة ، وأن عدد أعضاء مجلس البولي بلغ الخمسمائة ؟ سنعرف من الدستور البطلمي أن أعضاء مجلس البولي كان خمسمائة . ومعنى ذلك أن أعضاء هذا المجلس على عهد البطلمة ، كانوا ينوبون عن خمس قبائل أو عشر . ولكننا من ناحية أخرى سنعرف أيضا من الدستور

البطلمي ، أن القادة كانوا خمسمائة وأن الايفوروي كانوا خمسة كذلك .
لذلك يميل المعلقون على هذا الدستور الى ترجيح أن القبائل كانت خمسا .
وعلى أى حال فان قوريني بفضل هذه الثورة الديمقراطية ، قد انتقلت من
مرحلة الأوليجاركية الى الديمقراطية .

ونعرف من ديودوروس أن الأوليجاركيين لم يستسلموا للهزيمة ، فثار
الصراع بينهم وبين الديمقراطيين في فترة سابقة لعام ٣٢٢ ق.م. ، وأن
الأوليجاركيين قد نجحوا في اقضاء الديمقراطيين عن مراكز الحكم في قوريني .
ولكن هؤلاء ما لبثوا أن استعادوا سيطرتهم على المدينة ، فخرج منها
الأوليجاركيون ولجأ فريق منهم الى بطلميوس والى مصر . ولجأ فريق
آخر الى ثيرون ، قائد القوات المرتزقة ، الذي كان يريد أن يحتل قوريني .
ولم يتردد بطلميوس في أن ينتهز الفرصة ، وتدخل عسكريا . واستطاع أن
يسيطرته على هذه المدينة الاغريقية العريقة في عام ٣٢٢ ق.م. ٥٣ .

وعن تاريخ قوريني الدستوري في العصر البطلمي ظفنا بوثيقة على
قدر كبير من الأهمية^{٥٤} ، منقوشة على لوحة من الرخام محفوظة في متحف
شحات . وتتضمن هذه الوثيقة وصفا لدستور قوريني . ومقدمة النقش غير
موجودة ، والقسم الأخير منه مختلط وغير واضح . ويتكون الدستور من
خمس عشرة مادة ، ونلخص فيما يلي أهم المواد ، وأهم ما اشتملت عليه :

المادة الأولى : المواطنون Politai هم من ولدوا لأب وأم من قوريني ،
ويدخل في عداد المواطنين أيضا أولئك الذين ولدوا لسيدات لبيات من آباء
اغريق من قوريني ، في المنطقة التي تلى كاتاباثموس (السلوم) ، وأهل
أوتومالاكس Automalax ، (وهذه تقع الى الغرب قليلا من مدينة
العقيلة أسفل خليج سرت) ، والمنفيين ، وأولئك الذين أنزلهم أهل قوريني في
مناطق تابعة لمدينتهم بوصفهم مستعمرين عسكريين ، وأولئك الذين سينزلهم
بطلميوس ويعطيهم صفة المواطنة .

المادة الثانية : تتكون هيئة المواطنين Politeuma من عشرة آلاف

hoi myrioi . وتضم أولئك الذين كانوا قد لجأوا الى مصر hoi phygades والذين سيحدداهم بطلميوس ، وأولئك الذين يمتلكون نصابا ماليا ثابتا ، حسب ما يحدد عمال الاحصاء timeteres ، وتبلغ ثروتهم مع ثروة زوجاتهم عشرين ميناى بعملة الاسكندر ، وبشرط أن يزيد عمرهم على ثلاثين عاما . ويختار أعضاء مجلس الشيوخ gerontes ، عمال الاحصاء من بين العشرة آلاف ، وعدد هؤلاء العمال ستون عاملا ، لا يقل عمر الواحد منهم عن الثلاثين عاما . وعليهم أن يقسموا القسم القانونى ، وعليهم أن يقدروا ثروات المواطنين بالشكل الذى تحدده القوانين .

المادة الثالثة : يتكون مجلس الشورى (البولى) من خمسمائة عضو ، يختارون بالقرعة ، ولا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما ويحتفظون بعضوية المجلس لمدة سنتين . وتسقط عضوية نصفهم فى السنة الثالثة عن طريق القرعة . ولا يجوز اعادة ترشيحهم الا بعد مضى سنتين . واذا كان عدد أولئك الذين يبلغون سن الخمسين لا يكفى ، فانه يمكن عن طريق القرعة ، اختيار أعضاء المجلس من أولئك الذين هم فى سن الأربعين .

المادة الرابعة : عدد أعضاء مجلس الشيوخ Gerousia واحد ومائة عضو يختارهم بطلميوس . وفى حالة شغور مكان أى عضو بسبب الوفاة ، أو لاعتزاله عضوية المجلس ، فان هيئة المواطنين العشرة آلاف تملأ الأماكن الشاغرة بمرشح لا يقل عمره عن الخمسين عاما . ولا يسمح لأعضاء مجلس الشيوخ شغل أى وظيفة أخرى ، فيما عدا وظيفة القائد زمن الحرب .

المادة الخامسة : ينتخب كهنة أبوللون من بين أعضاء مجلس الشيوخ ، من الذين لم يشغلوا وظيفة الكهنة من قبل ، ومن الذين بلغوا من العمر خمسين عاما .

المادة السادسة : سيكون بطلميوس قائدا Strategos مدى الحياة . ومن ناحية أخرى ينتخب (العشرة آلاف) خمسة من القادة من بين الذين

لم يشغلوا هذه الوظيفة من قبل ، بشرط ألا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما . وفى حالة الحرب ، يكون الاختيار من بين أعضاء البوليتيوما جميعا . وفى حالة الحرب مع غير الليبيين ، فإن (العشرة آلاف) يقررون ما اذا كان القادة العاملون يستمرون فى عملهم أم لا . فاذا قرروا توقفهم عن العمل ، فإن الاختيار لهذا المنصب ينبغى أن يكون من بين كل أعضاء البوليتيوما .

المادة السابعة : سيكون هناك تسع نوموفولاكيس يختارون من بين (العشرة آلاف) من الذين لم يشغلوا هذا المنصب ، وسيكون هناك أيضا خمسة من الايفوروى بنفس الشروط السابقة ، ولا يقل عمر من يشغل أيا من المنصبين عن خمسين عاما على الأقل .

المادة الثامنة : اختصاصات مجلس الشيوخ ، ومجلس البولى ، ستكون هى بعينها نفس الاختصاصات التى كانت لهما فى وقت السلم ، يوم أن كان عدد أعضاء البوليتيوما ، ألفا بدلا من عشرة آلاف . ينظر فى الجرائم التى تكون عقوبتها الاعدام ، مجلس الشيوخ ومجلس البولى ، وألف وخمسمائة محلف ينتخبون بالقرعة من بين أعضاء البوليتيوما العشرة آلاف . وتستمر القوانين السابقة ، اذا لم تكن تتعارض مع الدستور الحالى . ويقدم الموظفون حساباتهم بما يتفق مع القوانين المعمول بها حاليا . وسيكون من حق الشخص الذى يقدمه القادة للمحاكمة ، ويكون عرضة للحكم عليه بالاعدام من قبل مجلس الشيوخ والبولى ، فى مدى ثلاث سنوات ، أن يختار بين أن يحاكم طبقا للقوانين أو أمام بطلميوس . وبعد مضى هذه الفترة سوف تجرى محاكمة مثل هذا الشخص دائما طبقا للقوانين .

ولا يجوز أن يصدر حكم على أحد العائدين من المنفى الا بعد الرجوع الى بطلميوس لاستطلاع رأيه .

المادة التاسعة : يحرم من عضوية المنظمات المعروفة باسم *hetairai* كل مواطن ، كائنا من كان ، من أعضاء البوليتيوما ، يمتن مهنة الطب أو تدريب الصبية على الألعاب الرياضية أو الموسيقى أو المبارزة أو يعمل رسولا فى مجلس البروتانيوم .

المادة العاشرة : اذا اتهم أى فرد بارتكاب الأعمال المشينة ، أو اذا عمل فى تجارة التجزئة ، أو امتنن مهنا حقيرة ، فانه يجرى من حقوقه السياسية . *atimia* .

المادة الحادية عشرة : كل من يخالف قرارات بطليموس ، أو يهاجم الموظفين سوف يعرض نفسه لعقوبة الاعدام .

المادة الثانية عشرة ، وهى تتعلق بالعقوبات التى تفرض على كل من يتعرض بالأذى للعائدين من المنفى .

والوثيقة فى هذا الجزء من النقش غير واضحة . وهى فيما يبدو تتعلق بالقوانين المنظمة للملكية الخاصة . ويرجح أنها تضمنت الإشارة الى دعاوى كان يقيمها العائدون من المنفى لاسترداد أراضيهم أو منازلهم التى كانت لهم قبل نفيهم .

المادة الثالثة عشر ، وهى تتعلق فيما يبدو بالملكية العقارية .

المادة الرابعة عشرة : كل من يقتل جنديا من جنود الحماية سيكون جزاؤه الاعدام .

المادة الخامسة عشرة : وتتضمن قائمة بأسماء الموظفين الذين عينوا فى السنتين الأولى والثانية بعد صدور الدستور وهم كاهن أبوللون ، والقادة *Strategoi* وعددهم ست ، والنوموفولاكيس ، وعددهم تسع ، والايفوروى ، وعددهم خمسة ، وعدد غير معروف من التوموثيتاى *nomothetai* ، ولعل هؤلاء كانوا مختصين بالمسائل التشريعية .

وإذا نظرنا فى مواد هذا الدستور ، أمكننا أن نقف على عناصره المختلفة ، وعلاقة الواحد منها بالآخر ، وبالطابع الذى تميز به ويلاحظ أن الوثيقة التى تضمنت الدستور ، وصفت فى أحد سطورها بأنها *diagramma* ، ووصفت مواد الدستور بأنها *nomoi* ، مما يوحى بأن الدستور كان عملا تشريعيا ، أو أنه رفع الى السلطات التشريعية فى المدينة للموافقة عليه .

ويأتى بطليموس ، على رأس الهيئة الحاكمة فى المدينة ، بوصفه صاحب الحق فى منح حقوق المواطنة فى المدينة ، وأنه هو الذى يتولى تعيين أعضاء مجلس الشيوخ عند تشكيله للمرة الأولى فى ظل الدستور الجديد . ولما كان لهذا المجلس اختصاصات هامة ، كما سنرى فيما بعد ، فإن ذلك يفسر حرص بطليموس على تعيين أعضائه . ومكان بطليموس فى هذا الدستور هو منصبه كقائد Strategos لمدى الحياة . وقد جعل صاحب سلطة تعلق سلطة الايفوروى الخمسة^{٥٦} . وخص نفسه باختصاصات قضائية ، اذ كان يرأس مجلس قضائيا للاستئناف ، وان كان ذلك لمدة ثلاث سنوات فقط . واحتفظ لنفسه أيضا بالحق فى الفصل فى القضايا والمنازعات بين المواطنين والعائدين من المنفى . ونص على أن ذلك لمدة ثلاث سنوات أيضا ، حتى لا مدى اهتمام بطليموس بأمر المنفيين ومنحهم كافة الضمانات الضرورية لحيوا يسلب جانبا من السلطة القضائية . والواقع ان بعض مواد الدستور تظهر فى المدينة حياة آمنة مطمئة بعد عودتهم اليها^{٥٧} . واذا كان الدستور قد نص على عدم ادانة أحدهم ، الا بعد استطلاع رأى بطليموس ، فإن ذلك احتياط حكيم منه ، لأن المتهمين بتهم سياسية لا يستطيعون الاطمئنان الى قضاة من مدينتهم^{٥٨} .

ويمكن أن نقف من مواد الدستور على طبيعة تكوين مواطنى المدينة وقد جاء فى المادة الأولى ذكر المواطنين الذين وصفوا بأنهم Politai ، وجاء فى المادة نفسها ذكر هيئة المواطنين ، ووصفت بأنها بوليتيومان politeuma .

فى رأى بعض المعلقين على الدستور أن المواطنين أو Politai ، هم جموع المواطنين العاديين^{٥٩} ، وأن عددهم غير محدد ، وأنهم أبناء لوالدين من قورينى ، وأبناء السيدات الليبيات من آباء اغريق من هذه المدينة ، وذلك فى كل منطقة برقة البطلمية المتدة من كاتاباثموس (السلوم) حتى أوتومالاكس ، الواقعة الى الغرب قليلا من العقيلة والمنفيين المقيمين فى هذه المدينة الأخيرة ، الذين كانوا قد أعدوا من مدن أخرى ، وعناصر عسكرية نزلوا كمستوطنين عسكريين فى معاقل أو حصون تابعة لمدينة قورينى ،

والعناصر التى سيأتى بها بطليموس . وفى رأى جونز A.H.M. Jones أن حقوق المواطنة فى مدينة قورينى ، منحت لأبناء السيدات الليبيات من أزواجهن الاغريق ، والذين كانوا يقيمون فى منطقة برقة البطلمية ، والتى كانت تمتد من كاتاباثموس حتى أوتومالاكس * وبذلك يستبعد الأبناء الذين كانوا يقيمون فى أرض تابعة لمصر أو أرض تابعة لقرطاجة^{٦٠} . وفى رأى البعض أن منح حقوق المواطنة فى منطقة متسعة كهذه لا يمكن أن يفسر إلا بأن الدستور البطلمى لم يقتصر على قورينى وحدها ، بل وضع لبرقة كلها، وأدخل فى عداد المواطنين عناصر ، وربما لم تكن اغريقية صرفة . ولكن فى رأى غيرهم أنه لم يرد فى بقية مواد الدستور أى ذكر لقواعد أو أسس تنظم العلاقة بين قورينى وبقية مدن برقة * ومن ثم فإن الدستور خاص بقورينى وحدها^{٦١} . وإذا سلمنا بالرأى الأول ، فإن ذلك يؤيد رأى الذين ذهبوا الى أن هذا الدستور إنما هو الدستور الفيدرالى الذى وضعه اكديموس وديموفانيس فى عام ٢٦٥ ق.م. ، لحلف كون من مدن برقة ، الاغريقية^{٦٢} . وسنعود الى الحديث عن هذا الدستور فيما بعد . أما اذا سلمنا بالرأى الثانى ، فإن ذلك يعنى أن طائفة من أبناء قورينى كانوا أنصاف مواطنين ، باعتبار أن أمهاتهم لم تكن اغريقيات ، وربما كانوا من طبقة البيروأيكوى التى أسلفنا الحديث عنها والتى كان ديموناكس قد ضمها الى القبيلة الأولى من قبائل المدن الثلاث فأراد بطليموس أن يسبغ عليهم الصفة القانونية أو يؤكد وضعهم السابق ، ولعل هؤلاء الأبناء هم الذين أنزلهم أهل قورينى فى القلاع التابعة للمدينة ، اذ أنه من الصعب أن تتصور أنه كان فى امكان مدينة اغريقية عريقة مثل قورينى أن تقبل فى عداد مواطنيها عناصر غير اغريقية ، مهما كان نوع الخدمات التى يؤدونها لها . أما أهل أوتومالاكس ، الذين أبعدوا من مدن أخرى ، فلعلهم كانوا مواطنين للمدينة ، خرجوا منها فى فترة الصراع الحزبى الذى ساد قورينى فى الفترة الواقعة بين العصرين الملكى والبطلمى * ويكون هدف بطليموس بذلك هو تأمين هؤلاء المنفيين ، والسماح لهم بالعودة الى مدينتهم . وقد قام هو نفسه بإعادة المنفيين ، الذين لجأوا الى مصر فى فترة

الصراع بين الحزبين الديمقراطي والأوليغاركي ، وكانوا السبب المباشر لاحتلال بطلميوس لقوريني .

وجاء بعد ذلك ذكر هيئة المواطنين ، البوليتيوما **Politeuma** وهي عند طائفة من المؤرخين تعنى المواطنين العاملين^{٦٣} . وفي رأى غيرهم أنها الهيئة التى يتمتع أفرادها وحدهم بالحقوق الانتخابية^{٦٤} . وقد نصت المادة الثانية من الدستور على أن يكون عدد أفراد هذه الهيئة عشرة آلاف . وفي رأى البعض أنه يجب ألا يفهم أن هذا العدد كان بالضبط ، هو عدد أفراد هذه الهيئة ، مع التسليم بأن العدد الحقيقى كان لا يبعد كثيرا عن هذا القدر^{٦٥} ، سيما وأن عدد سكان قوريني يقدر بخمسمائة ألف نسمة . وتضم الهيئة أولئك الذين كانوا قد لجأوا الى مصر ، والذين سيعينهم بطلميوس ، وأولئك الذين يمتلكون نصابا ماليا ، قدره عشرون ميناى . وهذا نصاب معقول ، اذ كانت قوريني مدينة زراعية ، وكان أهلها يتمتعون برخاء مادى واضح . ويقدر عدد الذين أبعدوا عن هذه الهيئة ، نتيجة اشتراط هذا النصاب ، بثلاث أو ربع عدد السكان الأحرار^{٦٦} . وقد حدث فى أثينا أن أثينياتروس ، فى وقت معاصر لصدور دستور قوريني ، اشترط نفس هذا النصاب . وقد ترتب على ذلك أن تسعة آلاف مواطن من مجموع ٢١٠٠٠٠ مواطن فقدوا حقوقهم السياسية^{٦٧} . واشترط لعضوية هيئة مواطنى قوريني ألا يقل سن العضو عن ثلاثين عاما . ويختب مجلس الشيوخ ، من بين العشرة آلاف ، عمال الاحصاء **timeteres** . ويختص هؤلاء بتقدير ثروات المواطنين ، الذين يمكن أن يدرجوا فى هيئة العشرة آلاف . ولما كان بطلميوس هو الذى يعين مجلس الشيوخ الذين ينتخبون عمال الاحصاء ، فإن ذلك يعنى تحكمه بطريق غير مباشر فى اختيار أعضاء البوليتيوما العشرة آلاف^{٦٨} .

واذا أمعنا النظر فى المادة الثالثة المخصصة لمجلس الشورى (البولى) ، لوجدنا أنها تبدو كما لو كانت وصفا لمجلس الشورى الديمقراطى الأثينى بأعضائه الخمسمائة . وربما كان هذا المجلس وليد الثورة الديمقراطية التى

حدثت عند انتصار الحزب الديمقراطي على الحزب الأوليجاركى . اذ طبقا لما ذكره أرسطو ، وكما أسلفنا ، فان حركة من هذا النوع أدت فى قورينى الى ايجاد قبائل جديدة لها نفس الطابع الذى تميزت به عشائر كليستينيس . ولكن رفع سن العضوية لهذا المجلس الى الخمسين عاما بدلا من الثلاثين ، وهو السن الذى كان يشترط لعضوية المجالس المماثلة فى بعض المدن اليونانية، ليدل على أن هذا السن كان مرتفعا بشكل استثنائى . وقد جاء فى هذه المادة أيضا ، أن عضوية نصف أعضاء المجلس تسقط كل سنتين عن طريق القرعة . وهذا يعنى أن عضوية المجلس كانت تجدد على مراحل ، ولم يكن التغيير فى العضوية ليشمل المجلس مرة واحدة ، وذلك رغبة فى أن يستمر العمل المتصل بدون ما حاجة الى تعطيله بانتخاب مجلس جديد^{٦٩} .

ولما كان عدد أعضاء المجلس خمسمائة عضو ، فان رأى يكاد ينعقد على أن قورينى لم تشذ عن القاعدة العامة المتبعة فى المدن الاغريقية ، والتي كانت تقضى بأن يختار عن كل قبيلة عدد معين يمثلها فى المجلس . وهذا العدد يوحى بأن عدد قبائل قورينى كان عشر قبائل ، مثلما كان الحال فى أثينا ، أو خمس قبائل . ويفضل البعض الأخذ بعدد الخمسة ، وذلك نظرا لوجود خمسة من القادة وخمسة من الايفوروى . يكاد يكون من المرجح أن العدول عن نظام القبائل الدورية الثلاث قد حدث بعد الثورة الديمقراطية التى أشار اليها أرسطو .

والى جانب مجلس البولى كان هناك أيضا مجلس الشيوخ الجيروسيا gerousia الذى تتحدث عنه المادة الرابعة من مواد الدستور . وكان بطليموس هو الذى يعين أعضاء هذا المجلس عند تشكيله للمرة الأولى . ومجلس الشيوخ ، كما هو معروف ، مجلس أرستقراطى بطبعه . ولعله وجد فى المدينة قبل مجلس البولى . ويلاحظ أنه لم يشترط لعضوية مجلس الشيوخ نصاب مالى معين . ولكن تحديد الحد الأدنى لسن العضوية بسن الخمسين ، وقلة عدد الأعضاء ، ليكشفان عن الطابع الأوليجاركى الذى كان لهذا المجلس . وكان المجلس يتحول الى هيئة انتخابية عندما كان يقوم

بانتخاب عمال الاحصاء . ويدل احتفاظ بطلمیوس نفسه بحق تعيين أعضائه عند تشكيله للمرة الأولى في ظل الدستور الجديد ، على أنه كان يدرك أهمية المجلس وخطورته كعنصر أساسي من عناصر دستور المدينة + ويستوقف النظر أن أعضاء المجلس حرموا من شغل مناصب أخرى ، فيما عدا منصب القيادة العسكرية زمن الحرب . وهذا الاجراء يتفق مع اتجاه الاغريق نحو الفصل بين السلطات الثلاث ، وخاصة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية^{٧٠} .

وقد نص في المادة الخامسة على اختيار كاهن أبوللون من بين أعضاء مجلس الشيوخ ولم يوضح ما اذا كانت هيئة العشرة آلاف هي التي تقوم بانتخابه ، أم أن الأمر متروك لمجلس الشيوخ + على أى حال ، فإن اختيار الكاهن من طبقة الشيوخ ليعطى هذا المنصب أهمية خاصة في حياة المدينة . وربما كان هذا المنصب ، الذي تخلف عن سلطة الملكية ، من نصيب الطبقة الأرستقراطية في المدينة التي لا يزال مجلس الشيوخ يمثلها حتى في ظل الدستور الجديد . ولما كانت الوثائق تؤرخ باسم الكاهن ، فانه كان من الطبيعي أن تكون الوظيفة لمدة عام واحد .

وكانت هيئة المواطنين العشرة آلاف ينتخبون خمسة لمنصب القيادة العسكرية + وفي الوقت نفسه كان بطلمیوس يحتفظ بمنصب القائد مدى الحياة . ولما لم يكن في استطاعته النهوض بنفسه بأعباء هذا المنصب ، فانه كان ينوب عنه قائدا يعينه الى جانب القادة الخمس المنتخبين . ولم ينص على الامتيازات التي كانت لهذا القائد . واذا كان القادة الخمس ، ينتخبون من كل قبائل المدينة ، فانه يرجح بحق أن عددها كان خمسا بالفعل +

ويختار العشرة آلاف أيضا تسع موظفين أوصياء على القانون هم النوموفولاكيس % وكانت ترفع اليهم على الأرجح الالتماسات القانونية . والحد الأدنى لسن من يشغل هذا المنصب هو سن الخمسين^{٧١} .

وكانت هيئة المواطنين تختار الايفوروى الخمسة ، وكانوا يباشرون سلطات قضائية ويراقبون سلوك المواطنين . ويتولون رفع الدعاوى ضد

مرتكبي الجرائم الخلقية . ومن نقش من القرن الثالث من مدينة برينيكي (= يوسبيريدس = بنغازي) نعرف أن الايفوروي ، كانوا يشتركون مع مجلس الشيوخ في تقديم المقترحات أمام مجلس البولي^{٧٢} . ويرجح أن الايفوروي قد ورثوا أيضا عن الملوك حق رئاسة مجلس الشيوخ * ولا تنتظر أن نخرج بمعلومات ذات قيمة اذا قارنا اختصاصات الايفوروي في كل من اسبرطة وقوريني ، ذلك لأن المدينة الأخيرة كانت تخلو من عنصر الهيلوتس . ولما كانت سلطة بطليموس بوصفه قائدا أو strategos ، تملو سلطتهم ، لذلك يرجح أن هيئة القادة الخمسة كانت تتمتع بسلطات تنفيذية أوسع من تلك التي كانت للايفوروي .

وتوضح المادة الثامنة من مواد الدستور الاختصاصات القضائية التي كانت لمجلس الشيوخ والشورى * وهي تقتصر على النظر في القضايا أو الجنايات التي تكون عقوبتها الاعدام . اذ كانت المحكمة التي تنظر في هذا النوع من القضايا تشكل من المجلسين معا * والى جانب هذه المحكمة ، محكمة أخرى مؤلفة من خمسمائة وألف عضو ، تنتخبهم بطريق القرعة ، هيئة المواطنين . ولذلك كانت لهذه المحكمة صفة الشعبية . ويبدو أنها كانت تنظر في دعاوى الاستئناف من أحكام المحكمة الأولى . وكان من حق المتهم أن يرفع استئنافه أمامها أو أمام بطليموس ، ولكن عمل هذه المحكمة الشعبية ، واختصاص بطليموس المماثل في النظر في دعاوى الاستئناف ، لا يستمر لأكثر من ثلاث سنوات .

وقد نص في هذه المادة أيضا على حق بطليموس في النظر في القضايا التي يكون العائدون من المنفى طرفا فيها وذلك لمدة ثلاث سنوات أيضا^{٧٤} . ويمكن ان تبين أن اجراءات التقاضي كانت ، فيما يرجح ، تبدأ بأن يقدم القادة strategoi بوصفهم وكلاء الدعوى ، المتهمين في الجنايات التي يكون عقوبتها الاعدام الى مجلس الشيوخ . ويقوم أعضاء المجلس بوصفهم probouloi بالتحقيق في القضية . ثم يحيلون القضية الى مجلس الشورى ليصدر فيها حكمه .

وجاء في هذه المادة أيضا أنه على الموظفين المختصين بالمسائل المالية أن يقدموا بياناً بحساباتهم ، دون أن تحدد الجهة المختصة بمراجعة هذه الحسابات . ونحن نعرف ، أنه في أثينا ، كانت الدعاوى الناشئة عن الطعن في الحسابات euthyna تنظر أمام قضاة (الديموس) وقد ينتهي الأمر بعرضها على المحكمة . وكانت مثل هذه الدعاوى في المدن الاغريقية الأخرى ، تعتبر من حق الشعب كله . ولكن الاجراء الذي كان متبعاً في قوريني غير واضح على الاطلاق^{٧٥} .

وفيه من المادة التاسعة أن أصحاب المهن ، مثل الأطباء ومدرّبي الألعاب الرياضية ومعلمي الموسيقى كانوا يستبعدون من الجماعات المعروفة باسم hetairiai ، وهي تنظيمات عسكرية . ومعنى الاستبعاد هنا ، لا يعنى حرمانهم من الخدمة العسكرية ، انما يعنى فقط اعفاءهم منها ، ذلك لأن أصحاب المهن من أطباء ومدرسين ، كانوا يتمتعون بمكانة ممتازة في العصر الهلينى . وكان بعضهم في مدينة الاسكندرية يعفون من بعض الضرائب . وبالتالي لا محل للقول بأن أصحاب المهن كانوا محتقرين في قوريني ، أو أن استبعادهم أو اعفاءهم من الخدمة العسكرية ينم عن نزعة أرستقراطية ، ويدل على تحامل الأرستقراط على أولئك الذين يتقاضون أجراً مقابل عملهم . ولكن النزعة الأرستقراطية تظهر بوضوح ، في حرمان أولئك الذين عرف عنهم سوء الخلق ، وارتكاب الجرائم المخلة بالشرف ، أو الذين يعملون في تجارة التجزئة ، من حقوقهم السياسية . ولكن ينبغى أن يفهم أن حرمانهم من هذه الحقوق لا يعنى استبعادهم من عضوية العشيرة أو من ممارسة حقوقهم الأخرى^{٧٦} .

هذه هي أهم مواد الدستور البطلمى ، كما حفظها لنا ذلك النقش من قوريني ، وتلك هي أهم الأسس الدستورية التى اشتملت عليها . ويلاحظ أن هذا الدستور جمع بين مظاهر أرستقراطية أو أوليجاركية وبعض المظاهر الديمقراطية . وتبدو المظاهر الأوليجاركية في اشتراط النصاب المالى لعضوية هيئة المواطنين ، وفي طريقة تشكيل مجلس الشيوخ ، وجعل عضويته مدى

الحياة ، واشتراط حد مرتفع لسن الأعضاء ، ومناصب الايفوروى ، والنوموفولاكيس أو الأوصياء على القوانين . أما العناصر الديمقراطية للدستور، فتتضح بصفة خاصة ، في أن عضو مجلس الشورى كان ، بعد انتهاء مدة عضويته ، لا يستطيع أن يعيد ترشيح نفسه لعضوية المجلس من جديد قبل مضي سنتين على الأقل . والمعروف لنا ، أن المواطن الأثيني لم يكن يسمح له بشغل عضوية المجلس أكثر من مرتين طوال حياته^{٧٧} . وعلى كل حال ، فإن النزعة الأوليغارشية تغلب على هذا الدستور بشكل واضح ، ولم يكن ليسمح للمدينة في ظل حكم ، مثل الحكم البطلمي ، أن تعود الى رحاب الديمقراطية . وينبغي ألا ننسى أن بطليموس ، انما أتى الى برقة لنصرة أولئك النفر من الأوليغاركيين الذين لجأوا اليه بعد فرارهم من قوريني . وقد تضمن الدستور بعض الضمانات التي كفها لهؤلاء الأوليغاركيين العائدين من المنفى . ولكن الدستور من ناحية أخرى لم يسمح لهم بأن يطلقوا أيديهم في المدينة أو أن يحاولوا احتكار الحكم لأنفسهم ، ذلك لأنه زاد من عدد أعضاء هيئة المواطنين أو البولييتيوما من ألف الى عشرة آلاف ، ولم يقصر حق المواطنة على الطبقات الممتازة وحدها . وفضلا عن ذلك فإن الدستور يكشف عن أن بطليموس ، الذي ورد اسمه في الدستور ، كان حريصا على أن يظهر بمظهر الحاكم الذي يحترم حرية رعاياه الاغريق . وهو وان كان قد أبقى للمدينة المظهر الدستوري للمدينة الاغريقية مثلا في مجالسها وموظفيها ، الا أنه في الوقت نفسه حد من حريتها بالدرجة التي تشعرها بسيادته . ذلك أنه احتفظ لنفسه ببعض الامتيازات . وكان من حقه منح الحقوق السياسية للمدينة لبعض الأفراد ، وتعيين أعضاء مجلس الشيوخ عند تشكيله للمرة الأولى وفقا لهذا الدستور ، واحتفظ لنفسه أيضا بمكان دائم على رأس هيئة القادة الخمسة . وكان له حق النظر في قضايا الاستئناف، وان كان هذا الحق مقيدا بقيود زمنية . وفوق كل ذلك ، كان في استطاعته مباشرة الضغط على المدينة بفضل جيشه ، وحامياته المنتشرة في برقة .

وثمة ملاحظات تتعلق بالمصادر التي يظن أن دستور قوريني البطلمي

أخذ عنها . من ذلك ما يمكن أن يقال بصدد نظام الايفوروى بأنه أتى من اسبرطة عن طريق جزيرة ثيرا ، وأن نظام الجماعات المعروفة باسم *hetairiai* التى ورد ذكرها فى هذا الدستور كان معروفا فى ثيرا وجزيرة كريت ، ويرجح أنه انتقل عن طريق هذه الجزيرة الى قورينى . ولعل هذه المدينة كانت قد أخذت عن الدستور الآثينى ، مجلس الشورى ، والمحكمة المؤلفة من واحد وخمسمائة وألف محلف ، ونظام القبائل . أما بالنسبة لبعض عناصر دستور قورينى مثل مجلس الشيوخ والقادة ، والأوصياء على القوانين أو النوموفولاكيس ، فقد كان يوجد مثيل لها فى كثير من مدن العالم الهيلينى ويرى البعض أنه بالرغم من الظن أن دستور قورينى البطلمى أخذ عن دساتير المدن الأخرى ، إلا أنه يمكن أن يقال ، بصفة عامة ، أنه دستور نما وازدهر مرتبطا بواقع المدينة وحاضرها^{٧٨} . ومن ناحية أخرى يمكن القول أن عناصر هذا الدستور لم تكن كلها مستحدثة ، ذلك أنه من دراستنا التى سلفت لدستور المدينة الأول فى العصر الملكى ، نرجح أن بعض عناصره ظلت قائمة ، وإن كانت مصادرنا لا تفصح عنها ، حتى إذا كان العهد البطلمى الجديد ، أبقى عليها المشرع بعد أن أدخل عليها تعديلات تتناسب مع الأوضاع السياسية الجديدة فى المدينة .

وقد اختلف المؤرخون حول شخص بطليموس ، الذى نسب اليه هذا الدستور . وقال بعضهم أنه بطليموس بن لاجوس ، والى مصر ، قبل أن يصبح ملكا عليها^{٩٧} . وقال آخرون أنه بطليموس الثالث يورجتييس الأول ، وأنه وضع هذا الدستور عندما تم زواجه من الأميرة برينيكى ، ابنة ماجاس ملك برقة . وكان زواجه من هذه الأميرة ايذانا بعودة برقة ، لتصبح من جديد ، تابعة لمصر بعد تلك الفترة التى كانت قد استقلت فيها تحت حكم الملك ماجاس^{٨٠} . ولكن أكثر الذين درسوا دستور قورينى البطلمى ، يفضلون نسبته الى بطليموس الوالى . ذلك لأنه ذكر فى الدستور باسم بطليموس فحسب دون أن يسبق اسمه لقب الملك ، ولأن مينائى الاسكندرية التى ذكرت فى المادة الثانية من مواد الدستور ، كان قد انتهى

تداولها في عهد الملك بطليموس الثاني . ومن المرجح أن يكون الدستور قد صدر في عام ٣٢١ ق.م. ، لأنه وردت في المادة الثانية من مواده ، الإشارة الى حرب وصفت بأنها لم تكن حربا ضد الليبيين . ولم تحدث في ذلك العام غير تلك الحرب التي نشبت بين خلفاء الاسكندر ، ولأنه وردت أيضا اشارات الى بعض أبناء قوريني الذين لجأوا الى مصر ، وليست لدينا أى معلومات عن لاجئين أتوا اليها بعد هذا التاريخ^{٨١} .

ويرتبط بدراسة دستور قوريني على عهد البطالمة ، تتبع بعض الأحداث السياسية الهامة التي مرت بها هذه المدينة ، وبقية مدن برقة . في عام ٣١٣ ق.م. قامت قوريني بثورة ضد الحكم البطلمي ، ولكن أوفلاس حاكم برقة من قبل بطليموس الوالى أخمدها بسهولة ويسر . وفي عام ٣١٢ ق.م. أعلن ذلك الحاكم استقلاله ببرقة ، ولكنه ما لبث أن قتل وهو يقود حملة فاشلة ضد قرطاجة في عام ٣٠٩ ق.م. على يد حليفه أجاثوكليس طاغية سيراكوز . وفي عام ٣٠٨ ق.م. نجح بطليموس في استعادة برقة بفضل ماجاس ، ابن زوجته برينيكى ، فأقامه نائبا عنه في حكمها^{٨٢} . وفي عام ٣٠١ ق.م. اضطر بطليموس الى غزو الاقليم مرة أخرى ، وهذا يرجح حدوث ثورة في قوريني في الفترة ما بين عامي ٣٠٨ و ٣٠١ ق.م. وان كان التاريخ المحتمل لوقوعها هو عام ٣٠٦ ق.م. ، عندما أوقع ديمتريوس الهزيمة ببطلميوس في موقعة سلاميس . ولعل الثورة كانت بفعل عناصر ديمقراطية ، اذ يميل البعض الى أن ينسبوا الى هذه الفترة ، النقود التي نقشت عليها عبارة قوريني الشعب *kyranion*

damo ، وذلك تمييزا لها عن النقود التي نقشت عليها عبارة قوريني بطليموس *Kyranion Prolemaio* ، واشعارا بتحرير الشعب من حكم بطليموس^{٨٣} . وبعد اخماد هذه الثورة هدأت الاحوال في قوريني ، ثم انتهز ماجاس فرصة وفاة الملك بطليموس الأول فاستقل ببرقة وأعلن نفسه ملكا عليها . واختار الوقوف الى جانب السليوقيين في صراعهم مع بطالمة مصر . وتزوج من أيلاما ابنة أنطيوخوس الأول . وفي أواخر حياته أثر أن يتهج سياسة المسالمة مع أخيه غير الشقيق ، بطليموس الثاني فيلادلفوس ، ملك مصر ، وذلك بخطبة

ابنته الاميرة برينيكى من ابن ذلك الملك وولى عهد مصر . وبعد وفاة ماجاس حوالى عام ٢٥٨ ق.م. ، تزعمت أياها اتجاها مناوئا للبطالمة ، فاختارت الأمير ديمتريوس الجميل، وكان أخا غير شقيق لأنتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا، زوجا لابنتها برينيكى بدلا من خطيبها ولى عهد مصر . وكان هدفها الاحتفاظ باستقلال برقة بعيدا عن التبعية للبطالمة . ولكن ديمتريوس ، بعد وصوله الى قورينى تورط معها فى علاقة غرامية ، انتهت بمصرعه الذى دبرته برينيكى . وتمكنت هذه الأميرة بعد ذلك من السيطرة على الموقف حوالى عام ٢٥٥ ق.م. ثم تزوجت من بطلميوس الثالث ، وهذا يعنى عودة البطالمة الى حكم برقة مرة أخرى^{٨٤} .

والفترة التى تلت وفاة ماجاس ، تعد فترة غامضة بالنسبة للأوضاع الدستورية الخاصة ببرقة بصفة عامة ، وقورينى بصفة خاصة . ومعلوماتنا عنها تقتصر على ذلك الاتحاد الفيدرالى الذى انتظم كل مدن برقة ، والذى وضع دستوره الفيلسوفان اكديموس وديموفانيس . فى عام ٢٥٠ ق.م. وعرف باسم **Koinon ton Kyranion**^{٨٥} . وقد أصدر الاتحاد نقودا خاصة به تحمل الحروف **dem** . وقد ترمز هذه الحروف الى ديموفانيس . وقد ترمز الى ديمتريوس^{٨٦} . فاذا كان الفرض الثانى هو الصحيح ، فان ذلك يعنى أن الاتحاد كان قائما فى الفترة التى شارك فيها هذا الأمير فى حكم برقة، أو أنه أعيد تنظيمه تحت رعايته^{٨٧} . بل ان البعض يرجح أنه هو الذى استدعى الفيلسوفين لوضع دستور هذا الاتحاد^{٨٨} . واذا كان قيام هذا الاتحاد ينهض دليلا على استقلال برقة ومدنها ، فان عودة برقة الى التاج البطلمى تعنى نهايته . غير أن بعض المؤرخين لا يرى هذا رأى ، ويفترض استمرار وجود الاتحاد ، لأنه ليس هناك أى تعارض أو تناقض بين وضع برقة على هذا الشكل الاتحادى ، وبين كونها جزءا من أملاك البطالمة^{٨٩} . ويرى نفر من المؤرخين أن بطلميوس الثالث أقر دستور اكديموس وديموفانيس ، وأن هذا الدستور ، فى واقع الأمر ، ما هو الا ذلك الدستور البطلمى الذى أسلفنا الحديث عنه وأن بطلميوس الثالث هو ذلك البطلميوس ، الذى ذكر فى

ذلك الدستور، وليس بطلميوس الوالى * ولكن هذا الرأى ضعيف، ولا يصمد أمام قوة الأدلة التى تثبت نسبة الدستور الى بطلميوس الوالى * ونضيف، أن الدستور البطلمى لا يتلاءم بحال مع وضع نظمت فى ظله المدن الاغريقية فى برقة بوصفها اتحادا *koinon* ، لأن جميع مواد هذا الدستور لم تتضمن أى اشارة الى وجود نوع من العلاقات بين قورينى ومدن برقة الأخرى ، وبالتالي لم تحدد حقوقها والتزاماتها . وواضح أن الدستور وضع لمدينة بعينها وهى قورينى فحسب ٩٠ .

إذا كان اكديموس وديموفانيس قد جمعا المدن فى تحالف فيدرالى واحد ، فما هى هذه المدن ؟

وجد البطلمة فى برقة أربع مدن وهى قورينى وبرقة وتوخيرا ويوسبيريدس . وقد قال جونز *A. H. M. Jones* أن هذين الفيلسوفين جعلوا من ميناء قورينى ، مدينة قائمة بذاتها وخلعا عليها ذلك الاسم الذى عرفت به فيما بعد وهو اسم أبوللويا ، وكانت قبل العصر البطلمى ، لا تزال تعرف باسم ميناء قورينى ، أى أنها كانت لا تزال ، من الناحية السياسية جزءا من قورينى . وفى الواقع اننا لا نقف على اسم أبوللويا فى مصادر سابقة على القرن الأول الميلادى * وأول ذكر لها فى هذا القرن ، بوصفها مدينة منفصلة عن قورينى ، انما ورد عند استرابون . وفى الوقت نفسه يستبعد أن يعزى اطلاق اسم أبوللويا على ميناء قورينى الى البطلمة . ذلك لأنهم اعتادوا اطلاق اسماء ملوك أو ملكات من أسرهم على المدن التى ينشئونها . وفى برقة ، غير بطلميوس الثالث من أسماء مدنها ، فتحول اسم يوسبيريدس الى برينيكى ، واسم توخيرا الى أرسنوى ، وأطلق اسم بطوليميس على ميناء برقة * بل حلت بطوليميس محل برقة * وقياسا على ذلك كان حريا بطلميوس الثالث أن يطلق على ميناء قورينى اسما من هذا النوع ، ولذلك فانه من المرجح أن يكون اسم أبوللويا قد أصبح معروفا قبل أن يصبح بطلميوس الثالث بزواجه من بيرينيكى ، ملكا على برقة . وقد يؤيد ذلك ، أن رفع ميناء قورينى الى مرتبة المدينة كان مرتبطا باطلاق اسم المدن الخمس

(بنتابوليس Pentapolis) على إقليم برقة ، لأن المدن في هذا الإقليم كانت أربعا فقط ولم يزد عددها الى خمس الا بعد ضم أبولونيا اليها . وكان بلينى أول من أشار ، في القرن الأول الميلادى ، الى أن برقة هى إقليم المدن الخمس **Pentapolitana regio** . فاذا كان هذا الاسم قد تأخر الى القرن الأول الميلادى فان ذلك لا ينفى أنه لم يكن مستعملا قبل هذا التاريخ ، لأنه ظل قائما حتى العصر البيزنطى . واسم مثل اسم المدن الخمس كان يستعمل عادة ليدل على حلف من المدن . ولا بد وأن هذا الاسم كان قد ظهر مقترنا بتكوين حلف بالفعل بين مدن برقة . وبذلك يمكن نسبة ظهور اسم أبولونيا الى الفترة التى أعاد فيها اكديموس وديموفانيس تنظيم برقة . وكان هدفهما من اعطاء أبولونيا صفتها المستقلة احداث توازن بين القوى ، التى يتألف منها الاتحاد ، اذ كانت قورينى أكبر المدن وأقواها ، وفصل مينائها عنها ، مع اعطاء هذه الميناء اسما ووضعها مستقلين ، ينزل بقورينى الى مرتبة المدن الأخرى^{٩١} . والواقع أن اسم المدن الخمس استمر قائما بالفعل حتى العصر البيزنطى . ولكن يستثنى من ذلك تلك الفترة التى أنشأت فيها مدينة هادريانوبوليس بعد ثورة يهود برقة فى عام ١١٥م . فأصبح فى برقة ست مدن ، ووصفت قورينى فى نقش يؤرخ بالفترة الواقعة بين عامى ١٨٥ ، ١٩٢م ، بأنها عاصمة المدن الست **ba matropolis tas hexapolis** . ولكن اصطلاح المدن الخمس ما لبث أن عاد الى الظهور من جديد على عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) وذلك بالرغم من استمرار وجود مدينة هادريانوبوليس^{٩٢} .

ونظرية جونز تبدو صحيحة ، ومن السهل قبولها . وكان من الممكن تأييدها بأدلة أو شواهد معينة . ولكن ليس أمامنا الا نقود هذا الاتحاد . وهذه النقود لا تحمل الى جانب كلمة **koinon** أسماء المدن أعضاء الاتحاد . وقد صدرت فى قورينى بوصفها عاصمة هذا الاتحاد^{٩٣} .

على أى حال فان عودة الحكم البطلمى الى قورينى على يد بطليموس الثالث وضع نهاية لاتحاد مدن برقة . ولا نستطيع بعد ذلك أن نتبين ماذا

كانت عليه علاقة الملوك البطالمة وخاصة في الفترة التي أصبح فيها بطليموس الأخ الأصغر لبطليموس السادس ملك مصر ، والذي سيتولى ملك مصر فيما بعد باسم بطليموس الثامن يورجتيث الثاني ، ملكا على برقة ، والفترة التي كان فيها ابنه غير الشرعى بطليموس أبيون ملكا عليها أيضا . غير أننا نقرأ في وصية بطليموس ، يورجتيث الثاني ، التي أوصى فيها ببرقة للشعب الرومانى فى عام ١٥٥ ق م . أنه يناشد الرومان باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم اذا اعتدى أحد على مدن مملكته أو أراضيها طبقا لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بينه وبينهم^{٩٤} . وقد يفهم أن هذه العبارة قد تشير الى وجود نوع من التفاهم بين هذا الملك وبين المدن ، وأن المدن كانت راضية بالحكم الملكى المستقل عن بطالمة مصر على عهده وربما أيضا على عهد بطليموس أبيون . وذلك مقابل موافقة هذين الملكين على أن يكون لهذه المدن وضع خاص تتمتع المدن فى ظله بنصيب أوفر من الحرية لم يكن لها على عهد الحكم البطلمى المباشر من قبل ملوك مصر . وقد يرجح هذا الظن ، أنه بعد وفاة بطليموس أبيون فى عام ٩٦ ق م . وانتقال ملكية برقة الى الشعب الرومانى تنفيذا لوصيته ، اكتمل مجلس الشيوخ الرومانى بوضع يده على الأراضى الملكية وترك للمدن الحرية فى ادارة شئونها وشئون أراضيها^{٩٥} . ونستطيع القول أن عنصر الاغريق ، وخاصة مواطنى المدن الاغريقية ، كان من أهم عناصر سكان برقة على عهد البطالمة ، وأن أهمية هذا العنصر كانت تزداد كلما تراخت قبضة هؤلاء الملوك على برقة ، وضعفت سيطرتهم عليها ، وأن المدن وخاصة قورينى ، كانت تنتهز كل فرصة ممكنة لتثبت وجودها وتؤكد ذاتيتها .

وكان الى جانب الاغريق عناصر أخرى من السكان ، وذلك حسب ما روى استرابون . وهذه العناصر هى ؛ المزارعون والأجانب واليهود^{٩٦} . وإذا كان استرابون ، وهو المعاصر لأغسطس ، قد كتب عن برقة فى أوائل العصر الرومانى ، الا أن حصره عناصر السكان على هذا النحو . ينصرف أيضا الى عصر البطالمة .

وأن بعضهم كانوا يستأجرون مساحات من أرض الملك أو أرض المدن أو أرض مدينة تضم المواطنين منهم ، وطبقة يتمتع أفرادها بامتيازات أقل وتضم جموع الاغريق من غير المواطنين ، وربما سمح لهم البطالة بتشكيل جاليات قومية .

أما المزارعون فيرجح أنهم كانوا طبقة ضمت الليبيين الأحرار العاملين في الزراعة والرعى . وربما يمكننا أن نفترض أن بعضهم كانوا ملاك للأرض ، وأن بعضهم كانوا يستأجرون مساحات من أرض الملك أو أرض المدن أو أرض الأفراد . وربما كان يعيش بين هؤلاء المزارعين بعض سلالة الجند المرتزقة وأصحاب الاقطاعات الذين جلبهم البطالة الى برقة^{٩٧} .

وكان للأجانب وضع خاص ، وذلك شأنهم في أى مدينة اغريقية . أما اليهود فقد كانوا عنصرا على جانب كبير من الأهمية ، وقد سمح لهم البطالة ، جريا على سياستهم في مصر ، بتشكيل جاليات ، تمتعت بجانب كبير من الاستقلال الذاتى . وقد أفردت لدراسة اليهود وأوضاعهم في العصرين الهيلينستى والرومانى ، المقال الثالث من هذه الدراسات .

هذه هى عناصر السكان الأربعة التى وجدها الرومان في برقة عندما آل اليهم أمر حكمها . وكان لابد وأن تأتى عناصر رومانية وإيطالية . وأن تصبح المكانة الأولى في المدن للمواطنين الرومان .

ويساعد على تبين حقيقة الأوضاع الدستورية في قورينى وفي برقة القرارات الخمسة المعروفة التى أصدرها الامبراطور أغسطس لمدينة قورينى . وقد نقشت هذه القرارات على لوحة من الرخام ، عثر عليها في منطقة الأجورا وهى معروضة الآن في متحف شحات^{٩٨} . وهذه القرارات من نوعين :

النوع الأول ، ويضم القرارات الأربعة الأولى ، وكلها تتعلق بشئون برقة وتشتمل على نصوص على جانب كبير من الأهمية اذ تتعلق أساسا بالتنظيم القضائى أو القانونى للولاية ووضع الاغريق الذين منحوا حديثا حقوق المواطنة الرومانية . وتؤرخ هذه القرارات بشهر فبراير أو شهر مارس من عام ٦ ق.م.

٢ - النوع الثانى ، ويضم القرار الخامس ، وهو يختلف كل الاختلاف عن القرارات الأربعة الأولى اذ أنه عبارة عن قرار موجز للإمبراطور ، يتضمن أمره بنشر قرار كان مجلس الشيوخ قد أصدره ليعلن فى كل أنحاء الامبراطورية ، ويتعلق بحالات قيام الموظفين الرومان بتجاوز سلطات وظائفهم وابتزازهم لأموال رعايا الامبراطورية *repetundae* . ويلى أمر الامبراطور نص قرار مجلس الشيوخ . وتاريخ القرار عام ٤ ق.م. ٩٩

ويلاحظ أن القرارات الأربعة الأولى صيغت باللغة الاغريقية مباشرة ، فى حين أن القرار الخامس ترجم الى هذه اللغة عن اللاتينية^{١٠٠} . ولما كان القرار الأخير خاصا بالامبراطورية كلها ، ولا يتصل بموضوعنا ، فاننا نقصر اهتمامنا على القرارات الأربعة الأولى .

يفهم من القرار الأول أن المحلفين كانوا يختارون من طبقة المواطنين الرومان ، ممن كانوا يمتلكون حوالى خمسمائة وألفى دينار رومانى ، وأن عدد هؤلاء كان خمسة عشر ومائتين مواطنا . وأن الرومان اعتادوا اتهام الاغريق بتهم كاذبة ، مما ترتب عليه تقديمهم للمحاكمة لارتكابهم جرائم عقوبتها الاعدام . وفى الوقت نفسه كان الرومان يتقدمون للدلاء بالشهادة ضد هؤلاء الاغريق الأبرياء الذين أعدم الكثيرون منهم . وهذا أمر لا يقره الامبراطور . ولذلك فانه يأمر حكام ولاية كريت وبرقة أن يعملوا على أن يختار عدد من المحلفين الاغريق ، يماثل عدد المحلفين الرومان ، ومن يمتلكون نفس النصاب المالى . وقد أوضح الامبراطور أنه من حق المتهم قبل بدء المحاكمة بيوم واحد ، أن يقرر ما اذا كان يريد أن يكون جميع المحلفين من الرومان أو أن يكون نصفهم من الاغريق . ومن رأى الامبراطور أنه ينبغى على حكام ولاية كريت وبرقة ألا يسمحوا لمواطن رومانى باقامة الدعوى ضد أغريقى أو اغريقية فى جرائم القتل الا اذا كان الذى يقيم الدعوى شخص منح حقوق المواطنة الرومانية ، وقتل واحد من أقاربه أو مواطنية .

وفى القرار الثالث يأمر الامبراطور بأن يلزم الأشخاص الذين منحوا فى برقة حقوق المواطنة الرومانية ، بأن يؤدوا الخدمات الالزامية الشخصية

المفروضة على المواطنين الاغريق تجاه مدينتهم . ويستثنى من هذا الأمر أولئك الذين أعفوا ، بمقتضى قرار من والده (قيصر) أو بمقتضى قرار منه بما يتفق مع القانون أو مع قرار لمجلس الشيوخ ، من الالتزام بأداء هذه الخدمات عند منحهم حقوق المواطنة . وحتى بالنسبة لأولئك الذين منحوا مثل هذا الاعفاء ، فإن الامبراطور يبدى رغبته الشخصية في أن يطبق الاعفاء فقط على ممتلكاتهم التى كانت لهم عند حصولهم على قرار بهذا الاعفاء . أما الممتلكات التى يحوزونها بعد ذلك ، فانها تخضع للالتزامات العادية .

وفى القرار الرابع ، ينص الامبراطور على أنه فى حالة المنازعات بين الاغريق ، فيما عدا القضايا الكبرى التى تستوجب الحكم بالاعدام ، فانه ينبغى أن يختار المحلفون من الاغريق ، مالم يطلب المدعى عليه أن يكون المحلفون من المواطنين الرومان . وبالنسبة للذين يختارون محلفين اغريق ، فإن الامبراطور يوصى بالألا يكونوا من مدينة المدعى أو المدعى عليه .

أما القرار الثانى فهو يتعلق بمحاكمة أجزاها الامبراطور فى روما لبعض المواطنين الرومان الذين قرروا أمام حاكم الولاية أن لديهم معلومات تتعلق بسلامة المواطن الأول وأمن الامبراطورية. فبعث بهم الحاكم الرومانى مكبلين بالأغلال ليتولى الامبراطور استجوابهم بنفسه . وهذا القرار نستبعده من دراستنا ، فيما يتعلق بالأوضاع الدستورية على عهد هذا الامبراطور . وهذا القرار ان دل على شىء فانما يدل على مدى حرص الامبراطور بأن يقف بنفسه على ما يتصل بالأمن والسلام فى الولايات .

وفى القرار الأول نعرف أن برقة ضمت عددا من الرومان ، كان يختار من بينهم محلفون ممن يمتلكون نصابا قدره خمسمائة وألفا دينار على الأقل . وعدد أولئك الذين يتوفر فيهم هذا الشرط لم يتجاوز خمسة عشر ومائتى مواطن فقط . وهذا النصاب لا يعد نصابا مرتفعا إذا قارناه بنصاب المواطن الذى كان يدرج فى عداد المحلفين فى روما اذ كان يجب أن يكون نصابه أربعمائة ألف من السسترات أى ما يعادل مائة ألف دينار . وهذا يدل على مدى ما كان عليه مواطنو برقة الرومان من تواضع فى الثراء وبالتالي من

تواضع فى الاخلاق * وهذا يفسر سبب تلك المؤامرات التى يحكيها الرومان للاغريق .

وكان هدف هذه المؤامرات اقحام أكثر أثرياء الاغريق فى التهم الكبرى * وكان من الممكن بالتواطؤ مع المحلفين الرومان اثبات التهم المقامة ضدهم * واذا قبل المتهمون دفع مبالغ كبيرة من المال لهؤلاء المتآمرين فانه كان يجرى اطلاق سراحهم والا كان جزاءهم الاعدام^{١٠١} .

ويمكن أن ندرك أهمية القرار الذى نظم طريقة اختيار نصف المحلفين من الاغريق ، وفى قصر حق اقامة الدعوى فى قضايا القتل بالنسبة للاغريق على أقارب القتل أو مواطنيه وتحريم ذلك على الرومان . لأنه فى هذا الاجراء ، ضمان العدالة الكافية للاغريق حتى لا يقعوا فى براثن الرومان ويذهبوا ضحية لمؤامراتهم ودسائسهم^{١٠٢} . وحرصا على مراعاة العدالة فى النظر فى قضايا يكون الاغريق فيها هم أطراف النزاع ، تضمن القرار الرابع رأى الامبراطور فى أن يختار محلفون اغريق من غير مدينة المدعى أو مدينة المدعى عليه ، وذلك فى القضايا العادية . أما فى القضايا التى يصدر فيها الحكم بالاعدام فان النظر فيها يكون من اختصاص الحاكم .

واذا أخذت قرارات أغسطس ككل ، فانها كانت بدون شك فى صالح الاغريق . فمن كان هؤلاء الاغريق ؟

فى رأى فنجر M. Wenger أن الاغريق هم :

أولا — مواطنو مدن برقة الاغريقية وسكان القرى من الاغريق *

ثانيا — كل المقيمين فى اقليم برقة وفى امكانهم البرهنة على انتمائهم اما الى مدن اغريقية واما الى معهد التربية (الجومنازيوم) اذ أن عضوية هاتين المنطمتين كانت مقصورة على الاغريق *

وهذه النظرية تتفق مع سياسة روما العامة فى البلاد التى تتحدث الاغريقية حيث نصبت من نفسها حامية للحضارة الاغريقية ومدافعة عن

تراثها * وبذلك كان الاغريق في برقة ، سواء في المدن أو خارجها يكونون طبقة ممتازة ، تتفوق على غيرها بوضعها الاجتماعي أو السياسي ، ويمكن التعرف عليها بسهولة . ويقابل الاغريق ، كما حدثنا استرابون ، الأجانب واليهود . وهؤلاء كانت لهم جالياتهم الخاصة بهم ، والمزارعون الذين يغلب على الظن ، كما أسلفنا أنهم كانوا من الليبيين الوطنيين . وقد بنى قنجر نظريته على أساس ما كان حادثا في مصر ، حيث كان الاغريق والمصريون يكونون طبقتين منفصلتين متميزتين ، لكل منهما وضع قانوني معين .

ويقابل هذه النظرية ، نظرية أخرى قال بها ديساو * Dessau وملخصها أن الرومان أدخلوا في عداد الاغريق كل سكان برقة بدون ما تمييز على الإطلاق بين جنس و جنس أو عنصر وعنصر ، وفي رأيه أن ولاية برقة قد تأغرقت تأغرقا تاما . حتى ان كل واحد من سكانها أصبح يقال له اغريقي ، ومن ثم فهو ينتسب الى الهيلينية . وبذلك يدخل هذا المؤرخ الليبيين واليهود في عداد الاغريق . ويدعم فكرته بأن اسم الاغريق على عهد أغسطس كان ينتظم كل سكان آسيا الصغرى وسوريا . ولكن الأوضاع التي كانت قائمة ليست في صالح هذه النظرية * اذ أن استرابون فرق بوضوح بين الاغريق والأجانب ، والليبيين واليهود . ثم ان تلك الثورات العنيفة التي قام بها اليهود على عهد الامبراطور فسباسيان حوالى عام ٧٠ م . وعلى عهد الامبراطور تراجان في عام ١١٥ م . أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن اليهود لم يستطيعوا بحال الاندماج في المجتمع الاغريقي في برقة . والواقع أنهم لم يكونوا بحاجة الى ان يذوبوا في هذا المجتمع وكذلك لم يكن في استطاعتهم الحصول على مواطنة المدن الاغريقية * ويكشف عن هذه الحقيقة ، كما سيلي في الدراسة التالية عن يهود برقة ، فانهم كانوا ينتظمون في جاليات خاصة بهم ولهم أراكتهم وحكامهم ولهم حق ممارسة شريعتهم الخاصة بهم . ويؤكد هذا الأمر نقش من برنيكى (= بنغازى) . ولكن ديساو يحاول أن يضعف من هذه البيئة بقوله ان هذه التفرقة بين اليهود والاغريق كانت قد محيت في الفترة التي أصدر فيها الامبراطور أغسطس قراراته تلك . ولكن يضعف من رأيه استمرار الأدلة

على وجود جاليات يهودية ، وأن قرارات أغسطس لم تشر لغير الاغريق •
ولذلك فمن الأفضل الأخذ بنظرية فنجر ١٠٣ •

ويلاحظ أن القرارات ، من ناحية أخرى ، تحدثت عن الاغريق ، دون ما اشارة الى المدن ومواطنيها الاغريق . وهؤلاء جميعا يستفيدون من قرارات أغسطس بوصفهم أغريق برقة ، وليس بوصفهم مواطنين في مدنها • ولا يمكن تصور أن السلطات الرومانية كانت تجهل الاطار السياسى للمدن . وما كانت لتشريع القوانين دون أن تهتم بالروابط التى تربط بين كل اغريقى ومدينته . ولذلك ، فالى جانب الاهتمام برفع المظالم عن الاغريق بصفة عامة ، اهتم الامبراطور فى القرار الأول أن يوضح أن مندوبى مدن برقة أتوا الى روما يرفعون شكاواهم . ومعنى ذلك أنه كانت لهذه المدن الصلاحية لأن تحمى مصالح الاغريق فى مواجهة السلطات المركزية • وهذا اعتراف بالوضع المدنى للاغريق فى مدنها . وفى القرار الرابع أوصى الامبراطور أن يختار المحلفون من مدن غير مدينة المدعى ، ومدينة المدعى عليه . وهذا اعتراف ضمنى بوجود تنظيم للمدن واعتراف الامبراطور بها .

وقد جاء فى القرار الثالث عبارة هيئة soma الاغريق . فهل كانت هذه الهيئة تنتظم كل اغريق برقة أو اغريق المدن ؟ وفى رأى البعض أن كلمة soma تصف جالية تعلو المدن الاغريقية وتضم كل اغريق برقة . وهذا يعنى أن أغسطس كان يفضل اتباع سياسة جنسية بإيثار هذا التنظيم القومى للاغريق ، باعتبارهم ينتمون الى جنس واحد . ولكن هناك من يرى غير هذا الرأى ويقول أن كلمة soma وردت فى النص بمناسبة الحديث عن الخدمات الالزامية المفروضة على هيئة soma الاغريق . وهذه الخدمات لا يمكن أن تكون الا التزامات تؤدى للمدن • ولا شئ يدل على أن الخدمات الالزامية امتدت الى تنظيمات سياسية أكثر شمولاً واتساعاً من تنظيمات المدن ، وأنه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن وجود مثل هذه المنظمات الواسعة يتعارض مع الأسس الدائمة التى قامت عليها السياسة الرومانية ، والتى تميل الى استبعاد كل تحالف ، وكل تنظيم يهدف الى تجميع مواطنى عدة مدن فى

هيئة واحدة . لأن ذلك لا يتفق مع السياسة الرومانية التي ابتكرت مبدأ فرق تسد *divide et impera* وأمام هذه الاستحالة يبرز رأى ثالث يقول بأنه يجب أن نفهم أن كلمة *soma* تعنى هيئة المواطنين في كل مدينة على حدة . وحتى الدول الهيلينية لم تكن لترحب بالتنظيمات السياسية الواسعة . وكان ملوك تلك الدول يتجهون نحو جمع السلطة في أيديهم في نظام سياسى قوى يعلو كل السلطات في الدولة . وهذا النظام الهلينيستى يقابله النظام الرومانى، الذى أدخل في نطاق سيطرته المدن والجاليات الأخرى بل ان ادارة الولاية أصبحت خاضعة لمجلس الشيوخ أو الامبراطور . وهذا هو تنظيم الدولة الكبيرة الموحدة . وقد خصت روما نفسها بالاشراف على الادارة المحلية . وكانت تنظم بحكم وضعها المتفوق ، الذى كان يتلشى أمامه كل مفاضلة بين الأفراد بحسب المدن التى ينتمون اليها . أى أن نظام الدولة يفوق كل ما عداه من أنظمة . واصبح في امكان الدولة أن تصل بقوانينها وعدالتها الى هؤلاء الأفراد بعد أن نجحت في تحويل الأنظمة السياسية مثل المدن الى مجرد ادارات محلية بسيطة . وتمشيا مع هذا الاتجاه نجد الامبراطور في القرار الثالث يمارس الوصاية على الادارة الداخلية للمدن . ثم ان هذا الاتجاه سيؤدى الى تطوير هام اذ ابتداء من القرن الثانى ستضعف البلديات بصفة تدريجية وتتحول الى مجرد فروع للادارة المركزية^{١٤} .

وقد تضمن القرار الثالث الاشارة الى مواطنين اغريق منحوا حقوق المواطنة الرومانية . وكان عليهم بأمر من الامبراطور أن يلتزموا بأداء الخدمات الالزامية الشخصية *munera personalia* . والمعروف أن بعض اغريق قورينى كانوا قد منحوا حقوق المواطنة الرومانية ابان فترة الحروب الأهلية مقابل خدماتهم التى قدموها للمتصارعين من زعماء روما . ويبدو أن هؤلاء كانوا من أبرز عناصر سكان المدينة وأكثرهم ثراء . ولكن اعفاءهم من الخدمات الالزامية نحو مدينتهم ، قد تسبب عنه أزمات اقتصادية . اذ قد تعجز المدينة عن القيام بما هو مطلوب منها . ولذلك كان أغسطس حاسما باصداره أمرا صريحا بأنه يجب على هؤلاء المواطنين ، بالرغم من حصولهم على حقوق المواطنة الرومانية

أن يستمروا في أداء الخدمات الالزامية لمدينتهم ، الا اذا كان قرار منحهم حقوق المواطنة الرومانية ، قد نص على اعفائهم من هذه الخدمات . وبذلك منع أغسطس الاغريق الذين اكتسبوا الجنسية الرومانية من الانفصال عن مدينتهم . ومن ناحية أخرى كان أغسطس حريصا على الزام هؤلاء بالخدمات الالزامية المفروضة على ممتلكاتهم *munera patrimonii* وقصر الاعفاء على الممتلكات ، الى كانت لهم عند منحهم الجنسية الرومانية ، أما ما أضافوه من ممتلكات بعد ذلك ، فتخضع للالتزامات العادية .

ويبدو أن هؤلاء المواطنين قد أرادوا أن يحيوا لصالحهم مبدأ عدم جواز الجمع بين حق المواطنة في مدينة ، وحق المواطنة في مدينة أخرى . فبحصولهم على مواطنة روما تسقط عنهم مواطنة مدينتهم الأصلية في برقة ، وما يتعلق بها من التزامات . ولكن القاعدة الجديدة فانها تترك المواطن الروماني الجديد ليخضع للالتزامات التي كانت تفرضها عليه مواطنته القديمة لمدينته الأصلية . وكان على أغسطس أن يوضح في هذا القرار الثالث ، أنه لا بد من صدور قرار خاص ينص فيه على الاعفاء الشامل من هذه الالتزامات . ونحن بذلك بصدد طائفتين من المواطنين الاغريق ، الذين منحوا حقوق المواطنة وأولاهما ؛ طائفة تنتظم المواطنين العاديين ، ولا يعفون من الخدمات الالزامية الشخصية ، والطائفة الثانية يقتصر حقهم في الاعفاء بالنسبة لممتلكاتهم التي كانت لهم عند منحهم الجنسية الرومانية فقط . ولا يشمل الاعفاء التخلص من الخدمات الالزامية الشخصية^{١٥} .

وبذلك يكون أغسطس قد أقر بوضع المواطنين الاغريق الممتاز في برقة واستمر في منحهم حقوق المواطنة الرومانية مع الاهتمام بتنظيم العلاقة بينهم بوصفهم مواطنين رومان ، وبين مدنها الأصلية ببرقة .

ولم تتوقف عملية منح الحقوق الرومانية للاغريق بل استمرت على نطاق واسع في عهد تيريريوس وربما أيضا في عهد كلاوديوس . حتى أن نصف عدد سكان قوريني في القرن الثالث كان من المواطنين الذين كانوا من أصل اغريقى^{١٦} .

الحواشي

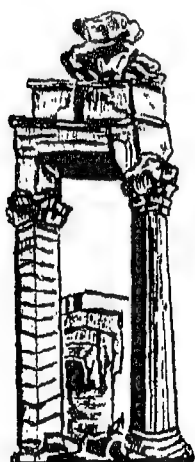
- Herodotus, IV 160 - ١
 idem, IV. 159 - ٢
 idem, IV. 161 - ٣
 idem, IV. 162 - ٤
 Aristotles, Politic. 1320, 6 21 - 25; Diodorus Siculus, XVII, 21 - ٥
 Diodorus Siculus, op. cit. - ٦
 Plutarchos, Philopoemen, I, Polybius X, 22 - ٧
 راجع ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالة ، ج ١ ، الطبعة الثانية ،
 القاهرة ١٩٦٠ ص ١١٤ وما يليها .
 A.J.B. Wace, Handbook on Cyrenaica, Part III. The Classical - ٨
 Period. P. 13, P. Romanelli, La Cirenaica Romana, Rome,
 1943. P. 39.
 P. Romanelli, op. cit. P. 41 ff. - ٩
 idem op. cit. P. 45 - ١٠
 idem, op. cit. PP. 46 - 71 . ٣٠٥ المرجع السابق ص ٣٠٥
 - ١٢ راجع حاشية ٣ .
 S.E.G. IX 1 - ١٣
 S.E.G. IX 8 - ١٤
 Herodotus, IV. 153. - ١٥
 S.E.G. IX, 3 cf. F. Chamoux, Cyrène Sous la monarchie des - ١٦
 Battiades, Paris 1953, P. 105 ff.
 F. Chamoux op. cit. P. 111 - ١٧
 idem, op. cit., PP. 140, 213 - ١٨
 idem. op. cit. P. 214, M. Cary "A Constitutional Inscription - ١٩
 from Cyrene", JHS, vol. XLVIII, 1928, PP. 222 - 238, P. 235
 F. Chamoux, op. cit. PP. 140, 221 - ٢٠
 idem. op. cit. P. 139 - ٢١
 Herodotus, IV, 160 - ٢٢
 F. Chamoux, op. cit. P. 215 - ٢٣
 idem, op. cit. P. 214 N. 8 - ٢٤
 Herodotus IV. 165 - ٢٥

- F. Chamoux, op. cit. P. 216 - ٢٦
 idem, op. cit. 140 N. 4 - ٢٧
 cf. F. Chamoux, op. cit. P. 215 N. 6 - ٢٨
 ٢٩- راجع حاشية ٢٠ .
 F. Chamoux, op. cit. P. 129 - ٣٠
 Herodotus, IV. 160
 F. Chamoux op. cit. P. 137 - ٣٢
 Herodotus, IV, 161 - ٣٣
 ٣٤- الحاشية السابقة .
 C.A.H. III, P. 668, A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Roman - ٣٥
 Empire, Oxford. 1937. P. 353
 F. Chamoux, op. cit. P. 221 ff. - ٣٦
 من تماثيل الأشخاص الذين تظهر فيهم الملامح الليبية راجع أيضا .
 E. Rosenbaum, A. Catalogue of Cyrenaican Portrait Sculpture
 London, 1960 PP. 8, 22.
 S.E.G. IX, 1. - ٣٧
 Herodotus, IV. 155 - ٣٨
 F. Chamoux op. cit. P. 96 - ٣٩
 idem op. cit. P. 140 - ٤٠
 Herodotus IV. 160 - ٤١
 F. Chamoux, op. cit. P. 217 - ٤٢
 A.H.M. Jones, op. cit. P. 353 - ٤٣
 F. Chamoux, PP. 141, 217 ff., S.E.G. IX, 1 cf. M. Cary op. cit. - ٤٤
 P. 231 ff.
 Herodotus, op. cit. IV 162 - 166, 200 - 205 - ٤٥
 A.J.B. Wace op. cit. P. 8 ff. - ٤٦
 S.E.G. IX, 1 - ٤٧
 ٤٨- راجع حاشية ٥ .
 ٤٩- راجع حاشية ٥ .
 F. Chamoux, op. cit. PP. 215 N. 6, 237 - ٥٠
 cf. A.H.M. Jones op. cit. P. 355 - ٥١
 Aristotles, Ath, Polit. 20 - ٥٢
 ٥٣- أبراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ٥٦ .
 Diodorus Siculus XIV. 34.
 ٥٤- نشرت هذه الوثيقة عدة مرات ، وكان آخر نشر لها في مجموعة S.E.G. IX
 تحت رقم (١) . وقد توفر على دراستها والتعليق عليها كثير من المؤرخين
 مثل S. Ferri الذي كان أول من نشرها في

- (Abhandlungen der Berliner Akad. 1925 N. 5), Oliverio, De Sanctis, Heichelheim Wilamowitz, M. Cary, S. Reinach.
 S. Reinach, La Charte Ptolémaïque De Cyrene. راجع
Rev. Arch. 5eme serie Tome XXVI, Juil. - Dec. 1927 PP. 1 - 30,
 M. Cary. A constitutional Inscription from Cyrene, *JHS* vol. XLVIII, 1928, PP. 222 - 238, P. 222 Nos. 1 - 4, G. Oliverio, Documenti Di Cirene Antica, *Riv. di Filologia Classica* Anno VI. Fasc. 2 -3, 1928, PP. 183 - 222
 S. Reinach op. cit. P. 2, M. Cary op. cit. P. 222 — ٥٥
 cf. A.H.M. Jones, op. cit. P. 357 ff. M. Cary P. 223 — ٥٦
 ٥٧ — راجع المواد ، الثانية ، والثامنة ، والتاسعة عشرة .
 M. Cary op. cit. P. 224 — ٥٨
 S. Reinach. P. 2 — ٥٩
 A.H.M. Jones, op. cit. N. 9 P. 485 — ٦٠
 M. Cary op. cit. P. 222 — ٦١
 ٦٢ — راجع حاشية ٦٠ .
 S. Reinach op. cit. P. 2 — ٦٣
 M. Cary, op. cit. P. 224 — ٦٤
 idem — ٦٥
 idem — ٦٦
 idem — ٦٧
 idem, P. 226 — ٦٨
 idem — ٦٩
 idem, P. 230 — ٧٠
 idem, P. 231 — ٧١
 idem, P. 223 N. 86, F. Chamoux, op. cit. P. 214 N. 8 — ٧٢
 M. Cary op. cit. P. 223 — ٧٣
 M. Cary op. cit. P. 224, A.H.M. Jones, *The Greek City From Alexander to Justinian*, Oxford, 1940, P. 104 — ٧٤
 M. Cary, op. cit. — ٧٥
 idem P. 235 — ٧٦
 idem P. 228 — ٧٧
 M. Cary, op. cit. P. 238 — ٧٨
 ٧٩ — راجع ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ٥٦ .
 M. Cary, op. cit. P. 222, 223 Nos. 12, 13.

- A.H.M. Jones *The Cities*, P. 357
- S. Reinarch, op. cit. P. 10 ff., Jouguet, *Macedonian Imperialism*. London 1928 P. 192
- M. Cary, op. cit. P. 222 — ٨١
- ٨٢ — إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ .
- M. Cary. *A History of the Greek World (323 - 146 B.C.)*, 2nd ed. Lond. 1959 PP. 27, 31.
- E.S.G. Robinson, *Catalogue of the Greek Coins of Cyrenaica* — ٨٣ (B.M.C.), London, 1927, PP. lxxxiii - lxxxvii, A.H.M. Jones op. cit. P. 358
- ٨٤ — إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ج ١ ص ١١٤ وما يليها .
- A.H.M. Jones op. cit. P. 358
- ٨٥ — راجع حاشية ٧ وحاشية ٨٠ .
- E.S.G. Robinson, op. cit. P. CXXIV ff., A.H.M. Jones op. cit. — ٨٦ P. 359.
- idem, P. 359 — ٨٧
- ٨٨ — الحاشية السابقة .
- P. Jouguet op. cit. P. 192
- A. Wace, op. cit. P. 12 — ٨٩
- ٩٠ — راجع حاشية ٨٠ .
- A.H.M. Jones, op. cit. PP. 359 & 485 N. 11 — ٩١
- R.G. Goodchild, *The decline of Cyrene and the rise of Ptolemais: Two new inscriptions*, *Quaderni di Archeologia della Libia* N. 4, 1961, PP. 83 - 95 P. 85 ff. — ٩٢
- ٩٣ — راجع حاشية ٨٦ .
- S.E.G. IX, 7 — ٩٤
- انظر ترجمة هذه الوثيقة ، عبد اللطيف أحمد على . مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠ .
- ٩٥ — راجع حاشية ١٠ ، ذكر شيشرون في De lege agraria, ii. 50 أن أرض الملك أبيون في برقة تحولت الى
- Ager Publicus populi Romani*; M.I. Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Hellenistic world*. Oxford 1941 P. 851
- Strabo, ap. Josephus, ant. XIV 115 cf. C.A.H. XI, P. 670 ff. — ٩٦
- M.I. Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire*, 2nd ed. Oxford. 1957 P. 310, C.A.H. IX, P. 671 — ٩٧
- ٩٨ — عن هذه القرارات والدراسات المتعلقة بها . انظر قائمة المراجع في
- F. De Visscher, *Les Edits D'Auguste Decouvertes a Cyrène*, Osnabrück, 1965, P. 13 ff., S.E.G. IX. 8,

- N. Lewis & M. Reinhold, Roman Civilisation, Vol. II, New York, 1955, P. 37 ff.
- F. De Visscher op. cit. P. 35 ff. — ١٠٠
- idem P. 36 — ١٠١
- idem P. 56, C.A.H. IX, P. 670 — ١٠٢
- F. De Visscher, op. cit. PP. 57, 76 — ١٠٣
- ١٠٤ — عن هذه الآراء راجع .
- idem, op. cit. P. 48 ff.
- idem P. 92 ff. — ١٠٥
- idem P. 98 ff., C.A.H. IX; P. 670 — ١٠٦
- J. Reynolds, Four Inscriptions from Roman Cyrene *JRS* vol. XLIX, 1959, Parts 1, II, PP. 95 - 101, P. 97 ff. C.A.H. IX, P. 670 N. 1.



اليهود في برقة في العصرين الهيلينستي والروماني

اليهود في برقة

ذكر المؤرخ يوسف أن «بطلميوس أرسل فريقا من اليهود الى مدينة قوريني (شحات) ليستقروا بها، ذلك لأنه كان مهتما بتشديد قبضته على هذه المدينة ومدن ليبيا (برقة) الأخرى»^١ ، ونقل هذا المؤرخ أيضا عن استرابون قوله «أن اليهود على عهده (أى على عهد الامبراطور أغسطس) كانوا قد وجدوا طريقهم الى كل مدينة • ومن العسير ألا تجد فى أى مكان من العالم المعمور موطننا لهذا الشعب الذى كان يشعر بقوته • وقد حدث أن قوريني التى كان يحكمها نفس حكام مصر (البطالمة) قلدت هذا ، فى مواطن كثيرة ، وخاصة فى تشجيع انتشار جماعات اليهود المنظمة syntagmata والتى كانت تحافظ على شرائعها»^٢ •

ويعنى قول يوسف أن اليهود أخذوا يتوافدون على برقة بعد عام ٣٢٢ ق.م • ، عندما أتيحت الفرصة لبطلميوس ، وكان لا يزال واليا على مصر من قبل أسرة الاسكندر ولم يصبح بعد ملكا عليها ، للتدخل فى شئون قوريني ، مستغلا الصراع بين أحزابها ، وتمكن من بسط سيطرته عليها^٣ • ويفهم أيضا من قول يوسف أن العناصر اليهودية الأولى فى برقة كانت ذات صبغة عسكرية • وقياسا على ما حدث بمصر يرجح أن غالبية الجند اليهود كانوا من الأسرى الذين أتى بهم بطلميوس نتيجة لغزواته المتكررة ، لأرض فلسطين^٤ • ولم يحل وضعهم كآسرى دون استخدام عدد كبير منهم جندا فى الحاميات^٥ • وجريا على سياسة البطالمة فى تشجيع توطن العناصر الأجنبية ومن بينها اليهود ، يغلب على الظن أن طائفة من أحرار اليهود وجدت فى برقة البيئة الصالحة لاستقرارها وبدأت تهاجر اليها من مصر ، لأن قوريني على — حد قول استرابون — بلد

مجاور لمصر أو بالأحرى كان تابعا لها * ويبدو كذلك أن بعض اليهود في أرض
يهودا بفلسطين المتمسكين بحرفية الشريعة ، لجأوا الى برقة وانضموا الى
يهودها ابان تلك الفترة التي تعرضوا فيها لمحنة قاسية عندما أراد أنطيوخوس
أن يحملهم على التآغرق ^٧ * .

وتؤكد الشواهد الأثرية ما ذهب اليه استرابون من تشجيع البطالمة
لاتنتشار جماعات اليهود المنظمة في برقة * وتنهض هذه الشواهد دليلا واضحا
على وجود يهود في بطوليميس (طلميثة) منذ عصر البطالمة ، اذ عثرت بعثة
المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو على عملة برونزية يهودية من ذات ربع الشاقل
من ذلك النوع الذي أصدره في يهودا سيمون المكابي (١٣٩ — ١٣٥ ق م) ^٨ * .
وتقدم مقابر مدينة أرسنوى (توكره) دليلا على وجود اليهود في هذه المدينة
في العصر البطلمي ، ولو أن هذه المقابر من العصر الروماني ^٩ * . ذلك أن اسم
بطليموس ^{١٠} يظهر على بعض شواهد القبور مما يوحي بأن يهود أرسنوى كانوا
يحتفظون في أنفسهم بذكرى طيبة لأحد ملوك البطالمة الذي مكن لأسلافهم
من الاستقرار بهذه المدينة ^{١١} ، ويتبين أيضا من دراسة هذه الشواهد أن بعض
اليهود الطاعنين في السن ولدوا في أواخر القرن الثاني ق م ^{١٢} * . فاذا كانوا قد
أقاموا في المدينة منذ أول نشأتهم فإن هذه الحقيقة قد تعنى أن اليهود كانوا
يقيمون بالمدينة منذ عصر البطالمة ، وقد يقوى من هذا الظن أن شواهد القبور
مؤرخة بالشهور المصرية * وهذا في حد ذاته دليل على بقاء التقاليد البطلمية
ممثلة في طريقة التأريخ لدى أهل أرسنوى ^{١٣} . وكنا نتوقع أن نظفر بأدلة
أثرية على وجود اليهود في قوريني حتى تعزز المصادر الأدبية * ولكننا حتى
الآن مضطرون الى الاعتماد على تلك المصادر ، اذ لم تتضمن نقوش المدينة
من العصر البطلمي ، على كثرتها ، اشارة الى اليهود أو الى بيعهم أو أحداث
تتصل بهم * .

وفيما عدا ذلك لانظر بأدلة أخرى على وجود يهود في بقية مدن برقة *
فهل يعنى هذا أن اقامة اليهود في العصر البطلمي اقتصرت على قوريني
وبطوليميس وأرسنوى ؟ الواقع اننا نملك الأدلة على قيام جالية قوية لهم في

برينيكى (= بنغازى) فى أوائل العصر الرومانى^{١٤} ، ومن المرجح جدا أن جالية يهود برينيكى فى العصر الرومانى كانت قائمة أيضا فى العصر البطلمى . ولما كان يوسف قد أوضح أن الهدف الأول لاحتضار اليهود الى برقة كان لتمكين بطليموس من السيطرة على قورينى ومدن برقة الاغريقية الأخرى فان بعض المؤرخين يتوقع أن تسفر أعمال التنقيب مستقبلا عن ظهور أدلة تؤكد وجود جاليات عسكرية يهودية فى مناطق كثيرة على ساحل برقة^{١٥} ، والى جانب ذلك من المعروف أن البطالمة كانوا يقطعون جندهم المرتزقة اقطاعات من الأرض الزراعية فى ريف مصر^{١٦} ، ومن المرجح أنهم فعلوا نفس الشيء بالنسبة لجندهم المرتزقة ، ومن بينهم اليهود فى ريف برقة . والمعروف أن برقة على عهد البطالمة كانت، بصفة عامة، بلدا يضم عددا قليلا من المدن، وعددا كبيرا من القرى^{١٧} . وكان من الطبيعى أنه كانت تقيم فى هذه القرى طبقة من المزارعين الذين كانوا يقومون على زراعة أرض الملك وأرض المدن^{١٨} . ومن الممكن القول أن هذه الطبقة ضمت جماعات من الجند أصحاب الاقطاعات . وهذه بدورها يدخل الجند اليهود فى عدادها . واذا سلمنا بذلك ، فان هذا يعنى أن اليهود كانوا يشكلون عنصرا من عناصر السكان فى القرى المنتشرة فى ريف برقة ، الى جانب أنهم كانوا عنصرا من عناصر سكان المدن .

ولم تكن الجندية ، فيما يرجح ، هى العمل الوحيد الذى نشط اليه اليهود فى برقة . بل انه من المحتمل أن يكون نشاطهم قد امتد الى العمل فى خدمة الحكومة ، ذلك لأن برقة كانت فى معظم فترات العصر الهيلينستى جزءا من امبراطورية البطالمة . ومن الطبيعى أن تكون الادارة الحكومية فيها قد سارت تقريبا على نسق مثلتها فى مصر ، وكان لليهود فى تلك الادارة نصيب وافر . وتدل البرديات والأستراكا على كثرة عدد اليهود الذين شغلوا وظائف حكومية ، وخاصة فى الادارة المالية . لذلك لا يستبعد أن تكون الادارة الحكومية فى برقة قد عملت على توظيف اليهود فى بعض الوظائف الحكومية وبنوع خاص تلك المتصلة بالاحتكارات الملكية وجباية الضرائب وادارة الأراضى الملكية ومساعدة الأويكونوموس الذى كان يرأس الجهاز المالى

وخاصة في الموانئ ذات النشاط التجارى مثل ميناء بطوليميس التى تدين بوجودها للبطالة^{٢٠} .

والى جانب العمل فى خدمة الحكومة ، كانت مجالات النشاط الاقتصادى الحر غير الحكومى كثيرة ومتنوعة ، اذ أتيحت للمدن البرقاوية فرص كثيرة للازدهار والرخاء ، فأفادت من اتجاه البطالة نحو تنشيط التجارة فى امبراطوريتهم وتنمية مواردها الاقتصادية . وواضح أن العاملين فى التجارة وشحن السفن وتفرغها ونقل السلع وأصحاب المخازن التجارية وربانسة السفن كانوا من أبرز عناصر السكان فى المدن الساحلية مثل بطوليميس^{٢١} . وفى مثل هذه المدن التى تزخر بهذا النشاط ، كانت تنشأ عادة طائفة المراكبين الذين يقترضون الأموال للتجار والعاملين فى التجارة البحرية . ومن السهل علينا فى ضوء دراسة نشاط اليهود فى الاسكندرية^{٢٢} ، تصور أنه كان منهم التجار وأصحاب السفن والمراكبون فى مدن برقة ولعل الذى ساعد اليهود على أن يحرزوا هذا النجاح فى هذا المجال انما كان اتقانهم للغة الاغريقية ، التى اصطنعوها واتخذوها لسانا لهم حتى فى المسائل المتصلة بالعبادة والعقيدة ، وتزيينهم بالزى الاغريقى وحرصهم بصفة عامة على ألا يبدوا عنصرا غريبا من سكان المدن^{٢٣} .

أما فى ريف برقة ، حيث الحياة الاقتصادية تكاد أن تكون مركزة فى الزراعة والرعى والمهن الزراعية المتصلة بهما ، فقد كان فى وسع اليهود ، وهم على جانب كبير من الخبرة فى مثل هذه الأمور ، الأخذ بنصيب منها سواء كانوا جندا من أصحاب الاقطاعات أو كمستأجرين للأرض أو أجراء يعملون فيها .

وهكذا كان فى استطاعة اليهود العمل فى شتى مجالات النشاط الحكومى والحر . وما كانوا ليفلتوا الفرص التى أتيحت لهم بفضل الحماية التى وفرها لهم البطالة كما حدث بالنسبة لبنى جلدتهم فى مصر .

ويتصل بدراسة نشاط اليهود وحياتهم الاقتصادية دراسة أوضاعهم القانونية على عهد البطالة . ويسترعى النظر ما ذكره استرابون من أن قورينى

في ذلك العصر شجعت انتشار جماعات اليهود المنظمة التي كانت تحافظ على شرائعها * ولكن مصادرنا لا تفصح عن طبيعة تنظيم هذه الجماعات في العصر البطلمي * ومن المعروف أن البطالة سمحوا لليهود الاسكندرية بأن ينتظموا في جالية أو جمعية قومية politeuma ٢٤ * وقد ابتكر البطالة نظام الجالية لارضاء جموع الأجانب غير المواطنين في مدن مصر الاغريقية والعناصر الاجنبية الأخرى التي لم يكن لها حظ المشاركة في مواطنة المدن * وفي نطاق هذه الجالية كانت هذه العناصر تستطيع مباشرة حياتها الخاصة بحرية تامة لأن الدولة اعترفت لها بشخصيتها القانونية من حيث استطاعتها تصريف شئونها وحققها في التملك وادارة أملاكها ٢٥ * وكان لجالية يهود الاسكندرية هذه الامتيازات التي تبدو مثله بوضوح في تمتعهم بالاستقلال القضائي اذ كان لهم الحق في تطبيق شريعتهم في المسائل المتصلة بالأحوال الشخصية والسماح للقائمين على أمر الجالية بتحصيل الضرائب التي حددتها تعاليم التوراة من اليهود ، وارسل ما يتجمع منها في خزانة الجالية ، مع ما يقدمه بعض أفرادها من أموال ومعادن نفيسة ، الى هيكل اورشليم ٢٦ * هذا فضلا عن السماح لهم باقامة البيع ٢٧ * وقياسا على ذلك فانه من المرجح أن يكون البطالة قد اعترفوا لليهود قوريني وغيرها من مدن برقة بمثل هذا الوضع وسمحوا لهم بتشكيل الجاليات ، ويدعم هذا القول أن نقشين من برينيكى ٢٨ من أوائل العصر الروماني يتحدثان عن جالية لليهود في المدينة لها أراكنة يصدران القرارات ويذيعونها باسمها * وفي ضوء هذين النقشين يكون من المرجح أنه قد قامت لليهود في العصر البطلمي أيضا مثل هذه الجالية أو بالأحرى ان وجود هذه الجالية هو استمرار لوضع كان قائما في العصر البطلمي * ويفهم من نقوش أخرى ٢٩ ، من نفس المدينة أنه كانت لليهود في عصر الامبراطور نيرون بيعة * وقد تعنى هذه الحقيقة أن الرومان أبقوا على امتيازات دينية كانت لليهود في العصر البطلمي * ويتبين مما سبق أن يهود برقة ، مثل يهود مصر ، حظوا في ظل حكم البطالة ، بامتيازات تمثلت في منحهم الحق في تشكيل جاليات يتمتعون فيها

بحظ من الاستقلال الذاتى ومزاولة شعائر دينهم فى بيعهم • وكان كل ذلك فى حماية الدولة وبدون ما تدخل من جيرانهم •

ونخلص من هذا الى القول بأن البطالة حددوا الوضع القانونى لليهود فى البناء السياسى للمدن البرقاوية على نحو ما فعلوا بالنسبة ليهود الاسكندرية • فلم يرفعوهم الى مرتبة مواطنى المدن الاغريقية تلك^{٣٠} ، بل قصروا امتيازاتهم على حقهم فى تشكيل الجاليات وانشاء البيع • وجدير بالذكر أن الدستور الذى وضع لقورينى على عهد البطالة جاء خلوا من أى اشارة الى اليهود بالرغم من اهتمامه الواضح بتحديد هيئة مواطنى المدينة والذين يسمح لهم بالانضمام اليها^{٣١} • والملاحظ كذلك أن المؤرخ اليهودى يوسف وقد أجهد نفسه فى اثبات حق مواطنة الاسكندرية ليهودها فى العصر البطلمى^{٣٢} ، لم يتحدث بشئ عن وضع اليهود فى قورينى وغيرها من مدن برقة •

واذا كان اليهود قد وفقوا على هذا النحو الى تكوين مجتمع خاص بهم فهل يعنى ذلك أنهم تباعدوا عن حياة المجتمعات الاغريقية فى المدن البرقاوية ؟ وهل استطاعوا أن يتمسكوا بتعاليم دينهم وحرفية شريعتهم فعصمهم ذلك من أن تجرفهم مباحج الحياة الاغريقية الوثنية ؟ وهل أعرضوا عن التردد على مسارح قورينى وبرنيكى وبطوليميس وحماماتها ؟ وهل حرموا أنفسهم من التزود بالثقافة الاغريقية والمشاركة فى المباريات الرياضية فى الجومنازيوم ؟

الواقع أن مصادرنا عن اليهود فى برقة فى العصر البطلمى لا تكاد تساعد على الاجابة على هذه الأسئلة ، ولكن قد تعيننا على تفهم حياة اليهود الاجتماعية ، دراسة حياتهم تلك فى ضوء ما نعرفه من يهود العالم الهلينستى بصفة عامة ، ويهود الاسكندرية بصفة خاصة • المعروف لنا أنه لم يكن هناك ما يمنع اليهود من الأخذ بأسباب الحضارة الهلينستية • ومظهر ذلك هو اصطناعهم للغة الاغريقية ونقلهم التوراة اليها بعد أن تبين لزعماء جالية الاسكندرية أنه قد أصبح من المتعذر على عامة اليهود قراءة التوراة فى لغتها الأصلية^{٣٣} • والمعروف أيضا أن يهود الاسكندرية أسهموا فى الأدب الاسكندري

وخلفوا تراثا أدبيا يتضح فيه تقليدهم النماذج الاغريقية من حيث صيغتها وصورها ، حتى أن القارئ لها لا يكاد يحس أنه بصدد أدب يهودى الا من حيث أنه كان يتناول مواضيع متصلة بحياة اليهود وتاريخهم ومساجلاتهم الأدبية والفلسفية مع بعض فلاسفة الاغريق ومفكريهم . وما كان في استطاعة اليهود تحقيق هذا التعمق الواضح لو لم يكونوا قد ألموا الماما كافيا بالعناصر الأساسية للثقافة الاغريقية^{٣٤} . ولما كانت قورينى مركزا من مراكز النشاط الفكرى فى العصر الهيلينستى ، فانه ليس من المستبعد أن يهودها أقبلوا على مجاراة جيرانهم الاغريق فى مجالات الفكر المختلفة . وقد برز من بين يهود قورينى بالفعل مفكر يدعى ياسون عاش على الأرجح حوالى منتصف القرن الثانى ق.م . وقد وضع مؤلفا باللغة الاغريقية فى خمسة أجزاء عن تاريخ اليهود . وقد أقر واضع سفر المكابيين الثانى أن هذا الكتاب مستخرج من مؤلف ياسون ، وينتمى هذا المؤلف على أى جال الى نتاج المدرسة التاريخية فى العصر الهيلينستى^{٣٥} .

والى جانب اصطناع اليهود للغة الاغريقية ، يغلب على الظن أنهم أطلقوا على أبنائهم أسماء عبرية بعد ترجمتها الى اللغة الاغريقية أو أسماء اغريقية صريحة أو أسماء تحتمل الصفتين اليهودية والاغريقية معا أو أسماء وثنية أو أسماء يدخل فى تركيبها اسم الرب ، وذلك قياسا على ما فعلوه فى مصر^{٣٦} . وللأسف لم يعثر على أسماء ليهود فى برقة من العصر البطلمى ولكن سنجد هذه الظاهرة واضحة تماما فى أسماء يهود قورينى وأبولونيا وتوكره وبرينيكى فى العصر الرومانى^{٣٧} . فضلا عن ذلك من المرجح أن بعض اليهود فى مدن برقة على الأقل تزويوا بزى الاغريق . وبذلك اكتمل لهم المظهر الاغريقى الذى ساعدهم على الاندماج فى حياة المدن الاغريقية دون أن يلفتوا نظر جيرانهم الاغريق أنهم غرباء عن مجتمعهم عنصرا ولغة ودينا . وفى الوقت نفسه تمكنوا بفضل بيعهم وجالياتهم من المحافظة على وجودهم وكيانهم الخاص بهم . وبذلك كان اليهود هم الذين يحددون المدى الذى يستطيعون الذهاب اليه فى احتكاكهم بالمجتمع الاغريقى . ولكن ليس معنى هذا ، أن كل اليهود اتجهوا هذا الاتجاه . ولا بد أن تتوقع

أن طائفة من يهود برقة تمسكت بحرفية الشريعة ورفضت أن تتقرب من المجتمع الاغريقي أكثر من اللازم . وقد تعرض اليهود في أورشليم لتجربة قاسية عندما أراد أنطيوخوس الرابع (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) أن يحملهم على التأغرق ، وقد استجاب الكثيرون لمحاولات هذا الملك وبالغوا في ذلك حتى أنهم التمسوا منه السماح لهم بإنشاء جومنازيوم خاص بهم^{٣٨} . وقاوم اليهود المتعصبون لشريعتهم هذا الاتجاه جهد طاقتهم . ولقى أونياس الثالث الجبر الأعظم لأورشليم مصرعه وآثر ابنه أونياس الرابع أن يفر من هذه الفتنة مع أتباعه الى مصر ، حيث رحب بهم ملكها بطلميوس السادس فيلومتور (١٨١ - ١٤٥ ق.م) وسمح لهم باقامة معبد على نسق هيكل أورشليم في مدينة ليونتوبوليس^{٣٩} . وقد هاجر نفر من الفارسيين في نفس هذا الوقت الى قوريني ، ليقموا بين يهودها وربما كانوا قد ارتبطوا ارتباطا دينيا بمعبد أونياس في مصر^{٤٠} . ولعل البطالة رحبوا بمجيء هؤلاء اليهود الى برقة على نحو ما فعلوا بالنسبة لأونياس وأتباعه وذلك كيدا لخصومهم السليوقيين .

ويبدو أن يهود برقة عاشوا في ظل الحكم البطلمي في أمن وطمأنينة اذ لم يرد في مصادر تلك الفترة من تاريخ برقة ذكر لأي اضطراب كان اليهود طرفا فيه ، أو سببا من أسبابه . وكنا نود أن نظفر من تلك المصادر ببيان عن حقيقة موقف هؤلاء اليهود من الملك يورجتيس الثاني (١٤٥ - ١١٦ ق.م) ، الذي كان قبل أن يتولى عرش مصر معروفا باسم بطلميوس الصغير يوم أن كان ملكا على برقة ، وكان ينافس أخاه ملك مصر بطلميوس السادس فيلومتور ويتوق الى ارتقاء عرشها . فما أن قتل هذا الملك في سوريا في أوائل عام ١٤٥ ق.م ، حتى هرع الى الاسكندرية ، وكان يناصره أحد أحزابها . وتصدت لمقاومته أخته وأرملة أخيه الملكة كليوباترة الثانية . وكانت تعتمد على تأييد أرستقراطية الاسكندرية وعلى يهودها ، بل انه كان يقود جيشها قائدان يهوديان . وقد سارع أيضا الى نجدها أونياس الرابع . وما أن انتصر ملك برقة حتى شن حملة انتقام على أعدائه ومن بينهم اليهود . وذكر يوسف أنهم تعرضوا لمحنة قاسية لم ينقذهم منها فيما يبدو سوى عفو الملك عنهم

فيمن عفا عنه من خصومه بعد أن تزوج من كليوباترة • وما لبث الصراع أن تجدد بين هذه الملكة وزوجها يورجتييس وعاد اليهود الى مؤازرة الملكة^{٤١} • فهل لزم يهود برقة الهدوء وركنوا الى السكينة وكنموا سخطهم على الملك لموقفه من يهود مصر ؟ عثر على نقش في قوريني^{٤٢} يتحدث عن شكر المدينة لقرارات العفو التي أصدرها يورجتييس الثاني ، فيما يرجح • ويفهم من النقش أن المدينة وريفها كانا في حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار اذ أهدر سكان الريف القانون • ويبدو أن بعض المستعمرين من العسكريين قد أدينوا في هذه الاحداث وأن ثمة حربا أهلية أو أسرية قد نشبت وأدت الى تقديم المسؤولين الى المحاكمة • على أى حال يبدو أن برقة كانت مشتركة في أحداث مصر • ولو كنا نملك المزيد من التفاصيل % لساعد ذلك على تبين حقيقة موقف اليهود من هذه الأحداث الغامضة ، خاصة وأنه يبدو أن بعض أصحاب الاقطاعات قد فقدوا أراضيهم لسبب أو لآخر في عهد يورجتييس الثاني^{٤٣} . وليس لدينا دليل مباشر كذلك على اشتراك يهود برقة في الصراع الأسرى كما حدث في مصر وليس لدينا الدليل أيضا على تعرضهم لأي اضطهاد أو على وقوع صدام بينهم وبين الاغريق أو الليبيين طوال فترة الحكم البطلمي لبرقة .

هذا ما كان من شأن اليهود في العصر البطلمي ، فماذا كانت أحوالهم وأوضاعهم على عهد الرومان ؟

في عام ٩٦ ق م • وبعد وفاة بطلميوس أبيون آخر ملك بطلمي على قوريني آلت مملكة برقة بموجب وصيته المعروفة الى الرومان^{٤٤} • ولكن مجلس الشيوخ الروماني اكتفى بالاهتمام بوضع يده على الأراضي الملكية ولم يشأ أن يحد من حرية المدن الاغريقية فاعتبرها حليفة لروما ، وأطلق لها حرية تصريف شئونها فعانت هذه المدن كثيرا من الفوضى والاضطراب وأصبحت نهبا لأعمال الطغيان والاستبداد^{٤٥} .

ويبدو أن جاليات اليهود كانت قد اكتسبت صفة الثبات والاستقرار وأن تكون قد دعمت بوافدين جدد من يهوذا ومن مصر . والأدلة متوفرة على استمرار وجود اليهود في المدن التي كانوا يقيمون بها في العصر السابق .

وتأتى قورينى فى مقدمة هذه المدن ، اذ عثرت بعثة جامعة مانشتستر أثناء عملها فى هذه المدينة فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٧ على قطعة من العملة من ذات نصف الشاقل يعود تاريخها الى العام الثانى بعد ثورة اليهود الأولى فى أورشليم ، على عهد الامبراطور نيرون ٦٧ — ٦٨م^{٦٦} . ووردت أسماء يهودية فى نقش يتضمن قائمة بأسماء منظمة للشباب بالمدينة^{٦٧} . وقد استطاع استرابون أن يميز طائفة اليهود عن غيرها من عناصر سكان المدينة^{٦٨} . ويبدو أن بعض يهود قورينى ذهبوا الى أورشليم واستقروا بها وأنشأوا لأنفسهم بيعة هناك^{٦٩} .

وفى بطوليميس ، عثرت بعثة المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو مؤخرا على شاهد قبر نقش عليه اسم ، اذا قرئ على أنه سارا^{٧٠} ، فهذا يعنى أننا بصدد وجود أسر يهودية فى المدينة وأن جالية يهود المدينة التى كانت قائمة على عهد البطالمة استمرت فى العصر الرومانى . ويؤكد ذلك أحد النقوش التى يستدل منها على وجود يهود بالمدينة قبل عصر تراجان^{٧١} . وقد عسكرت بالمدينة سرية عسكرية رومانية وقت قيام يهود برقة بثورتهم الكبرى عام ١١٥ م . ولعل الغرض من وجودها كان الحيلولة بين يهود بطوليميس وبين تخريبهم لها كما فعل اليهود فى قورينى^{٧٢} .

وفى توكره اهتمت بعثة جامعة مانشتستر فى موسم عملها فى عام ١٩٥٦ م . بالمحجر الخامس عشر من محاجر توكره والواقع الى الشرق قليلا من القلعة . ويضم هذا المحجر خمسة وأربعين قبرا تحمل شواهدا أسماء لليهود . وتؤرخ المقبرة بالفترة الواقعة بين عام ٣١ ق.م وعام ٨٣ م^{٧٣} . وقد أسلفنا أن ظهور اسم بطلميوس بين أسماء أفراد جالية المدينة يرجح أن هذه الجالية كانت قائمة منذ عصر البطالمة . واذا كانت بعثة جامعة مانشتستر قد اهتمت بهذا المحجر الا أن حفريات عام ١٩٥٤ كشفت عن محجر آخر الى الغرب من توكره بالقرب من ساحل البحر وعن مقابر لم يعثر فيها الا على مصباح نقش عليه صورة الشعدان ذى الأفرع السبعة المعروف عند اليهود^{٧٤} . وقد وجدت أسماء أخرى على شواهد القبور فى بعض محاجر المدينة الأخرى^{٧٥} .

وتضيف مصادر العصر الرومانى الأدلة على وجود يهود فى أبولونيا (سوسه)^{٦٦} وفى برينيكى . وقد أمدتنا نقوش من هذه المدينة بدليل على أنه كان لليهود بها جالية^{٥٧} . وأنه كانت لهم بيعة^{٥٨} . وفى أقصى الغرب من برقة يذكر بروكوبيوس أن اليهود قد عاشوا بالقرب من بوريوم على خليج سرت (ويحتل موقع بوريوم رأس بوقراة على مسافة ١٢ كم الى الشمال الشرقى من مرسى برقة) وذلك منذ عصور متقدمة ، وأنه كان لهم معبد هناك ينزلونه من أنفسهم منزل القداسة ، وأنهم زعموا أن النبی سليمان هو الذى شيده ، ويذكر هذا المؤرخ أيضا أن جستينان حول هذه الجالية الى المسيحية كما حول معبدهم الى كنيسة^{٥٩} . ومما يؤكد وجود جالية يهودية فى منطقة خليج سرت فى العصر الرومانى وجود محطة تحمل اسم Iseina locus Iudaeorum^{٦٠} Augusti وقد ذكر سلوش Slousch أن المنظمة التى نظمت للبحث عن موطن لليهود وهى المعروفة باسم 'Jewish Territorial Organization' (= JTO)، والتى جاءت الى برقة عام ١٩٠٩ لبحث امكانية توطين اليهود بها، قد اكتشفت بقايا مستعمرات اليهود فى الدواخل وأن هذه المستعمرات قد تمكنت من الاستمرار بفضل مساعدة البربر (ولعله يقصد الليبيين) . ويقرر سلوش أيضا أنه كانت لليهود مستعمرات يهودية فى كل من المواقع الاستراتيجية فى عين شحات ومسة ، ولملودة ، وأن البعثة عثرت أيضا على بقايا قلعة أو حصن يهودى ومقابر يهودية وخرائب مدن ونقوش باللغتين العبرية والاغريقية . وللأسف لم يثبت الكتاب أى تفاصيل ولم ينشر أى نصوص ، مما يجعلنا ننقل عنه هذا القول على علاته^{٦١} .

وقد استمر اليهود يتابعون نشاطهم وحياتهم التى ألفوها فى العصر البطلمى وان كنا نستبعد أنهم ظلوا يعملون فى خدمة الجيش . وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يحول بين اليهود والاسهام فى شتى نواحي النشاط الاقتصادى . وقد اجتذبتهم بعض المدن ، التى ازدهرت بها الحياة الاقتصادية وزاد حجم تجارتها مع مختلف أرجاء الامبراطورية مثل بطوليميس وقورينى وبرينيكى . وقد تضخمت ثروة بعض يهود المدينة الثانية . وذكر يوسف فى معرض حديثه عن فتنة أشعلها يهود قورينى عام ٧٠ م . أن الحاكم الرومانى ذبح من أثرياء

اليهود بالمدينة زهاء ثلاثة آلاف وصادر ممتلكاتهم^{٦٢} • وقد سجل على نقش من مدينة برنيكى أسماء عدد من اليهود الأثرياء الذين تبرعوا لترميم بيعتهم في المدينة^{٦٣} • وسجل على نقش آخر من هذه المدينة قيام أحد الاغنياء بكسوة أرضية المسرح الدائرى وحوائطه مما يدل على أن أفرادا في الجالية حققوا نجاحا ملحوظا • ويمكن القول أيضا أن اليهود بصفة عامة في ريف برقة استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم نصيبا من الرخاء الاقتصادى وتملكوا مساحات من الأرض الزراعية وقطعانا من الماشية •

وإذا كان اليهود في العصر البطلمى قد اطمأنوا الى الحماية التى بسطها لهم ملوك البطالمة فإن الامبراطور أغسطس ، أول أباطرة روما زادهم اطمئنانا وأمنا • وقد أصدر هذا الامبراطور تصريحاً أعلن فيه أن يهود الامبراطورية أثبتوا ولاءهم للشعب الرومانى فى الحاضر وفى الماضى وبصفة خاصة عندما كان هيركانوس حبرا أعظم زمن يوليوس قيصر • ولذلك فإنه (أى أغسطس) قد قرر السماح لليهود بمباشرة عاداتهم طبقا لشرعية آبائهم على نحو ما كانوا يفعلون على عهد هذا الحبر ، وأن يسمح لهم بارسال أموالهم الى اورشليم • ويتوعد كل من يسرق أموالهم أو كتبهم المقدسة بالجلد ، ويهدد بمصادرة ممتلكاته^{٦٤} •

اذن كان فى استطاعة يهود برقة فى ظل الحكم الرومانى مباشرة حياتهم الخاصة بحرية تامة وفى حماية الدولة وهذا يدفعنا الى بحث وضعهم الدستورى والقانونى فى مدن برقة فى العصر الرومانى •

وصلنا من مدينة برنيكى نقشان^{٦٥} تضمن كل منهما قرارا صادرا عن جالية politeuma اليهود • ويستفاد من القرار الأول ، وهو مؤرخ بالفترة ما بين عام ٣٠ ق.م. وعام ١٠٠م. ، أنه كان يرأس الجالية سبعة رؤساء (أراكنة) • ويستفاد من القرار الثانى وهو مؤرخ بعام ٢٥ ق.م. أنه كان على رأس الجالية تسعة أراكنة • وفى نقش ثالث^{٦٦} نقرأ أن عشرة أراكنة أسهموا فى ترميم بيعة اليهود بالمدينة • وهذا النقش يعود الى عصر الامبراطور نيرون •

وكانت جالية يهود الاسكندرية في عصر أغسطس تشبه جالية يهود برينيكى من حيث أنه كان يراسها أيضا أراكنة، وكان عددهم تسعة. ومعنى ذلك أننا بصدد جالية من جاليات اليهود، التي عرفت الامبراطورية الرومانية في الشرق الهيلينستى، وخاصة في مدن مصر التي قامت في بعضها جاليات منذ فترة مبكرة من عصر البطالمة، وأقر الرومان وجودها عندما أبقي أغسطس على الامتيازات التي اكتسبتها جالية يهود الاسكندرية^{٦٧} .

فاذا كان لدينا الدليل على وجود جالية لليهود في برينيكى ومن عصر أغسطس بالذات ، فهذا وحده كاف لجعلنا نوقن أن وجود هذه الجالية يتفق تماما مع السياسة العامة للامبراطورية الرومانية . واذا كانت جالية برينيكى مؤسسة على نسق جالية الاسكندرية ، فانها كانت تتمتع بعدد من الامتيازات ، لعل أهمها كان حقهم في تطبيق أحكام شريعتهم واصدار قرارات يسمح باذاعتها ونشرها وذلك في المسرح الدائرى . أى في أبرز مكان في المدينة . ولما كان أحد النقوش السابق ذكرها يشير الى بيعة لليهود، فهذا دليل على احترام الادارة الرومانية لحريتهم الدينية . فاذا كان لليهود جالية في برينيكى فان ذلك لا يعنى أن هذا الامتياز كان مقصورا على هذه الجالية فحسب بل من الأرجح أنه قامت لهم جاليات أخرى ماثلة في مدن برقة ، وان كان ينقصنا الدليل على قيامها .

وبذلك يكون اليهود قد نجحوا في تشكيل تنظيم خاص بهم فماذا كان وضعهم بالنسبة للبناء السياسى للمدن ؟

ذكر استرابون^{٦٨} أن سكان قورينى على عهد أغسطس كانوا موزعين بين أربع طبقات ؛ الطبقة الأولى وتشمل مواطنى المدينة من الاغريق ، والطبقة الثانية وتضم المزارعين georgoi والطبقة الثالثة وتضم الأجانب المقيمين في المدينة metoikoi ، والطبقة الرابعة وتضم اليهود .

وواضح هنا أن استرابون قد أدرك أن اليهود كانوا طائفة متميزة عن

بقية سكان المدينة ، وأنه كان حريصا على أن يفصل بين طبقة اليهود وطبقة المواطنين من ناحية ، وعلى أن يفصل بينهم وبين الأجانب من ناحية ثانية .

ونود أن تتبين مكاتنتهم في القرارات^{٦٩}، التي أصدرها الامبراطور أغسطس لمدينة قوريني . تعتبر القرارات الأربعة الأولى على قدر كبير من الأهمية لأنها تتعلق أساسا بالتنظيم القانوني والقضائي للولاية ووضع الاغريق الذين منحوا حديثا حقوق المواطنة الرومانية . وقد أثارت القرارات مسألة هامة هي العلاقة بين الادارة الرومانية والاغريق .

وقد سبق أن ناقشنا هذه القرارات في المقال السابق ، وتساءلنا من هم الاغريق ، وقلنا أن فنجر يعتبر أن الاغريق هم أولئك الذين كان في امكانهم البرهنة على اتمائهم اما الى مدن اغريقية أو الى تنظيمات اغريقية مثل منظمات الشيايب والجومنازيوم . وهذه التنظيمات كانت مقصورة على الاغريق دون غيرهم من بقية عناصر السكان . ويقابل الاغريق بالضرورة الشعب الليبي ، بالرغم من الزيجات المتكررة التي تمت بين الاغريق والليبيين . ويقابل الاغريق أيضا العنصر اليهودي الذي زاد عدده كما يفهم من استرابون وأصبح يشكل تنظيما قوميا خاصا . وقد لقيت هذه النظرية قبولا من معظم الدارسين لأنها بنيت على أساس بعض الملابس المتشابهة مع مثيلاتها في مصر ، حيث كانت الفوارق القانونية واضحة بين طبقة الاغريق وطبقة المصريين .

وعلى العكس من هذه النظرية ، نظرية أخرى قال بها ديساو Dessau وملخصها أن الرومان أدخلوا في عداد الاغريق كل سكان برقة بدون تمييز على الاطلاق بين جنس وجنس باعتبار أن برقة قد تأغرقت تأغرقا تاما وعميقا . وأصبح يقال لسكل واحد من سكانها أنه اغريقي ينتسب الى الهيلينية وبذلك يدخل هذا المؤرخ الليبيين واليهود في عداد الاغريق الذين تنطبق عليهم قرارات أغسطس لأنه ليس من المعقول أن يستبعد عنصر هام من عناصر السكان مثل عنصر اليهود من مزايا هذه القرارات . وقد بنى ديساو نظريته على أساس ما حدث في مناطق معينة من آسيا الصغرى حيث كان اسم الاغريق في عصر أغسطس يطلق على كل السكان^{٧٠} .

ولكن اذا أعملنا النظر في القرارات بدا واضحا أنها تجاهلت تجاهلا تاما وجود أى شعب آخر غير الاغريق والرومان ، ولم تتضمن هذه القرارات أى اشارة الى امتيازات منحت لليبيين أو اليهود أسوة بالاغريق • ونكرر أن استرابون قد فطن الى أن التفرقة كانت واضحة تماما بين الاغريق واليهود بعد أن آلت برقة الى الرومان ، وكانت أقوى بكثير مما كانت عليه في آسيا الصغرى • فضلا على أنه لم يكن من حق اليهود التمتع بحقوق المواطنة ، وذلك قياسا على وضعهم الدستوري في الاسكندرية ، وأكثر من ذلك فان يهود برينيكى كانوا يشكلون الجالية التى تحدثنا عنها والتى كان لها كافة الامتيازات التى سمحت بها الادارة الرومانية لجاليات اليهود في مصر وخاصة جالية الاسكندرية • ولما كان أول نقش يشير الى جالية يهود برينيكى موضع خلاف ، اذ يؤرخ بالفترة الواقعة بين عام ٣٠ ق.م • وعام ١٠٠ م • ، فان ديساو أستغل هذا الخلاف وفضل الأخذ بالتاريخ الأقدم ليقول أن التفرقة العنصرية بين الاغريق واليهود كانت قد محيت في فترة صدور القرارات التى تؤرخ بعام ٧ — ٦ ق.م • ٧١٠ ، ولكن هذا رأى لا يلقى قبولا ، لأن الأدلة واضحة على وجود أراكنة وبيعة لليهود في زمن الامبراطور نيرون ، ومن ناحية أخرى كان من غير المعقول ألا تكون الادارة الرومانية الواعية قد فطنت للفوارق الواضحة بين الاغريق واليهود والليبيين والا كانت تجهل طبيعة الاطار السياسى للمدن الاغريقية •

والغريب أن يوسف وهو الحريص على اثبات صفة المواطنة لليهود الاسكندرية ويهود أنطاكية قال ان اليهود في الاسكندرية اسكندريون ، واليهود في أنطاكية أنطاكيون • لم يحاول أن يصف يهود قورينى بأنهم قورينائيين • بل أنه نقل عن استرابون أن يهود قورينى على عهد أغسطس كانوا يكونون طبقة منفصلة تماما عن بقية طبقات سكان المدينة ، فلو أن يوسف كانت لديه أقل بادرة شك في قول استرابون أو كان يعلم أن يهود قورينى تمتعوا بحقوق المواطنة على عهد البطالمة أو عهد الرومان ، لما نقل عن استرابون وبدا مسلما بأقواله على هذا النحو ، دون ما محاولة منه لتفسيرها أو على

الأقل ليظهر خطاه وليسوق الحجج ليقحم اليهود على طبقة مواطني قوريني • وقد أسلفنا أن البطالة قد ساروا في حكمهم لقوريني وغيرها من مدن برقة على نفس النهج الذي ساروا عليه في مصر وإن عدم منحهم حق المواطنة في قوريني وغيرها من مدن برقة يدعم وجهة النظر القائلة أن يهود الاسكندرية لم يكونوا مواطنين لها وبالتالي لم يكن لليهود أنطاكية شرف الفوز بمواطنتها •

وقد يثار أمام هذا الرأي اعتراض مؤداه أنه ليس هناك مجال للمقارنة بين الاسكندرية وقوريني، لأن المدينة الأخيرة أعرق في اغريقيتها وأقدم من الاسكندرية، وأن بناء المدينة السياسي كان قد استكمل شكله النهائي طوال ثلاثة قرون تقريباً قبل مجيء البطالة بحيث أصبح من المتعذر ادماج اليهود في قبائلها ومنحهم حقوق المواطنة في حين أن الاسكندرية مدينة حديثة الانشاء ، وقد وفد اليها اليهود ليعيشوا فيها جنباً الى جنب مع الاغريق منذ أول انشاء المدينة • ولكن في رأينا أنه ليس من المعقول أن يكيل البطالة لليهود بكيدين فيعترفون لهم بحقوق المواطنة في الاسكندرية ، ويرفضون أن يسلموا بهذا الحق في قوريني أو أى مدينة أخرى من مدن برقة • لذلك كان من الطبيعي أنه عندما آل حكم برقة الى روما ألا يحدث أى تغيير في الأوضاع القانونية لليهود • وجاءت قرارات أغسطس ، فلم تخصصهم بأى امتياز • وفى ضوء معرفتنا بسياسة أغسطس العامة في مصر وازاء الاسكندرية بالذات، نستطيع أن نطمئن الى أنه لم يخص اليهود بأى امتيازات ترفعهم الى مرتبة المواطنين الاغريق • ونضيف أن أغسطس أصدر قراراته استجابة لشكوى الاغريق وتظلمهم من التفرقة في المعاملة بينهم وبين الرومان ، وميل الادارة الرومانية لمحاباتهم • فاعترف في قراراته تلك للاغريق بحقوقهم في المساواة التامة مع الرومان أمام القانون ومنحهم حق الاستئناف أمام مجلس الشيوخ من الأحكام في بعض القضايا المعينة ، وامعانا منه في التزام قواعد العدالة والمساواة فرض على المواطنين الرومان المقيمين في قوريني دفع الضرائب المحلية ٧٣ •

وقد وردت في النقش المتعلق بترميم بيعة برينيكى عبارة (te synagoge ton en Berenikide Ioudaion) أى بيعة اليهود المقيمين في برينيكى ٧٣ •

ولم يذكر في العبارة اليهود البرينيكين • وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أن
يهود برينيكى لم يكونوا مواطنين لها •

ومما يستلّف النظر أن أحد يهود برينيكى كان اسمه ديكيموس
فاليريوس ديونيسيوس **Decimus Valerius Dionysius** ، وأن أحد
أراكنة الجالية كان يحمل اسم ماركوس ليليوس أوناسيون **Marcus Lelius**
Onasion ٧٥ • وربما يكون هذان اليهوديان قد اكتسبا الحقوق الرومانية
بعد عتقهما من الرق • ذلك لأن العتق من الرق كان أحد وسائل الحصول على تلك
الحقوق • والمعروف أن اليهود المتأغرقين الذين منحوا الحقوق الرومانية
بإذن خاص من الامبراطور كانوا يحولون اسمهم الاغريقى أو اليهودى الى
لقب أو كنية مثلما حدث في حالة المؤرخ اليهودى يوسف عندما تحول اسمه ،
عند منحه الجنسية الرومانية الى فلافيوس يوسيفوس . وإذا كان بعض
الاغريق الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية لم يعفوا من الالتزامات
المفروضة عليهم قبل جالياتهم وذلك طبقا لقرارات أغسطس ، فإن اليهود
الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية كان عليهم أيضا الوفاء بالتزاماتهم
قبل جالياتهم ٧٦ .

وقد تضمنت قائمة منظمة الشباب **ephehoi** أسماء لبعض اليهود
في قوريني ٧٧ ، فهل ترتب على التحاق هؤلاء اليهود بمثل هذه المنظمة اكتسابهم
لامتيازات المواطنة ؟ المعروف أن منظمات الشباب والجومنازيوم كانت
مؤسسات يونانية صرفة • ولم يكن يسمح في مصر للمصرى بالالتحاق بأى
منها ٧٨ • وقد حذر الامبراطور كلاوديوس يهود الاسكندرية بكل صراحة
وبكل حزم من الاشتراك في نشاط الجومنازيوم ومبارياتها ٧٩ • ومعنى ذلك
أن الادارة الرومانية لم تعترف لليهود بالحق في أن يكونوا أعضاء في منظمات
الشباب ، وبالتالي ليس لهم الحق في الانتساب الى هيئة المواطنين . فإذا كان
بعض اليهود المتأغرقين المتحمسين للثقافة الاغريقية قد أدخلوا أبناءهم في
منظمات الشباب فإن ذلك لم يحدث بطريقة مشروعة ، وقد يكون نتيجة لتساهل
القائمين على أمر هذه المنظمات ، ولا يمكن للاستثناء أن يكتسب صفة القاعدة •

وجملة القول أن يهود برقة عاشوا في جالياتهم يتمتعون بالامتيازات الكثيرة التي سمحت لهم بها السلطات الرومانية، ومن قبلها السلطات البطلمية، ولم يرقوا إلى مواطنة المدن التي عاشوا بها .

بقى أن نتحدث عن جالية يهود برنيسكى من واقع النقوش التي وصلتنا منها ، ويتضمن النقش الاول^{٨٠} ، قرارا أصدره أراكنة جالية اليهود بالمدينة (وعدهم سبعة) والجالية، بتكريم ديكيموس فاليريوس ديونيسيوس لأنه لم يتوان في اظهار أنه شخص يستحق التكريم ولأنه قام بكسوة أرضية المسرح الدائرى وتزيين حوائطه . وقرر الأراكنة والجالية اعفاءه من كل الالتزامات العامة المفروضة عليه قبل الجالية وأن يقلد تاجا من ورق الزيتون في كل اجتماع عام وأن ينقش هذا القرار على لوح من رخام باروس Paros ، وأن يوضع اللوح في مكان ظاهر من المسرح الدائرى ، ويلاحظ أن القرار وصف ما قام به ديكيموس هذا من أعمال التزيين في المسرح أنه هدية للجالية epidoma politeumati . وقد أثبتت مناقشة حول المسرح الدائرى وعلاقة اليهود به، وهل هو مسرح المدينة العادى الذى تجرى فيه مباريات المصارعة وغيرها ؟ أم هو مبنى خاص لجالية اليهود ؟ فإذا كان المقصود به هو مسرح المدينة فكيف يهتم به اليهود ، وهم بحكم تعاليم دينهم لا يستطيعون التردد عليه بصفة علنية وجماعية ، بحيث تحتفل به الجالية وتعطيه هذه الأهمية ويتبرع واحد من أبنائها من أجل كسوة أرضيته وتزيين حوائطه على نفقته الخاصة ؟ وهل نستطيع أن نعتبر أن المسرح كان بمثابة المكان الذى تعقد فيه الاجتماعات العامة لكافة الهيئات ومنها اليهود ؟ ففى هذه الحالة كان يتعين عليهم النهوض ببعض نفقاته مادام يسمح لهم بعقد اجتماعات الجالية فيه . وعلى هذا الأساس يفسر عمل ديكيموس الكريم أنه هدية منه للجالية استحق عليها التكريم ، لأنه بهذا العمل أزاح عن كاهل الجالية عبئا كانت تنوء به خزائنها . فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا القرار يعتبر وثيقة فريدة وشاهدة فريدا من نوعه على وجود نوع من التعاون بين الجاليات اليهودية والمدن الوثنية . وتظهر أيضا وجود علاقات وثيقة بين الوثنيين واليهود بدرجة أكبر مما

يظن . وإذا اخذنا بالتفسير الثانى وهو أن المقصود بالمرح الدائرى مبنى خاص بالجاليات اليهودية ، فانه فى هذه الحالة يكون هذا القرار واحدا فى سلسلة القرارات العادية التى تضىف آيات التكريم على واحد من أبنائها قام بتزيين مبنى خاص بالجالية على نفقته الخاصة . وكون الجالية تمتلك مسرحا خاصا لتعقد فيه اجتماعاتها ينهض دليلا على رخائها وعلو شأنها * ولكن بهم يفسر تزيين الحوائط بزخارف وصور ، وشريعة موسى تحرم الصور تحريما قاطعا ؟ ويرد بعض الكتاب على هذا التساؤل بأن بيعة دورا يوروبوس Doura Europos ، والتى أقامها يهود متأغرقون كانت مزينة بزخارف هندسية وصور لنباتات وحيوانات ، وكان لا يقصد بها الا الزينة * ولذلك فان جالية دورا يوروبوس كانت فى القرن الثالث على قدر كبير من التحرر والانطلاق^{٨١} . وفى رأينا أن التفسير الأول هو أقرب الى القبول لأن هذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها عن وجود مسرح دائرى خاص بجالية يهودية * ولا نسمع أيضا أن مدينة رومانية كانت تضم مسرحين ، واحد لمواطنيها والآخر لغير المواطنين ، ومن ناحية أخرى اذا قُيِّلَ فى أحد النصوص amphitheatron فان هذه الكلمة تنصرف فورا الى المسرح الدائرى الخاص بالمدينة . ونضيف أن يهود الاسكندرية كانوا يستخدمون مسرحها لعقد اجتماعاتهم العامة *

أما القرار الثانى^{٨٢} فهو يؤرخ بعام ٢٥ م ، وينص على أن أراكنة الجالية (وعدهم تسعة) ، والجالية قرروا ثناء منهم على ماركوس تيتيوس سيكستوس Marcus Tittius Sextus الذى بذل كل ما فى وسعه منذ وصوله الى المدينة لادارتها ادارة خيرة ومعاملة مواطنيها معاملة طيبة ، أن يلقى خطاب يمتدح فيه هذا الحاكم وأن يكلل اسمه بأكاليل من ورق الزيتون فى كل اجتماع عام ، وعند أول كل قمر جديد وأن ينقش القرار على لوح من المرمر يوضع فى مكان بارز من المسرح الدائرى . وقد صدر القرار أبان احتفال الجالية بأحد أعيادها ولكن لا نعرف ما هى الأعمال الانسانية التى قام بها هذا الحاكم الرومانى واستحق معه تكريم الجالية له * فى رأى البعض أنه قد حدث صدام

بين الطائفتين الاغريقية واليهودية ، وأن الحاكم الرومانى وقف الى جانب الجالية اليهودية • ووقوع الصدام أمر محتمل وغير مستبعد •

وقد انتهى الينا أيضا من برينيكى نقش ثالث^{٨٣} عشر عليه فى عام ١٩٣٩ ، فى شارع عمر المختار أثناء ارساء أساس أحد المباني • ويفهم من النقش أن طائفة من يهود المدينة قدموا فى عام ٥٦م (أى فى العام الثانى من حكم الامبراطور نيرون) هبات مالية للاسهام فى ترميم بيعة اليهود بالمدينة • وتضم قائمة المتبرعين أسماء ستة عشر رجلا وسيدتين ، ويحمل العشرة الأوائل لقب أركون والحادى عشر لقب حبر ثم أسماء لثلاثة من الرجال لا يحملون لقباً معيناً ولكن يبدو أنهم كانوا على درجة من الثراء تفوق ثراء الأراكنة • ذلك أن اثنين منهم تبرع كل واحد منهما بخمس وعشرين دراخمة وتبرع ثالثهم بثمانى وعشرين دراخمة .

ومن هذه النقوش تتبين عدة حقائق عن جالية يهود برينيكى ، فهى تكشف عن طبيعة النظام الداخلى للجالية من ذلك أنه يرأسها عدد من الأراكنة . وهى توضح كذلك الامتيازات التى منحت لها وكان من أبرزها دون شك حقها فى عقد الاجتماعات واصدار القرارات واعلانها فى أبرز مكان فى المدينة وهو المسرح الدائرى • وتبين أيضاً أنه كان ليهودها بيعة ولهم أحبار • ويفهم كذلك أنه كان مسموحاً للجالية بتنظيم الحفلات الدينية . وكل ذلك يعنى أنه كان لليهود كل الضمانات الكافية لأن يحيوا فى نطاق جالياتهم متمتعين بحقوقهم كاملاً فى مباشرة شعائر دينهم وإدارة شئونهم الخاصة طبقاً لتعاليم شرائعهم ، وأنه كان فى امكانهم أن يظلوا بمعزل عن المجتمع الوثنى المحيط بهم • فهل فعلوا ذلك حقاً ؟

تساعد دراسة أسماء يهود برقة على تبين حقيقة اتجاهات جالياتهم ، وتكشف النقوش التى خلفها اليهود فى قورينى وأبولونيا وتوخيرا وبرينيكى عن أنهم اتخذوا أنماطاً من الأسماء تقسمها الى ما يأتى مع ضرب بعض الأمثلة على كل نوع منها .

أولا : أسماء يهودية :

أ — عند يهود قوريني^{٨٤} : العازار ، وايسوس (عيسى) ويهوذا ،
وبارثوباس بن بارثوبرا *

ب — عند يهود أبوللونيا^{٨٥} : ايسوس (عيسى) .

ج — عند يهود توكرة : أريماس ، وربما كان أصله العبري هو أحيرام
أو يحورام أو ارميا^{٨٦} ويهوذا^{٨٧} ، ومارتا^{٨٨} ، وتوياس^{٨٩}
وساباثيس^{٩٠} وايسوس (عيسى)^{٩١} .

د — عند يهود برينيكى : يونائاس (يونائان)^{٩٢} ، وماريون^{٩٣} ،
ويوسف^{٩٤} .

ثانيا : أسماء يدخل فى تركيبها اسم الرب

أ — عند يهود قوريني : ثيودوتس^{٩٥} وثيودوروس^{٩٦} .

ب — عند يهود توكرة : دوسيئوس^{٩٧} ودوسيئيا^{٩٨} وثيودوروس^{٩٩} ،
وثيودورا^{١٠٠} .

ج — عند يهود برينيكى : ثيوفيلس ودوسيئوس^{١٠١} وثيودوتوس^{١٠٢}

ثالثا : أسماء يدخل فى تركيبها اسم رب وثنى *

عند يهود برينيكى : ايسيدوروس وايسيدورا وأمونيوس وهيراكليس
وزينيون ويلاحظ أن هذه أسماء لأراكنة الجالية^{١٠٣} .

رابعا أسماء اغريقية :

أ — عند يهود قوريني : أجاثوكليس^{١٠٤} .

ب — عند يهود أبوللونيا : اسكندر^{١٠٥} .

ج — عند يهود توكرة : فيليبوس^{١٠٦} وأريستوقراطيس^{١٠٧} وبطليميوس^{١٠٨}
وتيمارخوس^{١٠٩} .

د — عند يهود برينيكى : براتيس و كارنيداس و كارتيشتينيس
وتاليارخوس ولوسانياس وبولون وسقراط وانتيجونوس
وأندروماخوس وزينون ودوريون وبطليموس واسكندر^{١١٠} .

خامسا أسماء رومانية :

أ — يهود قوريني : يوليوس^{١١١} .

ب — عند يهود توكرة : يوليا^{١١٢} وجنايوس^{١١٣} وكاسيوس^{١١٤}

ج — عند يهود بيرينيكى : ديكيموس فاليريوس ديونيسيوس وماركوس
ليليوس أوناسيوس وكورنيليوس^{١١٥} .

سادسا أسماء وثنية : نجد اسم سارايون ، وهو مشتق من اسم الاله
السكندري سيراپيس ، الذى يتردد فى أسماء يهود توكرة^{١١٦} وبرينيكى^{١١٧} .

ومما تقدم يلاحظ أن الأسماء اليهودية الصريحة ضئيلة بالنسبة للأسماء
غير اليهودية . وهذا غير مستغرب مادام الاتجاه نحو التآغرق أصبح واضحا
منذ أن أقبل اليهود على الحياة فى مجتمع وثنى حضارته هيلينستية ولغته
اغريقية . ولم يكن لهم فيما يبدو الخيرة فى أمرهم لأن تمسكهم بتقاليدهم
وأوضاعهم الاجتماعية المنبثقة عن دينهم وشريعتهم كفىل بأن يعزلهم عن
المجتمع وهذا مالا يرضونه الا اذا أرادوا أن يعيشوا على هامشه ، ولذلك
سرعان ما لجأوا الى تعلم لغته ونقلوا اليها توراتهم واستكملوا المظهر
الاغريقى باتخاذهم الأسماء غير اليهودية التى يتقبلها المجتمع ، ليس فقط فى
برقة وانما فى مصر وغيرها من أقطار العالم الهلينستى . وبعض هذه الأسماء
لا يمت لليهودية بصلة وما كان ليعرف أنها ليهود لولا أنها وردت فى نقوش
ثابت تماما أنها يهودية . وحتى الأسماء اليهودية الصرفة لا يكاد أبناء الجيل
الحديث المتأغرق من اليهود يقبل على استعمالها الا لما ، فهى فى الغالب أسماء
الآباء أو الأجداد ممن كانوا يحافظون على ربط أنفسهم بأصولهم اليهودية ،
بيد أننا نجد اثنين فقط بين أراكنة يهود برينيكى يحملان اسماء يهودية . فضلا

عن ان أحد أحبار هذه الجالية كان يحمل اسما غير يهودى على الاطلاق وهو كارتيسثينيس بن أرخياس ١١٨ •

وقد أطلق يهود برقة ، وكذلك يهود مصر على أبنائهم أسماء يدخل اسم الرب theos في تركيبها • ويبدو أن اليهود وهم يستخدمون هذه الأسماء، كانوا يحنون الى يهوديتهم فأحبوا أن يعبروا عن حبهم وفنائهم في ربهم يهوه ، ولذلك جاءت بعض الأسماء الجديدة ترجمة للأسماء العبرية مثل ثيودوتوس وهو يقابل الاسم العبرى ثاثلانيا ، أو يوناثلان بمعنى « يهوه قد أعطى » ، ودوسيئوس وهو يقابل الاسم العبرى هاتاتيهوه أو ماثاثلانيا بمعنى « عطية يهوه » وأقبلوا كذلك على استعمال أسماء يدخل في تركيبها اسم لرب من الآلهة الوثنية . وربما كان اليهود عند استخدامهم لها يجهلون اتصالها بالوثنية بيد أن ذلك لا يعفيهم من مسؤولية الابتعاد عن تقاليدهم وسرعة تمثلهم للتقاليد والعادات الاغريقية • ومما هو جدير بالملاحظة أن أركنة يهود برنيكى أقبلوا على استعمال هذه الأسماء كما أسلفنا ١١٩ • وزاد اقتراب اليهود من المجتمع الاغريقى الوثنى عندما استخدموا أسماء وثنية صرفة مثل اسم سارايبون وهو مشتق من اسم سيرايبس كبير ثالوث آلهة الاسكندرية ، ويؤيد ذلك أيضا استخدامهم لأسماء اغريقية ورومانية صريحة .

وقد سبق أن ذكرنا أن قائمة بأسماء أعضاء منظمة الشباب بقورينى تضمنت بعض أسماء ليهود ، وأن ذلك يعد تسلا الى هذه المنظمة الاغريقية الصرفة التى تقتصر عضويتها على المواطنين • ومن ناحية أخرى فان حرص اليهود على الحاق أبنائهم بمنظمات الشباب ليدل بوضوح على اهتمامهم بتزويدهم بأصول الثقافة الاغريقية . ولعل الذى ساعد اليهود على الدخول الى منظمات الشباب ، أنه مع مضى الوقت وبالرغم من القيود الدقيقة التى وضعت للحيلولة دون التحاق غير الاغريق بها ، أصبح فى وسع هؤلاء الالتحاق بهذه المنظمات بل وبالجومنازيوم نفسه حتى أن جمعيات رجال الجومنازيوم

في مصر كانت في عصر البطالمة مقصورة على الأشخاص الذين تلقوا تعليما اغريقيا وان لم يكونوا من أصل اغريقى ١٢٠ .

وبصفة عامة يمكن القول بأن العناصر المتأغرة المتحررة من اليهود كانت حريصة على أن يكون بينهم وبين المجتمع المحيط بهم نوع من الانسجام يساعد على أن يفيدوا من فرص الحياة الناجحة المتاحة لهم ، وكان من الطبيعى ألا ترحب الطوائف المتمسكة بالشرعية بهذا الاتجاه . ونفترض حدوث تنافر بين الطوائف المتحررة ونلمس ذلك في فترة عام ٧٠ م . عندما تولت الطبقة العليا المتأغرة من اغريق قورينى ارشاد السلطات الرومانية الى طائفة الغلاة التى ثارت مع يوناثان ١٢١ .

على أى حال فان السلطات الرومانية ومن قبلها البطلمية لم تضق باليهود ولم تقم في وجههم أى عقبة لمنعهم من ممارسة شعائر دينهم بحرية تامة داخل جالياتهم وفي بيعهم ، وفتحت أمامهم أبواب العمل والحياة ولم تحاول أن تحملهم على اتجاه معين يتنافى مع عقيدتهم . وقد دفع ذلك أحد الباحثين الى القول بأن الحرية الدينية التى كفلتها السلطات الرومانية لليهود أغرت هؤلاء بنهويد القبائل الليبية . ويؤيد قوله بضخامة عدد اليهود الذين اشتركوا في ثورة اليهود بركة في عام ١١٥ م ١٢٢ . وقال كاتب آخر ان قبائل بركة أقبلت على ممارسة عادات اليهود وأن الليبيين كانوا يعطفون عليهم ويرحبون بهم في مجتمعاتهم ١٢٣ .

وبذلك كانت كل الظروف مهيأة ليعيش اليهود مع جيرانهم من اغريق ورومان وليبيين بهدوء وسلام فهل مرت حياتهم على هذا النحو في العصر الرومانى كما حدث في العصر البطلمى ؟ وقد يعين على استجلاء الحقيقة التعرف الى تاريخ اليهود في ضوء تاريخ بركة في العصر الرومانى حتى عام ١١٥ م حينما اندلعت ثورتهم العاتية الكبرى فشملت معظم أرجاء بركة . ونقسم تاريخ بركة الى عدة فترات :

أولا الفترة الأولى وتبدأ بعام ٩٦ ق م ، عندما آلت بركة الى الشعب الرومانى بمقتضى وصية بطلميوس أبيون وتستمر حتى عام ٦٧ ق م ، وقد

تميزت هذه الفترة ببعض الاستقرار • ذلك أن مجلس الشيوخ كان متحفظاً في تنفيذ الوصية ، فلم يهتم بتحويل برقة الى ولاية رومانية فور وفاة بطليموس • بل اكتفى بوضع يده على الأراضى الملكية التى كانت مملوكة للبطالمة ، وأعلن أن المدن وما يلحقها أرض حرة على أساس أنها حليفة لروما • وقد ترتب على ذلك أن المدن الخمس تركت أمام عدد من المشاكل لم تكن مستعدة لمواجهتها • وقد أسفر الموقف فعلاً عن فوزى شملتها ، وعانت مدينة قورينى بصفة خاصة من أعمال العنف والتسلط من جانب نفر من الطغاة الذين وثبوا الى حكمها ١٢٤ ، ويحدثنا بلوتارخوس ١٢٥ ، أن القائد الرومانى لوكوللوس Lucullus عندما قدم الى هذه المدينة موفداً من قبل الدكتاتور الرومانى سلا Sulla للبحث عن سفن يدعم بها قوته اضطر الى التدخل لاقرار الأمن والنظام ووضع حد للاضطرابات التى سادتها • وفى عام ٧٤ ق م • ، ورغبة فى انقاذ برقة من هذه الفوضى نظمت شئونها لتكون ولاية تحت الحكم الرومانى المباشر ١٢٦ وفى عام ٦٧ ق م • ، اقتضت الأوضاع الادارية ضمها مع كريت فى ولاية واحدة ١٢٧ • ولكن ذلك كله لم يساعد على تحسن الأحوال أو استقرارها •

ولا تكاد مصادرنا تفصح عن موقف اليهود ابان هذه الفترة ، لولا أن يوسف نقل عن استرابون أن سلا عندما كان فى طريقه ليشن الحرب ضد مشرادتيس أرسل قائده لوكوللوس لاحباط ثورة قام بها اليهود فى قورينى ١٢٨ • والملاحظ أن بلوتارخوس لم يشر من قريب أو من بعيد عند حديثه عن قدوم لوكوللوس الى قورينى ، الى يهودها أو الى ثورة قاموا بها • والنص الأصلى لاسترابون مفقود • ومن غير المحتمل أن يكون استرابون ، ومصدره بلوتارخوس ، قد ضمن قوله الاشارة الى ثورة اليهود • مما يجعل من المرجح أن يكون يوسف قد أضاف هذه العبارة من عنده وبناء على معلوماته الشخصية ١٢٩ ، أو نقلاً عن مصدر لم يذكره • واذا سلمنا مع يوسف بحدوث ثورة لليهود ، فهل يعنى ذلك أن اغريق قورينى انتهزوا فرصة الفراغ السياسى الذى حدث فى المدينة بعد وفاة بطليموس أبيون ، وعودة مدينتهم الى استقلالها الذاتى فأرادوا حرمان اليهود من بعض امتيازاتهم أو كلها نتيجة لجرم ارتكبهوه فى

حقهم فثاروا ثورتهم تلك ؟ أم هل نستطيع أن نفترض أن اليهود انحازوا في الصراع الناشب في المدينة الى جانب لم يرض عنه الحزب المنتصر ؟ وهذا أمر غير مستبعد فقد كان هذا هو شأن اليهود في مصر عندما تدخلوا في الصراع الأسرى في البيت البطلمي وانحازوا الى جانب الذي كانت روما تؤثره بتأييدها . وقد تسبب هذا السخط في وقوع مصادمات دموية رهيبة بين اغريق الاسكندرية ويهودها في أكثر فترات الحكم الروماني لمصر . وثمة فرض ثالث أن قوريني لم تكن راضية عن حكم البطالمة وكان اليهود أحد ركائزه ، وما أن زال هذا الحكم واستعادت المدينة استقلالها ، حتى بادر اغريقها الى الانتقام منهم . والفرض الرابع أن يكون اليهود قد قاموا بحركة معينة ليلفتوا نظر السلطات الرومانية الى مدى ما يتعرضون له من خطر لو تركوا تحت رحمة الاغريق .

على أى حال لا نستطيع أن نمضى أكثر من هذا في طرح الفروض ومناقشتها اذ أن يوسف ومعلوماته موضع شك ، هو مصدرنا الوحيد عن هذه الثورة . وكل ما نستطيع قوله ان وضع اليهود لا بد وأن يكون قد تأثر بالأوضاع الجديدة بعد استعادة قوريني لاستقلالها وتخلصها من الحكم الملكي البطلمي الذي كان اليهود يطمنون اليه .

الفترة الثانية : وهى من عام ٦٧ ق م . حتى عام ٣١ ق م . وقد اتسمت هذه الفترة بعدم الاستقرار ولم تفلح فكرة اقامة ولاية رومانية مزدوجة من برقة ومن جزيرة كريت في تخليص برقة نهائيا عن عوامل الفتن والاضطرابات . سيما وأن الادارة الرومانية كانت حريصة على استنقاذ الأراضى الملكية من الذين وضعوا أيديهم عليها ، وعلى تحصيل الضرائب المستحقة للخزانة الرومانية . ونقرن هذه الأوضاع بما صاحب هذه الفترة من صراع حزبي ، وحرب أهلية عنيفة بين رجال الحكومة الثلاثية ، وما أصاب برقة من آثار هذا الصراع . اذ عهد بها كولاية منفصلة أول الامر الى كاسيوس ثم الى أنطونيوس الذى أعلنها ملكا خاصا لابنته كليوباتره سيليني في عام ٣٦ ق م . ١٣٠ .

وبالنسبة لليهود لا نظفر من مصادرنا بما يوضح مدى تأثير اليهود في أحداث هذه الفترة أو مدى تأثيرهم بها •

الفترة الثالثة : من عام ٣٠ ق.م. حتى عام ٧٠ م. وقد شهدت برقة في هذه الفترة استقرارا وازدهارا جلبه اليها الرخاء الذى كان طابع الامبراطورية الرومانية • وفي عهد الامبراطور أغسطس عادت برقة لتكون مع جزيرة كريت ولاية واحدة خاضعة لحكم مجلس الشيوخ وكان هدف السياسة الرومانية تهيئة الظروف المناسبة لتحسين الأحوال في برقة • وكان من مصلحة اليهود قيام حكومة قوية • ولا شئ قادر على حمايتهم مثل هذه الحكومة التى تستطيع أن توفر لهم الأمن والطمأنينة لينصرفوا الى حياتهم الخاصة • ولينموا ثروتهم وليزاولوا نشاطهم وخاصة في المراكز التجارية والموانئ البحرية سيما وأن أغسطس كان حريصا ، كما أسلفنا ، على تأكيد امتيازاتهم التى اكتسبوها منذ أيام البطالمة وكان من أهمها السماح لهم بمباشرة عاداتهم طبقا لشريعة آبائهم ، والسماح لهم بارسال الأموال التى فرضوها على أنفسهم الى اورشليم • وقد توعد الامبراطور كل من يسرق أموالهم وكتبهم المقدسة بالجلد ومصادرة أملاكه ١٣١ • وقد سبق أن أشرنا الى أن يهود توخيرا استعملوا اسم يوليا بين أسماء لاتينية أخرى ، أطلقوها على بناتهم في هذه الفترة • وهذا يوحى ، في رأى بعض المؤرخين ، بمدى ما كان يهود هذه المدينة يكنونه من ولاء لأسرة اليولين ١٣٢ • وقد انتهى الينا نقش من برينيكى ، سبقت الإشارة اليه ، يفهم منه أن جالية يهود المدينة قامت في عام ٢٥ م. بشكر البروقنصل سيكستوس M. Tutius Sextus على اداراته الحازمة الخيرة للمدينة ١٣٣ • ولا نعرف على وجه التحديد ماذا فعل هذا البروقنصل ، من أعمال حتى استحق معها تقدير جالية اليهود وشكرها ، اللهم الا اذا سلمنا أنه قد حدث صدام بين اغريق المدينة ويهودها فعمل البروقنصل على حماية اليهود وأعاد الأمن الى نصابه •

والى هذه الفترة نفسها تنتمى مقبرة يهودا توخيرا • وموقعها من المدينة يدل على أن سكانها لم يضيّقوا بجالية اليهود • وقد كانت شخصية اليهود

واضحة تماما في قوريني اذ أفرد استرابون ، وهو معاصر لأغسطس ، لليهود مكانة خاصة بين عناصر سكان المدينة . ومن المحتمل أن ماقاله استرابون بالنسبة لقوريني كان ينطبق الى حد ما على بقية مدن برقة . وبصفة عامة يمكن القول ان اليهود قد أفادوا من فرص الرخاء التي وفرها الحكم الروماني ، والأمن الذي بسطه هذا الحكم على ربوع برقة .

ولكن هذه الطمأنينة التي نعم بها اليهود لم يقدر لها أن تستمر طويلا اذ تعرضوا لمحنة شديدة وذلك عندما اندلعت ثورة اليهود في اورشليم عام ٦٦ م ، وأخذت القوات الرومانية تشدد التكير على المدينة . وقد ذكر سلوش أن يهود قوريني أسهموا في الدفاع عن اورشليم اذ كانت لهم كما سبق أن ذكرنا جالية في اورشليم نفسها . وذكر يوسف أنه في المراحل الأخيرة من حصارها الذي استمر حتى عام ٧٠ م فر الى قوريني بعض زعماء اليهود ، وأنه كان من بينهم ثلاثة من أبناء الحبر الأعظم اسماعيل . ولدى وصولهم الى هذه المدينة لقوا مصرعهم شنقا^{١٣٤} . وقد وفدت أيضا جماعة من غلاة اليهود الذين أطلق عليهم يوسف اسم Sicarii . وقد تزعمهم يوناثان النساج الذي وصفه يوسف بأنه زعيم أشر . وذكر أنه نجح في استمالة عدد ليس بالقليل من يهود المدينة من الطبقات الفقيرة المعذمة ، وقادهم الى الصحراء . وعم شرمهم المناطق المحيطة بقوريني واستفحل مثل الوباء^{١٣٥} . ولكن نفرا من يهود المدينة من الطبقة العليا فيما يبدو ، أبلغوا كاتوللوس Catullus الحاكم الروماني بأمر هذا الثائر ، فبادر بارسال جماعة من الفرسان والمشاة جدت في أثر الثوار حتى استطاعت التغلب عليهم وأفنت عددا كبيرا منهم ، وحملوا القلة الباقية منهم الى كاتوللوس ثم ساقوا اليه يوناثان بعد مطاردة عنيفة استمرت طويلا . وتخاذل يوناثان وأراد أن ينجو من العقاب . فزعم للحاكم أن نفرا من أغنياء يهود قوريني هم الذين رسموا له خطط الثورة . وقد أولى الحاكم الروماني هذا الاتهام اهتماما كبيرا وبالنسبة لقمع حركة التمرد ، حتى أنه ظن أنه قد كسب حربا ضد اليهود وقد حمل يوسف على كاتوللوس ونعى عليه سرعة تصديقه لأقوال هذا الثائر الارهابي . وعلل

موقف كاتوللوس بأنه كان يحقد على اسكندر أحد أثرياء يهود قوريني ويريد التخلص منه • فأوعز الى يونانان باتهام هذا اليهودى وزوجته بأن لهما ضلعا فى الثورة • وبدأ الحاكم بهما وكان هذان أولى ضحاياه • ثم أخذ ينكل بكل أغنياء قوريني • وذبحهم جميعا عن بكرة أبيهم وكان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف شخص ظنا منه أنه بذلك سيصادر أملاكهم ويضمها الى الخزانة الامبراطورية • ورغبة من كاتوللوس فى أن يحول بين يهود الأقطار الاخرى ، واطهار حقيقة جرمه فى حق يهود برقة للامبراطور ، أوعز الى يونانان بالقاء التهم باثارة الفتنة جزافا على أكثر الشخصيات تمتعا بالسعة الحسنة فى كل من الاسكندرية وروما • وكان يوسف المؤرخ اليهودى نفسه ، من بين تلك الشخصيات التى لحقها هذا الاتهام ١٣٦ •

وقد ذكر يوسف أن يونانان «أكد اننى قد زودته بالسلاح والمال» وعزا ذلك الى مكاتنه الممتازة التى أثارت غيرة اليهود وعرضته للخطر • ومن المعروف أن يوسف اكتسب حقوق المواطنة الرومانية • ويبدو أن الغلاة من يهود برقة ساءهم قبوله هذه الحقوق التى نقلته الى صفوف خصومهم الرومان ١٣٧ •

وعندما جاء كاتوللوس الى روما بيونانان ورفاقه وهم يرسفون فى أغلالهم ، شك قسباسيان فى جدية الاتهامات وكشف عن زينها فأمر باطلاق سراح كل المعتقلين • وقصر العقوبة على يونانان وحده وأمر بحرقه بعد أن يلقى ألوانا رهينة من التعذيب ١٣٨ •

وواضح من أقوال يوسف أن الطبقة العليا من يهود قوريني ضاقوا بمقدم الغلاة من يهود يهوذا ، وأرشدوا عنهم السلطات الرومانية • وقد حدث أن جماعة من هؤلاء الغلاة ذهبوا الى مصر والاسكندرية فى نفس الوقت الذى جاء وافيه الى قوريني ، وأرشدت السلطات الرومانية عنهم الطبقات العليا من اليهود كذلك ١٣٩ • وقد كان العداء سافرا بين الطبقتين العليا والدنيا فى المجتمع اليهودى فى يهوذا • ولا نميل الى المبالغة فى تقدير موقف الطبقات العليا من اليهود من الغلاة ومجاراة يوسف فيما حاول من اظهار حرصها على

اثبات براءتها من الغلاة وأفعالهم • والواقع أن ثورة اليهود في أورشليم انما قامت بها أول الامر العناصر المستضعفة منهم ضد الأرستقراطية اليهودية المكونة من طبقة كبار الملاك الذين كانوا سادة في المناطق التي تقع فيها أملاكهم مثل يوسف نفسه • فضلا عن أنهم كانوا في نفس الوقت رأسماليين تربطهم بالسلطات الرومانية وشائج وثيقة قعدت بهم عن مناصرة الحركات التي كانت تهدف للتخلص من السيادة الرومانية^{١٤٠} • وما أن تطور الصراع الى صدام مع السلطات الرومانية نفسها ، حتى حوصرت أورشليم ونزلت أشد الضربات باليهود واستبيحت المدينة ودمر الهيكل • وترتب على ذلك نتائج بعيدة الأثر من حيث خطورتها بالنسبة لأوضاع الجاليات اليهودية في شتى أرجاء الامبراطورية ، لعله كان من أهمها اجبار يهود الامبراطورية أينما وجدوا على أن يدفعوا ، ابتداء من سن الثالثة ، الى معبد الآله جوبيتر في روما ضريبة عرفت باسم ضريبة اليهود • وكانت هذه الضريبة في الأصل هي ضريبة نصف الشاقل التي كان يدفعها اليهود من الرجال الى هيكل أورشليم متى بلغوا سن العشرين • وكان تحويل هذه الضريبة التي كان اليهود يدفعونها استجابة لتعاليم شريعتهم ، الى ضريبة يدفعونها الى معبد وثني ، اذلالا لهم أيما اذلال^{١٤١} • وواضع من حديث يوسف وهو أحد أفراد الطبقة العليا ، أنه بالرغم من حقه على الغلاة لم يستطع أن يخفي الحقيقة الواقعة وهي أن يهود برقة جميعا ، أثرياءهم وفقراءهم ، لقوا أشد العنت على أيدي الحاكم الروماني • اذ قتل من الأثرياء وحدهم زهاء ثلاثة آلاف يهودي ، وذلك بالرغم من محاولة يوسف تبرير ما حدث وتصويره على أن الحاكم الروماني أوقع باليهود شفاء لما في نفسه من حقد عليهم • واذا كانت الطبقات العليا من اليهود قد تنصلت من تبعة أعمال الغلاة وأبلغوا السلطات الرومانية بأمرهم ، فإن ذلك يعلل بخوفها من بطش السلطات الرومانية بهم ، ويعلل أيضا بنقمة هذه الطبقات العليا على الطبقات الدنيا التي تسببت في كل تلك الكوارث التي حلت بهم •

الفترة الرابعة : من عام ٧٠ م • حتى عام ١١٥ م • عندما نشبت ثورة

اليهود الكبرى • ونلمس مقدمات هذه الفترة في أحداث الفترة السابقة بعد أن تأزمت العلاقات بين اليهود والسلطات الرومانية الحاكمة ليس فقط في قوريني بل في كافة الامبراطورية اذ تؤكد لليهود أن هذه السلطات كانت ماضية في اذلالهم ومعاملتهم على أساس أنهم شعب مغلوب منهزم ، فأخضعهم لضريبة اليهود المذلة التي تؤدي الى جوبيتر الاله الروماني الوثني • ولم يقتصر التدهور على العلاقات بين اليهود والرومان ، بل أصاب العلاقات بين اليهود والاغريق كثير من الوهن • وبينما تكشف مصادرها عن فتن ومصادمات تتابع وقوعها في الاسكندرية بين الاغريق واليهود منذ سنة ٧٠ م ، فانها على العكس من ذلك تصمت ولا تتحدث عن مثل المصادمات في بركة حتى كانت ثورة اليهود الكبرى التي وقعت سنة ١١٥ م ، والتي أشعل نارها يهود قوريني ثم مالبت أن عمت بركة كلها ١٤٢ •

قام اليهود بشورتهم تلك في الوقت الذي كان فيه الامبراطور تراجان يخوض غمار الحرب ضد مملكة بارثيا • وازاء عنف المقاومة التي أبدتها أهلها ، اضطر الامبراطور الى سحب بعض الحاميات من الولايات الرومانية لتعزيز قواته في آسيا ، وقد بدأت الثورة في قوريني على شكل فتنة *statis* لا تخرج عن كونها صداما عاديا بين اليهود والاغريق سرعان ما تطور الى حرب *polemos* اتخذت طابع الصراع اليائس ضد الحكومة الرومانية نفسها • وقد نصب اليهود عليهم زعيما يدعى أندرياس أو لوكواس (لوقا) كما جاء في رواية أخرى ، أولعله كان يحمل الاسمين معا واتخذ لقب ملك • وقد استطاع أن يستولى على المدينة وأن يسيطر عليها واستباحها أتباعه • وتجمع الروايات على وحشية اليهود في مهاجمتهم للاغريق اذ أورد المؤرخ ديوكاسيوس وصفا مثيرا منفرا لوحشية اليهود في مهاجمة الاغريق والرومان فنقرأ «أنهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويصنعون من أمعائهم أحزمة يتنطقون بها ويلطخون أجسامهم بدمهم ويسلخون جلودهم ويتخذونها ملابس لهم ، وأنهم عمدوا الى كثيرين منهم فشطروهم شطرين من رأسهم الى أسفل ، وألقوا بآخرين الى الوحوش المفترسة ، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا كما

يفعل المصارعون وقد بلغ عدد الذين أهلكهم اليهود اثني عشرين ألف نسمة» ١٣٤ .
ولما كان اليهود يتوقعون أن تأتي النجدة الرومانية عن طريق ميناء أبولونيا
فقد عملوا على اغلاق الطريق بينها وبين قوريني بدفع كتل الحجارة الضخمة
من أعلى التل في منطقة المقابر والاستعانة بأغطية التوايت الحجرية الضخمة
ليكمل سد الطريق ١٤٤ ، وأشاع اليهود التخريب والتدمير في المدينة ، من ذلك
ما لحق بطريق الوادي في المدينة ١٤٥ ومعابد زيوس ١٤٦ وديمتر ١٤٧ وأبوللون ١٤٨
وأرتميس ١٤٩ والتوأمين الديوسكوري Dioscuri ١٥٠ وهيكتاتي ١٥١ وبلوتو ١٥٢
وايزيس ١٥٣ ومعبد صغير جنوب مذبح أبوللون ١٥٤ والقيصريوم ١٥٥ وبعض
المباني الواقعة الى الشمال من الحمامات ، ولا تزال آثار الحريق عالقة بها ١٥٦ ،
والحمامات نفسها ١٥٧ والمسرح الواقع الى الغرب من مقصورة أبوللون ١٥٨
والقسم الشمالي من الأجورا (السوق) ١٥٩ والمبنى المعروف باسم قبر
أونوماستيس Onymastes ١٦٠ والكاييتول ١٦١ وبوابة المدينة على طريق
أبولونيا ١٦٢ وخزان المياه خارج عين أبوللون ١٦٣ ومبنى البروتانيوم ١٦٤
والمسرح الواقع الى الغرب من القيصريوم ١٦٥ ، وقد ذكر أورسيوس أن الثورة
عمت كل أنحاء ليبيا ١٦٦ per totam Libyam والمقصود بليبيا هنا برقة .
وهناك من الشواهد ما يؤيد هذا القول بالنسبة لتوكرة ، اذ حل بها جند
تراجان المسرحون ١٦٧ وأبولونيا حيث عثر على نقش موجود في متحف أبولونيا
يشير الى مستعمرة معينة . ولكن هذا النقش غير واضح . وكذلك عثر في
قوريني على نقش آخر غامض الا أننا نفهم منه أن أهل أبولونيا أهدوه الى
الامبراطور هادريان في عام ١٢٩ م . ، أو ما بعدها وخاطبوه بقولهم المؤسس
princeps oikistes ومعنى ذلك أن هادريان أمر بإحلال عناصر جديدة
من السكان في أبولونيا بدل الذين هلكوا في الثورة اليهودية ١٦٨ . والى
الشرق من قوريني حل جند مسرحون بصفصافة والقبّة ١٧٦ . ويبدو أن الثورة
كانت في طريقها الى بطوليميس التي عسكرت بها سرية رومانية ربما لتحول
دون اشتراك يهودها في التخريب والتدمير كما فعل يهود قوريني ١٧٠ ، وربما
كانت برينيكي هي الاخرى قد تأثرت بهذه الثورة فقد عثر على مجموعة

كبيرة من النقود لانتجاوز عصر تراجان ربما كانت قد خبئت خلال الرعب الذى اجتاحت المدينة أثناء الثورة ١٧١ * ولعل الشوار ، وهم يشيعون اندمار والتخريب فى الريف ، كانوا قد بلغوا أبواب المدينة ، وربما كان التدمير قد امتد الى الطريق الساحلى بين توخيرا وبرينيكى ، وكذلك الطريق بين قورينى وبطوليميس ١٧٢ * وقد امتدت الثورة أيضا الى شرق برقة واجتاح الثوار اقليم مارمريكا * وجملة القول أن الثورة عمت كل المناطق الواقعة بين برينيكى فى الغرب والضبعة فى الشرق حيث يقوم الدليل على أن تدميرا لحق أحد المعابد فى صحراء مصر الغربية ١٧٣ *

وثورة اليهود هذه لم تقتصر على برقة بل تعدتها الى قبرص ١٧٤ * والى مصر ١٧٥ * ولا ندخل فى تفاصيل الثورة فى هذين الاقليمين الا ما كان منها متعلقا بثورتهم فى برقة *

كانت الفتنة بين اليهود والاغريق فى الاسكندرية قد بدأت تطل برأسها منذ ١٣ أكتوبر عام ١١٥ م * ثم هدأت مؤقتا لتعود وتنتشر فى داخلية البلاد ، وازاء شراسة اليهود فى مهاجمة الاغريق فر هؤلاء الى الاسكندرية حيث انضموا الى اغريقها وحملوا على اليهود حملة عنيفة * وفى شتاء عام ١١٦ م * زحف يهود برقة بزعامه ملكهم لوكواس وبلغوا مشارف الاسكندرية ، ولعلمهم بان ذلك أشاعوا الدمار فى بعض أنحاء الصحراء الغربية ، كما ذكرنا وعجزوا عن اقتحام الاسكندرية فانتشروا فى داخلية البلاد يشدون أزر بنى جلدتهم * وخاضت القوات الرومانية حربا حقيقية ضد اليهود * وكان تراجان قد انتصر فى حربه فى بارثيا فأرسل قائده الشهير ماركيوس توربو على عجل * ونجح هذا القائد فى اخماد الثورة فى مصر فى يوليو — أغسطس ١١٧ م * ١٧٦ * وشملت العمليات الحربية اقليم برقة * فافتحم توربو أسوار قورينى وأنزل الهزيمة الساحقة باليهود ١٧٧ * وإذا كان ديوكاسيوس قد قدر عدد من هلك من ضحايا اليهود فى قورينى وحدها بحوالى ٢٢٠,٠٠٠ نسمة فان ذلك يجعلنا نرجح أن اليهود تعرضوا فى قورينى وغير قورينى لحملة انتقامية استهدفت استئصال شأفتهم وأن الذين نجوا منهم بادروا بالفرار من المدن ، ولجأوا —

فى رأى البعض — الى القبائل الليبية واحتتموا بها وأسهموا فى النضال الطويل بين تلك القبائل والسلطات الرومانية فى برقة * ومن غير الواضح كيف كان مصير لوكواس ملك يهود برقة * غير أنه ذكر فى احدى برديات شهداء الاسكندرية ، وهى أعمال باولوس وأنطونينوس التى تتناول بعض الأحداث التى وقعت فى السنة الأولى من حكم هادريان أى بعد اخماد الثورة ، أن الوالى روتيليوس لوبوس ، وفقا لمزاعم أهل الاسكندرية ، أمر بتنظيم عرض مسرحى هزلى يمثل فيه ملك اليهود بطريقة مضحكة * وفى رأى فلكن أن الرومان أسروا هذا الملك بالفعل وعرضوه على النحو الساخر فى ذلك العرض المسرحى^{١٧٨} * وفى رأى آخر أن الملك اليهودى مثل بطريقة رمزية أو أن أحد اغريق الاسكندرية مثل شخصيته وذلك تعبيرا عن سخرية الاغريق من آمال اليهود فى الخلاص والتحرر^{١٧٩} *

وقد اضطلع الامبراطور هادريان باصلاح ما أقسده الثورة اليهودية ، وقد توفر كل من أبلباوم S. Applebaum وفريزر P. M. Fraser^{١٨٠} ، على دراسة النقوش الكثيرة التى عثر عليها فى قورينى وبعض مدن برقة والمتعلقة بالاصلاحات التى قام بها هذا الامبراطور * ويمكن أن نقسم هذه الأعمال الى مرحلتين :—

المرحلة الأولى : وفيها انصرف الامبراطور الى ترميم المعابد والمباني والطرق التى لحقها الدمار ابان أحداث الثورة واقامة التماثيل التى هشمت أو أزيلت من مكانها *

المرحلة الثانية : تبين أن ما أصاب الولاية كان أخطر من مجرد مباني دمرت * اذ أن نسبة كبيرة من القوة العامة النشطة من الاغريق قتلت ، فكان لابد من أن يصدر الامبراطور قراره باعادة تعمير قورينى بأن ينقل اليها عناصر اغريقية يكون فى امكانها الاندماج فى هيئة مواطنى المدينة وانشاء جومنازيوم جديد يمكن أن يترشح فيه المواطنون القدامى بالمواطنين الجدد * وقد نشر مؤخرا نقش يفهم منه أن ثلاثة آلاف جندى مسرح من الفرقة الثالثة القورينائية Legio III Cirenica قد أحضروا الى قورينى ، وأن الأمر تطلب تعيين

قائد معسكر يقوم بالاشراف على اسكان هؤلاء الجند المسرحين * وربما نزل بعض هؤلاء الجند في هادريانوبوليس التي أسسها الامبراطور هادريان * وقد سبقت الاشارة الى أن جندا مسرحين نزلوا بأبولونيا وصفصافة والقبه ، وقد نقشت على نقود هادريان عبارة «مصلح ليبيا» *restitutor Libyae* ١٨٢ * وعلى نقش على قاعدة لتمثال للامبراطور هادريان أهدي له في فترة تالية لعام ١٢٩ م * وصف فيه بأنه المؤسس ومطعم المدينة من جوع *ktistas kai trophcus* ، ولفظ المؤسس ربما كان يعنى ، في رأى فريزر ، أن ثمة مبان عامة كثيرة أقيمت بناء على اقتراح الامبراطور وعلى ثقفته الخاصة * وكلمة *trophcus* تعنى أنه أمد المدينة بالمواد الغذائية ١٨٣ *

ولم يكف عصر هادريان لاتمام كل أعمال الترميم * اذ استمرت هذه الأعمال في عهد خلفائه * ويبدو أيضا أن جهوده لم تفلح في العودة بالمدينة الى ما كانت عليه من رخاء وازدهار لأنها وصفت في عهد متأخر بأنها مدينة مهجورة * *urbs deserta* ١٨٤ *

وثورة اليهود هذه التي لم تقتصر على برقة بل امتدت الى كل من مصر وقبرص ، تستحق الاهتمام اذ كانت في الواقع صداما مسلحا بين اليهود والرومان وخاض الجيش الرومانى معارك حقيقية ضد اليهود * وقد كان الشوار على درجة كبيرة من القسوة والشراسة وقد مر بنا وصف ديوكاسيوس لما فعلوه بضحاياهم ببرقة * وكشفت النقوش عن خطة بيتوها لتدمير الطرق وتخريب المزارع وهدم المعابد الوثنية وتحطيم التماثيل * ومن أجل ذلك وصفوا في البرديات المصرية بأنهم ملحدون مارقون *anosioi* ١٨٥ * ولعلمهم أرادوا بتدمير المعابد الانتقام لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدي الرومان * وتتساءل ما الذى حدا باليهود أن يثوروا هذه الثورة العاتية كمن تخبطه الشيطان من المس ، وأن يتولى زعامتهم ثائر اتخذ لنفسه لقب ملك ؟ الواقع أن هذه ليست الثورة الأولى وليس لوكواس (لوقا) بأول من اتخذ لقب ملك * وربما وجدنا الجواب في النظرية القائلة بأن اليهود لم يتخلوا عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع وأنه سيكون المسيح المنتظر * وهذه الفكرة هي

التي أوحى الى الملك أو المخلص لوكواس بأن يحض يهود برقة على الثورة لتحرير أنفسهم وبنى جلدتهم من حكم الرومان الوثني في برقة ومصر وقبرص وغيرها من ولايات الامبراطورية • ولعل برقة اتخذت مقرا ومهدا لحركة الخلاص لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التي كانت تحارب تحت راية تراجان • وهذا يعنى أن يهود الامبراطورية تأمروا واختاروا برقة بالذات • وفى رأى بعض المؤرخين أن الثورة قامت في قوريني من باب الصدقة فحسب وأخذت السلطات الرومانية على غرة فنجحت الثورة في مراحلها الاولى • وأغرى هذا النجاح لوكواس بالزحف على مصر لنجدة يهودها • وقد أعمت فكرة الخلاص يهود برقة وزعيمهم عن تقدير الموقف حق قدره وأنهم كانوا يخوضون حربا يائسة ضد قوى تفوقهم في كل شىء وسيطر على عقولهم شىء واحد وهو أنهم جند الرب ، الذى سيقودهم لامحالة الى نصر محقق ويعيد اليهم هيكل سليمان • فاندفعوا مسلوبي الارادة يدمرون ويقتلون ويبطشون بالاغريق والرومان •

واذا كانت الثورة التي قام بها الغلاة من اليهود في عام ٧٠ م لم تلق تأييدا من الطبقات العليا من اليهود ، بل ان أفرادا من هذه الطبقات أرشدوا السلطات الرومانية عن هؤلاء الغلاة فما الذى جعل اليهود جميعا يشتركون فيما يبدو في عام ١١٥ م • في هذه الثورة ؟ من المرجح ان كل محاولات اليهود للتقرب من مجتمع المدن الاغريقية قد باءت بالفشل وأن السلطات الرومانية كانت حريصة على أن تلزم اليهود موضعهم الحقيقي وأن تفرض عليهم بعد عام ٧٠ م • ضريبة اليهود التي كانت رمزا لذلتهم بعد أن دمر هيكلهم ، ولم يفلح ما حققته بعض طوائف اليهود الأغنياء من مكانة رفيعة تقترب من مكانة أثرياء الاغريق في ازالة شعور المجتمع أن اليهود غرباء ودخلاء عليه بحكم انزالهم في جالياتهم وعدم مشاركتهم مشاركة فعالة في الحفلات والأعياد الدينية التي كان الاغريق والرومان يقيمونها لآلهتهم • مما جعلهم موضع شك واتهام • سيما وأنهم كانوا يتصفون بصفات معينة مثل الجشع والحرص على المال والقدرة على الاتراء • ومن ناحية أخرى كان اليهود يحرصون على أن يكونوا

موضع عطف الأباطرة • وكان الاطمئنان الى حمايتهم هو السبيل الوحيد أمامهم ليعيشوا في وسط وثنى غريب عليهم • ولعل ذلك كله كان الباعث الى ظهور ما يسمى بالعداء ضد اليهودية من جانب الاغريق ليس في برقة فقط ولكن في مصر أيضا حيث كان العداء أوضح وأشد في حدته • واذا كان اغريق برقة قد صبروا على حكم البطالمة ، واليهود من دعائمه ، فلاشك أنهم ضاقوا بهم وازدادوا حقدا عليهم عندما رأوهم يسيرون في ركب السلطات الرومانية ويذلون لها من الطاعة ومن الولاء ما أثار ضغينة الاغريق وشكهم واتهامهم لهم بأنهم أداة في يد هذا الحكم الروماني الذي أضاع استقلال مدنها • وبصفة عامة ان ثورة اليهود في عام ١١٥ م • ، تعتبر بحق تعبيرا عما كان يحس به اليهود من يأس وقنوط لاحد لهما فأقدموا على هذه الأعمال التي لا يمكن أن تغفر لهم فزلزل كيانهم وعصف بجالياتهم • ولا نكاد نشك في أنهم انزوا بعيدا من المدن وعن أعين السلطات الرومانية •

ويبدو أن الكثيرين منهم قد آثروا الهجرة كلية من ليبيا اذ فقدوا كل أمل في امكان استمرار حياتهم في برقة في أمن ودعة • وقد اتجهت طائفة منهم جنوبا عبر اير Air ، وحوض نهر النيجر الأوسط الى السنغال واقليم فوتا Futa في غرب افريقيا • وهناك التقوا بطائفة أخرى جاءت من برقة عبر طريق يمر بجنوب المغرب ومدينة أدرار Adrar في موريتانيا • ونتيجة لهذه الهجرات انتشر اليهود انتشارا واسعا في داخلية القسم الشمالى من أفريقيا • وكان في استطاعة اليهود المحافظة على شخصيتهم المتميزة طالما كانوا مقيمين في الواحات • ولكنهم لما ذهبوا الى السودان ، ذابوا وسط الجموع الهائلة من الشعب المحلي • ومع ذلك فانه من الممكن ملاحظة بعض الأثر للعنصر اليهودى • ولكن أكثر الشعوب في غرب السودان ، التي يظهر فيها الدم اليهودى بشكل واضح هي قبائل الفولاني Pulani الرعوية التي كانت تحتل اقليم فوتا عندما جاءتهم هجرة يهود برقة • وعندما انتشرت هذه القبائل شرقا حملت معها الدم اليهودى الى شواطئ بحيرة تشاد التي ربما كانت قد بلغت في القرن الثالث عشر ١٨٦ •

الحواشي

- Josephus, C. Ap. ii., 44 — ١
- Strabo, ap. Josephus, Ant. xix, 115 ff. — ٢
- ٣- من ظروف تدخل بطلميوس في قوريني ونجاحه في السيطرة عليها
- Diodorus Siculus, xviii, 19 ff.
- ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالة ، الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٦ وما يليها .
- P. Jouguet, Macedonian Imperialism, London 1928, PP. 127 ff.
- ٤- من المعروف أن بطلميوس غزا سوريا في عام ٣٢٠ ق.م. واستولى على اورشليم في عام ٣١٨ - ٣١٩ ق.م. واستقر له الامر في فلسطين وأرض يهوذا منذ عام ٣٠١ ق.م. أى بعد أن أعلن نفسه ملكا على مصر في عام ٣٠٥ ق.م. ، وقد ظلت فلسطين تابعة لمصر لفترة امتدت عن عام ٣٠١ الى ١٩٨ ق.م.
- راجع ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ١ ص ٦٦ وما يليها ص ص ٧٣ ، ٨٥ .
- V.A. Tchericover, A. Fuks, Corpus Papyrorum Judaicarum, Harvard, vol. I, (1957) P. 2
- P.S. Aristeas, 13, Josephus, Ant. xiv, 99, Josephus, B.J. I, 175. — ٥
- Strabo, ap. Jos. Ant. XIV, 188. — ٦
- The Kittel, D.G. Spadafora, Corpus Istriptionum Judaicarum, del Vaticano; Pontificio, Instute di Archeologia Cristiana Roma, vol. II, (1951) P. 352.
- في رأى سلوش N. Slousch ، أن برقة عند المؤرخ اليهودي يوسف كانت امتداد لفلسطين فيما وراء وادي النيل ، وانها كانت في كل وقت مركزا من مراكز انتشار اليهود ، وانها لعبت في تاريخ بني اسرائيل دوراً لم تلعبه اى منطقة من مناطق تشتت اليهود Diaspora خارج يهوذا وذلك باستثناء ميزوبوتاميا . وزعم الكاتب ، وهذا ما لم يقم عليه الدليل ، أن استقرار اليهود في برقة بدأ منذ عهد الفينيقيين . وقال أن برقة ذكرت في التوراة باسم ليبيا ، وأن اسمها ورد في سفر حزقيل ، الاصحاح الثلاثين . وذكر الكاتب أيضا أنه قد عثر على نقش مكتوب بالحروف الفينيقية ويحمل اسم رجل يهودى دون أن يحدد مكان النقش أو تاريخه .
- N. Slousch, "Jewish and Judaism in Ancient Cyrenaica" Being an Appendix to the Report on the work of the Commission sent out by the Jewish Territorial Organization (=ITO)

for the purpose of a Jewish Settlement in Cyrenaica. ITO
offices, London (1909)

٧- المرجع السابق .

C.H. Kraeling, Ptolemais, City of the Libyan Pentapolis, - ٨
Chicago (1960) PP. 17, 268.

Cyrenaican Expedition of the University of Manchester. vol. I,
(1952), comprising J. Gray, The Jewish Inscriptions in Greek
and Hebrew at Tocra, Cyrene and Barce, Manchester Univer-
sity Press, (1956) P. 43. ff., P. 43 N. 1.

١٠- المرجع السابق النقوش رقم ٣٦، ٣٨، ٣٩٠ .

١١- المرجع السابق ص ٥٥ .

١٢- أمثلة على بعض يهود توكرة الطاعنين في السن . سار ابنة تليستزاتوس
المتوفاه بن ٩٨، عاما في عام ١١ ق.م. أي أنها ولدت في عام ١١٧ ق.م.

G. Oliverio, "Iscrizioni di Tocra," Documenti antichi dell'Af-
rica Italiana, vol. II, fasc. II, N. 383

يهوذا بن يوسف، توفي عن مائة عام في عام ١١ ق.م. أي أنه ولد في عام
١١١ ق.م.

S.E.G. 704 .

أريستيبس . بن يهوذا توفي عن سبعين عاما في عام ١٣ ق.م. أي أنه ولد
في عام ٨٣ ق.م.

G. Oliverio, ip. cit. N. 380

راجع أيضا J. Gray. المرجع السابق. نقوش رقم ٨، ٢٢، ٣٠، ٣٧،
٣٨ .

١٣- مثال ذلك النقش رقم ٩ في المرجع السابق وهو مؤرخ على النحو التالي
«العام الاول ، ١٤ طوبة»

J. et G. Roux, "Un décret du Politeuma des Juifs de Bérénikè - ١٤.
en Cyrénaïque au Musée Lapidaire de Carpentras, R.E.G.,
LXII, N. 291 - 293 Année. (1949), PP. 281 - 296 P. 286 ff.

١٥- J. Gray. في المرجع السابق ص ٥٥ .

١٦- إبراهيم نصجي ، المرجع السابق ، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٤٦ ص ٢
ص ٤٩٢ .

M.I. Rostovtzeff. Social and Economic History of the Helle- ١٧
nistic World, Oxford, (1960) P. 1389.

١٨- M.I. Rostovtzeff في المرجع السابق ص ص. ٣٣٣ ، ٩١٦ .

١٩- راجع على سبيل المثال

V. Tchericover, and A. Fuks.

في المرجع السابق ، الاستراكا من رقم ٤٨ - ١٢٤٠ والخاصة بعمل اليهود
في الشؤون المالية في مصر العليا .

C.H. Kraeling op. cit. P. 8

- ٢٠ .

- ٢١ - نفسه
- Philo, In Flacc. 57 - ٢٢
- W.W. Tarn, Hellenistic Civilisation, Lond. (1952) - ٢٣
- 3rd P. 213
- P.S. Aristeas, 310 - ٢٤
- ٢٥ - ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ح ٢ القاهرة ١٩٤٦ ص ٧٢٧ وما يليها .
- ٢٦ - أنظر سفر نحميا اصحاح ١٠ ، آيات ٣٣ - ٣٤ ، سفر الخروج اصحاح ٢٣ آية ١٩ .
- Josephus, Ant. XIV, 214; XVI, 164, 166 - 170; J. Juster, Les Juifs dans dans l'Empire Romain, Paris, 1914, P. 378
- V. Tchericover and A. Fuks, op. cit. P. 8. - ٢٧
- J. et G. Roux, op. cit. - ٢٨
- G. Caputo, La Sinagoga di Berenice in Cirenaca in una Iscrizione Greca Inedita, La Parola del Passato, Fasc. LIII Marzo - ٢٩
- Aprile 1957, PP. 132 - 134
- H.I. Bell, Jews and Christians in Egypt, London (1924), - ٣٠
- P. 12 ff.; idem Juden und Griechen in Romischen Alexandria, Leipzig, (1927), P. 10 ff.
- S.E.G. 1. - ٣١
- Josephus, B.J. ii, 487 - 8; Ant. xix, 281 - 5. - ٣٢
- E. Bevan, Hellenistic Judaism, in "Legacy of Israel" Oxford, - ٣٣
- (1953), P. 30
- ٣٣ - راجع ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ح ١ القاهرة ١٩٤٦ ص ٢٦٨ .
- V. Tchericover and A. Fuks, op. cit. P. 37 cf. - ٣٤
- B.J. Bamberger, The Story of Judaism N.Y. (1957) P. 85
- Josephus, Ant. XIV, 7, 2; XVI, 6, 1, 5; B.J. VII. 11., II Mac. - ٣٥
- 2, 24. D.E. Schürer, Geschichte Des Jüdischen Volkes in Zeitalter Jesu Christi, Leipzig (1909) vol. iii P. 483, Th. Kittel, D.G. Spadafora, Corpus Inscriptionum Judaicarum. P. 352, E. Ehrlich, A. Concise History of Israel, London, (1962) P. 95
- V. Tchericover, A. Fuks, op. cit. P. 28 - ٣٦
- ٣٧ - راجع ص ١٩١ .
- A.H.M. Jones, The Greek City, Oxford, (1940) P. 35 - ٣٨
- ١٩٦٠ راجع ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ، الطبعة الثانية ، القاهرة .
- ح ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
- ٣٩ - ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ١٦٩ .
- N. Slousch, op. cit. - ٤٠

- ٤١- ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٦ وما يليها .
V. Tchericover, A. Fuks, op. cit. P. 22
S.E.G. 7 - ٤٢
M.I. Rostovtzeff, op. cit. P. 916 ff. - ٤٣
٤٤- عن وصية أبيون .
Justin XXXIX, 5, Tacitus, Ann. XIV 18., Livy. Epit. L
LXX
P. Romanelli, La Cirenaica Romana (96 a.C. - 642 d.c.) - ٤٥
Verbania (1953) P. 39
A. Rowe, Cyrenaica Expedition of the University of Manchester - ٤٦
1955 - 57, Manchester, (1959) vol. II P. 31
على أحد وجهي قطعة العملة نقش باللغة العبرية «العام الثاني» وعلى
الوجه الآخر «خلاص صهيون» بنفس هذه اللغة .
G. Oliverio, Iscrizioni Cirenaiche, Quaderni di Archeologia - ٤٧
della Libia, Roma (1961) PP. 3 - 54) N. 7
٤٧- العمود (a) السطر ٨ العازار بن العازار ، السطر ٩ أجاثوكليس بن
العازار، والسطر ٥٧ أيوليوس بن ايسوس (عيسى) وربما كان ثيودوروس،
سطر ١٩ ، ثيودوروس بين ثيودوروس سطر ٥٥ يهوديين كذلك .
Strabo, ap. Jos. Ant. XIV, 115 - ٤٨
Act. 6, 9; 11, 20. E. Schürer, op. cit. vol. iii. P. 79, N. Slousch, - ٤٩
op. cit.
C.H. Kraeling, op. cit. PP. 17, 215 Inscription N. 51 - ٥٠
S.E.G. IX, 399, C.I.G., iii, 5328 cf. S Applebaum, The Jewish - ٥١
Revolt in Cyrene 115 - 117 and the Subsequent Recolonisation,
J.N.L. of Jewish Studies vol. II N. 4 (1959) PP. 177 - 186,
P. 183.
C.H. Kraeling, op. cit. P. 17 - ٥٢
J. Gray in Cyrenaica Expedition of the University of Man- - ٥٣
chester vol. I (1956) P. 55.
عن يهود توكرة نشرت النقوش المتضمنة لأسماء موتاهم في هذه المدينة
في عدة مجموعات من بينها .
G. Oliverio, Iscrizioni di Tocra, Documenti antichi dell'Africa
Italiana II. fasc. II PP. 164
وفي مجموعة S.E.G. الجزء التاسع وفي تقرير جامعة مانشستر عن
أعمالها في موسم عام ١٩٥٢ ، راجع حاشية ٩ أعلاه ، وقد اعترض كل من
J. Reynolds, R.G. Goodchild على قراءة J. Gray لبعض النقوش في
J.R.S., 47 (1957) P. 273 .
J. Robert and L. Robert, Bulletin Epigraphique, R.E.G.
LXXII, 1952, P. 275

- انظر أيضا .
- G.R.H. Wright, Excavations at Tocra Incorporating Archeological Evidence of a community of the Diaspora, Jerusalem (1960)
- G.R.H. Wright op. cit. PP. 27, 28, 54 - ٥٤
- ٥٥ - راجع حاشية ٥٣ .
- G. Oliverio, G. Pugliese Carratelli, D. Morelli, Supplemento Epigrafico, Cirenaico, Annario Della Scuola Archeologica di Atena vol. XXXIX - XL Ns. XXIII - XXIV (1961) - 1962) PP. 219 - 375. P. 50 N. 95 cf. S.E.G. XVII, 818, S. Applebaum, Zion, XIX, (1954) P. 44 - ٥٦
- ٥٧ - انظر حاشية ١٤ .
- ٥٨ - انظر حاشية ٢٩ .
- Procopius, Edif. V, ii, 21, R.G. Goodchild, Boreum of Cyrenaica, J.R.S. XLI (1951) Parts I, II PP. 11 - 16, idem, Medina Sultan, Libya Antiqua, vol. I (1964) P. 101. - ٥٩
- R.G. Goodchild, op. cit. - ٦٠
- N. Slousch, op. cit. - ٦١
- Josephus, B.J. VII, 443 - ٦٢
- ٦٣ - انظر حاشية ٢٩ .
- Josephus, Ant. XVI, VI; 162 - 164 - ٦٤
- ٦٥ - انظر حاشية ١٥ .
- ٦٦ - انظر حاشية ٢٩ .
- ٦٧ - راجع خطاب كلاوديوس الى حاكم مصر خاصاً بيهود الاسكندرية ، كما أورده المؤرخ يوسف .
- Josephus Ant. XIX, 281 - 5
- ٦٨ - انظر حاشية ٤٨ وراجع .
- M.I. Rostovtzeff. Social and Economic History of the Roman World 2nd ed. Lond. (1957) P. 309
- F. de Visschier, Les Edits d'Auguste Découverts a Cyrene - ٦٩ Osnabrück, 1965
- ٧٠ - عن مناقشة هذه الآراء ، راجع المرجع السابق ص ٤٧ ومايليها .
- ٧١ - الحاشية السابقة .
- ٧٢ - راجع القرارات وتعليقات F. de Visschier انظر حاشية ٦٩ .
- ٧٣ - انظر حاشية ٢٩ .
- J. et G. Roux, op. cit. P. 287 - ٧٤

- idem P. 284 -٧٥
 idem P. 289 ff. -٧٦
 ٧٧- انظر حاشية ٤٧ .
 R. Taubenschlag, The Law of Graeco - Roman Egypt in the -٧٨
 Light of the Papyri 2nd ed. Warszawa (1955) P. 606
 P. London 1912 -٧٩
 ٨٠- انظر حاشية ٧٤ .
 J. et G Roux, op. cit. P. 290 ff. -٨١
 ٨٢- انظر حاشية ٧٥ .
 ٨٣- انظر حاشية ٢٩ .
 ٨٤- انظر حاشية ٤٧ .
 ٨٥- انظر حاشية ٥٦ .
 J. Gray, op. cit. Inscription N. 3, 23. -٨٦
 idem Inscription N. 21 -٨٧
 idem Inscription N. 16 -٨٨
 idem Inscription N. 24 -٨٩
 S.E.G. 700 -٩١
 J. Gray, op. cit. Inscription N. 28 -٩٠
 ٩٢- انظر حاشية ٢٩ .
 ٩٣- الحاشية السابقة .
 ٩٤- انظر حاشية ٧٥ .
 ٩٥- انظر حاشية ٤٧ العمود (b) السطر (٣) .
 ٩٦- انظر الحاشية العمود (a) السطر (٤٥) .
 J. Gray, op. cit. Inscription N. 35, 38 -٩٧
 idem, N. 5 -٩٨
 idem, N. 44 -٩٩
 idem, N. 12 -١٠٠
 ١٠١- انظر حاشية ٢٩ .
 ١٠٢- انظر حاشية ٧٥ .
 ١٠٣- انظر حاشية ٢٩ .
 ١٠٤- انظر حاشية ٤٧ العمود السطر (٤٩) .
 ١٠٥- انظر حاشية ٥٦ .
 J. Gray op. cit. N. 19 -١٠٦
 idem, N. 22 -١٠٧
 idem, N. 36 -١٠٨
 idem, N. 42 -١٠٩

- ١١٠- راجع حاشيتي ٢٩ ، ٧٥ .
 ١١١- راجع حاشية ٤٧ العمود (a) السطر (٥٧) .
 J. Gray op. cit. N. 1, 25 - ١١٢
 idem, N. 7 - ١١٣
 idem, N. 8 - ١١٤
 ١١٥- راجع حاشيتي ٢٩ ، ٧٥ .
 J. Gray op. cit. N. 44 - ١١٦
 ١١٧- انظر حاشية ٢٩ .
 ١١٨- الحاشية السابقة .
 V. Tchericover and A Fuks op. cit. P. 28 ff. - ١١٩
 ١٢٠- ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ص ٧٣٠ .
 ١٢١- عن هذه الثورة انظر ص
 O. Bates, The Eastern Lybians, Lond. (1914) P. 208 - ١٢٢
 ولكن هذا الكاتب تحفظ وقال انه كان ينبغي أن تمر ثلاثة أجيال قبل
 أن يقبل اليهود في مجتمعهم أولئك الذين تهودوا حديثا .
 N. Slousch, op. cit. - ١٢٣
 M.I. Rostovtzeff, op. cit. P. 308; E.H. Kraeling op. cit. P. 11 - ١٢٤
 Plutarchus, Lucullus 2. 3 - 4 - ١٢٥
 ١٢٦- انظر حاشية ١٢٤ .
 E.H. Kraeling op. cit. P. 11 N. 56 - ١٢٧
 Strabo ap. Jos. Ant. XIV, 115 - ١٢٨
 ١٢٩- راجع تعليق الناشر R. Marcus على نص يوسف في الحاشية
 السابعة ، والنص منشور في مجموعة L.C.L.
 E.H. Kraeling op. cit. P. 11, 12 - ١٣٠
 ١٣١- انظر حاشية ٦٢ .
 J. Gray, op. cit. P. 55 - ١٣٢
 ١٣٣- انظر حاشية ٧٥ .
 Josephus B.J. VI, 114 - ١٣٤
 ١٣٥- عن تفاصيل هذه الثورة راجع .
 Josephus B.J. VII, 437 - 442
 idem, Vita § 424 ff. - ١٣٦
 G. Ricciotti, The History of Israel, Milwauke (1955) vol. II - ١٣٧
 P. 422
 ١٣٨- انظر حاشية ١٣٥ .
 Jos. B.J. VII, 409 - ١٣٩

- M.I. Rostovtzeff, op. cit. P. 270, P. 664 N. 32; C.A.H. vol. X. — ١٤٠
P. 650, 662, 850, G. Ricciotti, op. cit. P. 393
- ١٤١ — عرفت هذه الضريبة باسم
denarii duo Judaeorum loudaion Telesma
V. Tchericover and A. Fuks op. cit. P. 81 ff.
- ١٤٢ — A. Fucks "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115 - 117) in the
Light of the Papyri" *Aegyptus* 33 (1955)
وعبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية ، القاهرة ١٩٦٠
ص ١٨٥ وما يليها .
- ١٤٣ — Dio Cassius LXVIII, 32, 2
P. Giss. 24 = W. Chrest. 15 = C.P. Jud. II N. 437 وقارن
عن ما تردد من أن اليهود في مصر كانوا يشيرون ضحاياهم .
- ١٤٤ — R.G. Goodchild, Roman Miles in Cyrenaica, Papers of the
British School at Rome vol. XVIII (New Series) vol. V. (1950)
P. 89.
- ١٤٥ — idem, Cyrene and Apollonia, Department of Antiquity, (East-
ern Region), United Kingdom of Libya, 2nd ed. 1963; P. 67
idem, P. 71, idem, The Temple of Zeus at Cyrene, Papers of — ١٤٦
the British School at Rome vol. XXVI (New Series vol. XIII)
PP. 30 - 62, P. 33
لا يعتبر جود تشيلد اليهود مسئولين عن كل التدمير الذي لحق بمعبد
زيوس ، ويشرك المسيحيين في هذه المسئولية ، راجع . S.E.G. IX, 189
- ١٤٧ — S. Applebaum, The Jewish Revolt in Cyrene P. 179
- ١٤٨ — بدء في إعادة تشييد معبد أبوللون ، ولكنه اكمل في عهد الامبراطور
كهودوس .
- S.E.G IV, 189; S. Applebaum, Hadrian and Cyrene J.R.S. vol.
XL. Parts I, II PP. 77 - 90. P. 88; R. Goodchild, Cyrene and
Appollonia P. 58
- S. Applebaum, The Jewish Revolt. P. 178 — ١٤٩
- S.E.G. IX, 121, S. Applebaum op. cit. P. 178 — ١٥٠
- S.E.G. IX, 168 = Africa Italiana II 118 - 9 N. 3; S. Apple- — ١٥١
baum, Hadrian and Cyrene P. 89
اعيد بناء هذا المعبد في عهد هادريان .
- S.E.G. IX, 186, S. Applebaum, The Jewish Revolt. P. 180 — ١٥٢
- S.E.G. IX 174; R. Goodchild. op. cit. P. 61 — ١٥٣
- S.E.G. IX, 172, S. Applebaum, op. cit. P. 180 — ١٥٤
- ١٥٥ — سجل في نقش من القيصر يوم أن الامبراطور هادريان ، أمر بترميم هذا

المبنى الذي لحقته الدمار أثناء أعمال التخريب التي ضحبت ثورة اليهود .
ولما كان النقش مؤرخا بعام ١٠١٨ م . ، فإن ذلك يدل على السرعة التي
تم بها ترميم المبنى من ناحية ، وعلى أهميته في نظر الادارة الرومانية من
ناحية أخرى . راجع .

J.B. Perkins, H. Ballance, J.M. Reynolds, *The Caesareum at Cyrene and the Basilica at Gremna, Papers of the British School at Rome, vol. XXI (New Ser. vol. XIII) (1958) PP. 137 - 194. P. 161*

وقد نشر في هذا المقال ثلاثة نقوش بداخل القيصريوم وكلها تكريم
لهادريان (ص. ١٦٣) ، ونشر أيضا نقش يشير الى اصلاح البازيليكا
الخاصة بالقيصريوم في اول يناير عام ١١٩ م . (ص. ١٦١) . راجع أيضا .

S. Applebaum, *Hadrian and Cyrene, JRS, P. 89*

حيث نشر النقش نفسه بطريقة غير صحيحة تماما . ، راجع أيضا .

S.E.G. IX, 54

S. Applebaum, *The Jewish Revolution P. 178*

- ١٥٦

١٥٧ - أمر الامبراطور في عام ١١٩ بإعادة بناء حمامات المدينة والمباني الملحقة
بالحمامات راجع .

Africa Italiana I, 321

S. Applebaum, *Hadrian and Cyrene P. 89*

idem, *The Jewish Revolution, P. 178 ff.*

- ١٥٨

S. Stucchi, *L'agora di Cirene, Roma, 1965, P. 241 ff.*

idem. P. 179

- ١٥٩

١٦٠ - نفسه .

١٦١ - في عام ١٣٨ م . كان جانب من العمل في ترميم المبنى (الذي يظن أنه
الكابيتوليوم) قد أنجز ، فقام اغريق المدينة بإعادة اهداء البناء مع لوحة
الى هادريان الذي وصف بأنه .
Ktistes Kai Autokrator

Idem, *Hadrian and Cyrene P. 88*

idem, *The Jewish Revolution P. 180*

- ١٦٢

١٦٣ - نفسه .

١٦٤ - نفسه .

١٦٥ - نفسه .

Orosius, vii, 126. cf. S. Applebaum op. cit. P. 180

- ١٦٦

S. Applebaum, idem P. 182

- ١٦٧

idem P. 181, idem *Hadrian and Cyrene P. 87*

- ١٦٨

١٦٩ - نفسه .

C.H. Kracking, op. cit. P. 17

- ١٧٠

S. Applebaum, idem P. 182

- ١٧١

- idem P. 184 — ١٧٢
- Idem, P. 186, G.W. Murray, "A Small Temple in the Western Desert", *J.E.A.* XVII, (1931) PP. 81 - 84, P. 83 f. — ١٧٣
- ١٧٤ — عن ثورة اليهود في قبرص .
- G. Hill, *A History of Cyprus* vol. I Cambridge (1949) P. 242 ff.
بلغ عدد ضحايا اليهود ٢٤٠,٠٠٠ نسمة ، وحرم أهل قبرص على اليهود
المجيء إلى جزيرتهم .
- ١٧٥ — عن ثورة اليهود في مصر ، راجع .
- A. Fuhs, "The Jewish Revolt in Egypt (A.D. 115 - 117) in the Light of the Papyri" *Aegyptus* 33 (1953)
وعبد اللطيف أحمد على المرجع السابق ص ١٨٥ وما يليها .
- ١٧٦ — الحاشية السابقة .
- R. Goodchild, *Cyrene and Appollonia* P. 21 — ١٧٧
- U. Wilcken, "Zum alexandrinischen Antisemitismus", *Abh.* — ١٧٨
Kon. Sachs. Ges. Wiss, Phil. - hist., Klio, 27 (1909) PP. 783 -
839 P. 815
- A. Fuhs op. cit. P. 139 — ١٧٩
- P.M. Fraser, "Hadrian and Cyrene with a Note by S. Applebaum," *JRS* vol. XL (1950 Parts I, II PP. 77 - 90, S. Applebaum, "The Jewish Revolution". — ١٨٠
- P.M. Fraser, op. cit. P. 84 ff. — ١٨١
- S. Applebaum, *Hadrian and Cyrene* P. 87 — ١٨٢
- P.M. Fraser, op. cit. P. 84 — ١٨٣
- idem, P. 84 — ١٨٤
- P. Giss. 41, P. Brem. 1 — ١٨٥
أنظر على سبيل المثال .
- E.W. Bovill, *The Golden Trade of the Moors*, Oxford, 1963 — ١٨٦
P. 53 ff.



تصويب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١	١٠	حدث	حدث
٤	٥	المغرب	المغرب
٧	١٧	تشاهد	نشايد
٩	٢١	العجلية	أوجلة
١٢	١٦	عجا	عجا
١٤	١٧	نيبت	نيبت
	١٧	تحتمس	تحتمس الثالث
١٦	٢١	بلنوبة	بالنوبة
		الثاني	الثاني
٢٤	٧	Saylax	Saylax
٢٥	٢٠	(مربى بن دد)	(مربى بن دد)
٢٨	١٥	كرين	كرين
٣٢	٦	مسييس	رمسيس
	١٦	بنزل	بنزل
٣٣	١٦	الحناة	الحناة
	٢٤	بوسينس	بوسينس
	٢٦	الثانية	الثانية
٣٥	٢٦ ، ٢٥	كل من السطرين يحل	كل من السطرين يحل
		محل الآخر	محل الآخر
٤١	٢	يحتتن	يحتتن
٤٦	٤	الصرى	المصرى
	٨	Shamoux	Chamoux
٥٣	١٠	الماعر	الماعر
٦٧	١٣	الفيليني	الفيليني
٧٩	١٨	الجامفادانتيس	الجرامنتيس
٨٦	١٩	سبقوا	سبقوا
٨٨	١٦	القائلين	القائلين
٩٠	١٢	Coput	Caput
٩٢	١٣	TCsis	Tecasis
٩٤	١٩	اشليديما	الشليظيمة
٩٩	١١	كلودبوس جوتركوس	كلودبوس جوتريكوس
	٢١	Provancia	Provincia
	٢	الدين	الدين
١٢٨	٢١	Prolemaio	Ptolemaio
١٥١	٨	بيعه	بيعه
١٨٠	١	القرارات	القرارات
١٨٥	١٦	ephehoi	epheboi
١٨٧	٢٣	Pulani	Fulani
٢٠٧	٢٣	امتداد	امتدادا
٢٠٨			

مُرَاط

فهرس الخرائط

خريطة رقم ١

شعوب ليبيا حوالى عام ١٢٠٠ ق.م.
O. Bates, Eastern Libyans P. 50 Map No. II.

خريطة رقم ٢

شعوب ليبيا حسب معلومات هيرودوت
O. Bates, op. cit. P. 53 Map No. III.

خريطة رقم ٣

شعوب ليبيا حسب معلومات سكيلاكس
O. Bates, op. cit. P. 54 Map No. IV.

خريطة رقم ٤

شعوب ليبيا حسب معلومات استرابون
O. Bates, op. cit. P. 56 Map. No. V.

خريطة رقم ٥

شعوب ليبيا حسب معلومات ديودورس الصقلى
O. Bates, op. cit. P. 57 Map No. VI.

خريطة رقم ٦

شعوب ليبيا حسب معلومات بليني
O. Bates, op. cit. P. 59 Map No. VII.

خريطة رقم ٧

شعوب ليبيا حسب معلومات بطليموس
O. Bates, op. cit. P. 65 Map No. IX.

خريطة رقم ٨

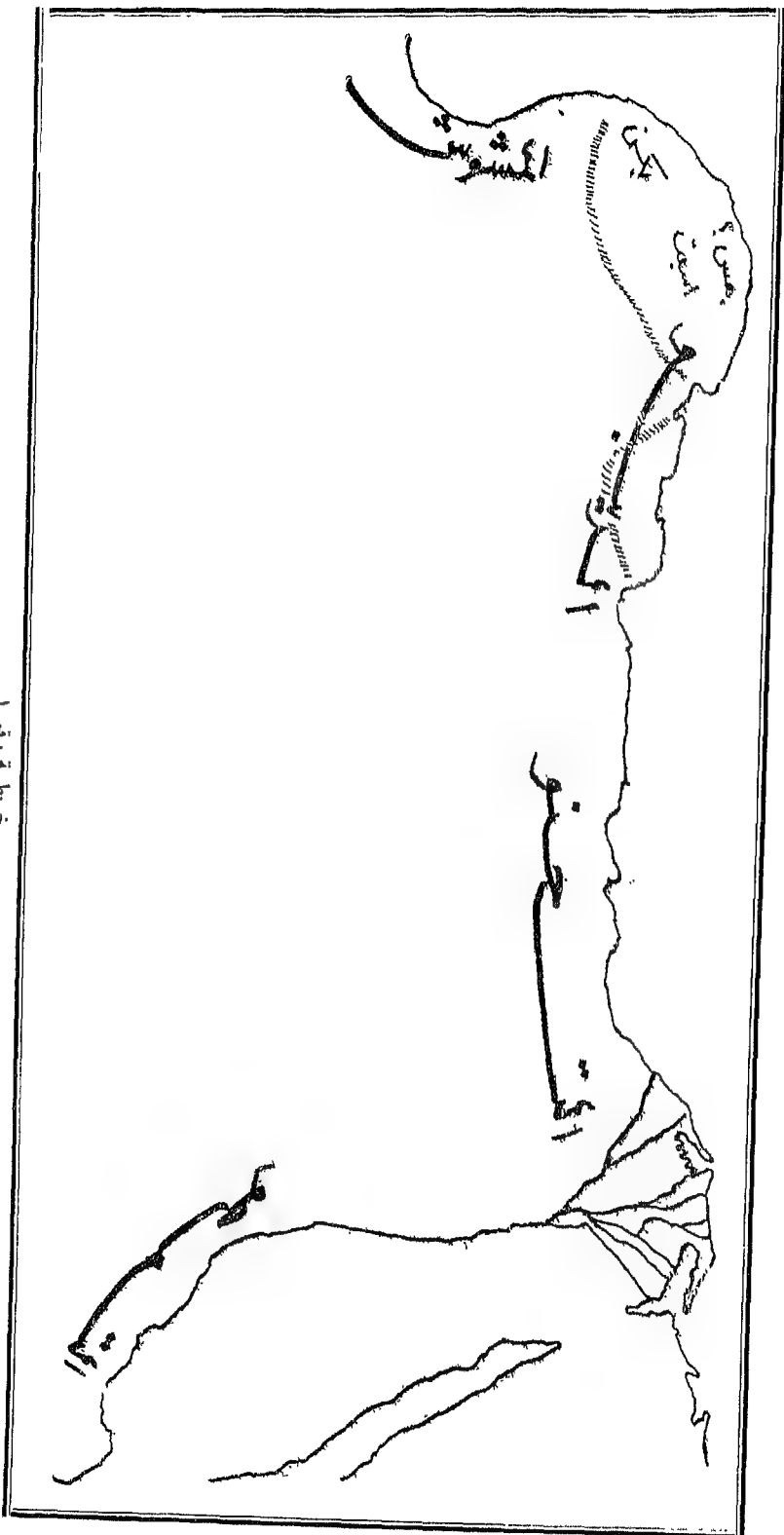
شعوب ليبيا فى العصر البيزنطى
O. Bates, op. cit. P. 67 Map No. X.

خريطة رقم ٩

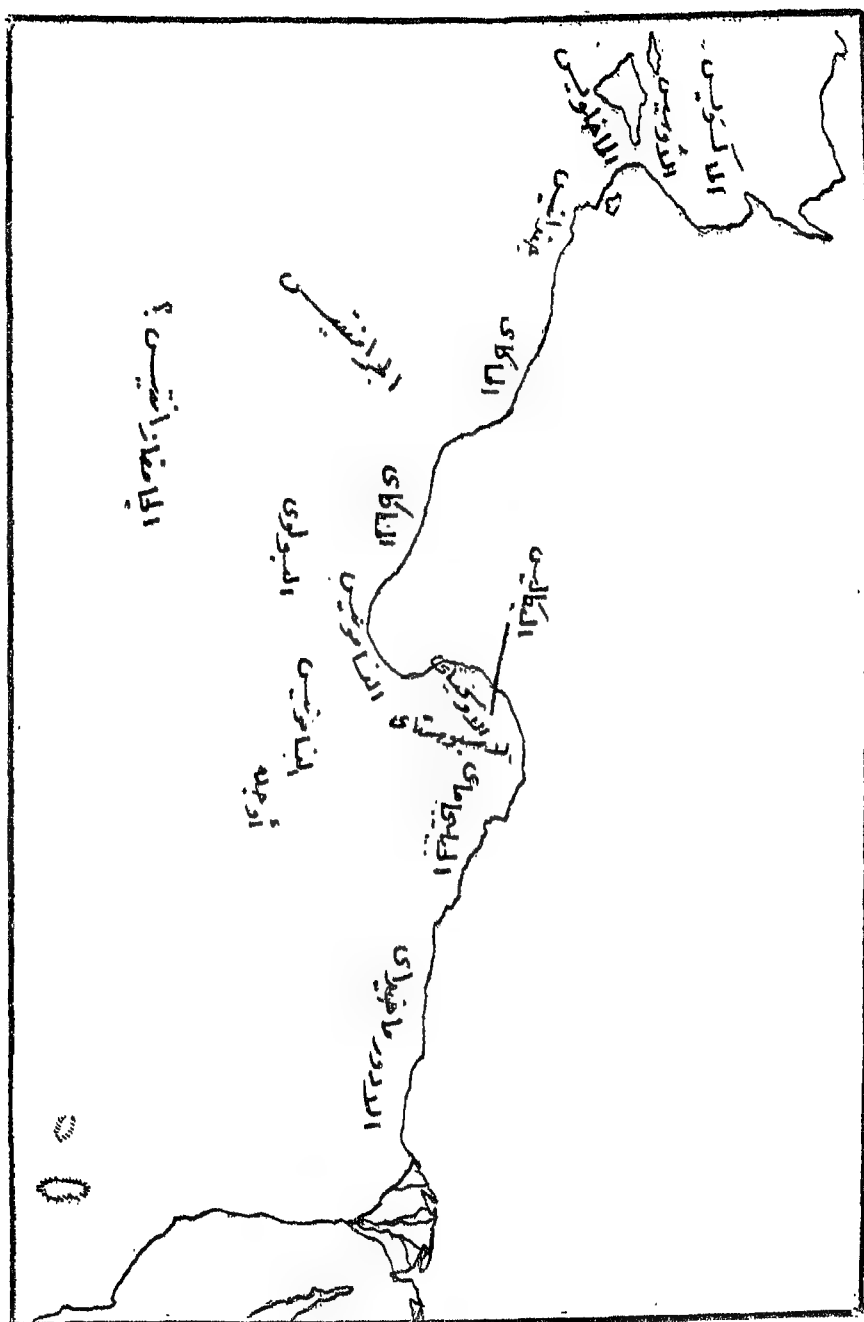
شعوب ليبيا فى عام ٦٤٠ م.
O. Bates, op. cit. P. 70 Map No. XI.

خريطة رقم ١٠

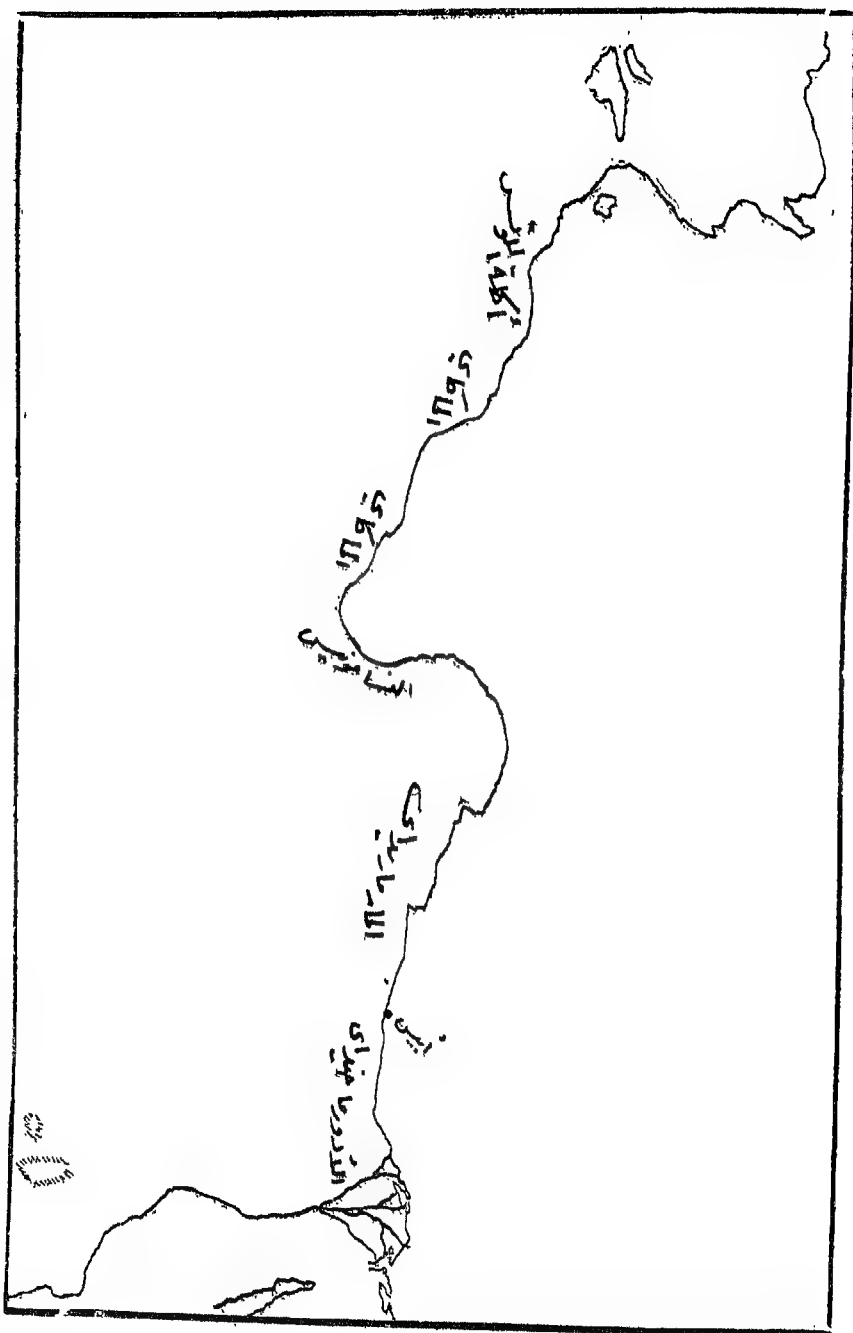
المواقع الانرية الهامة فى ليبيا



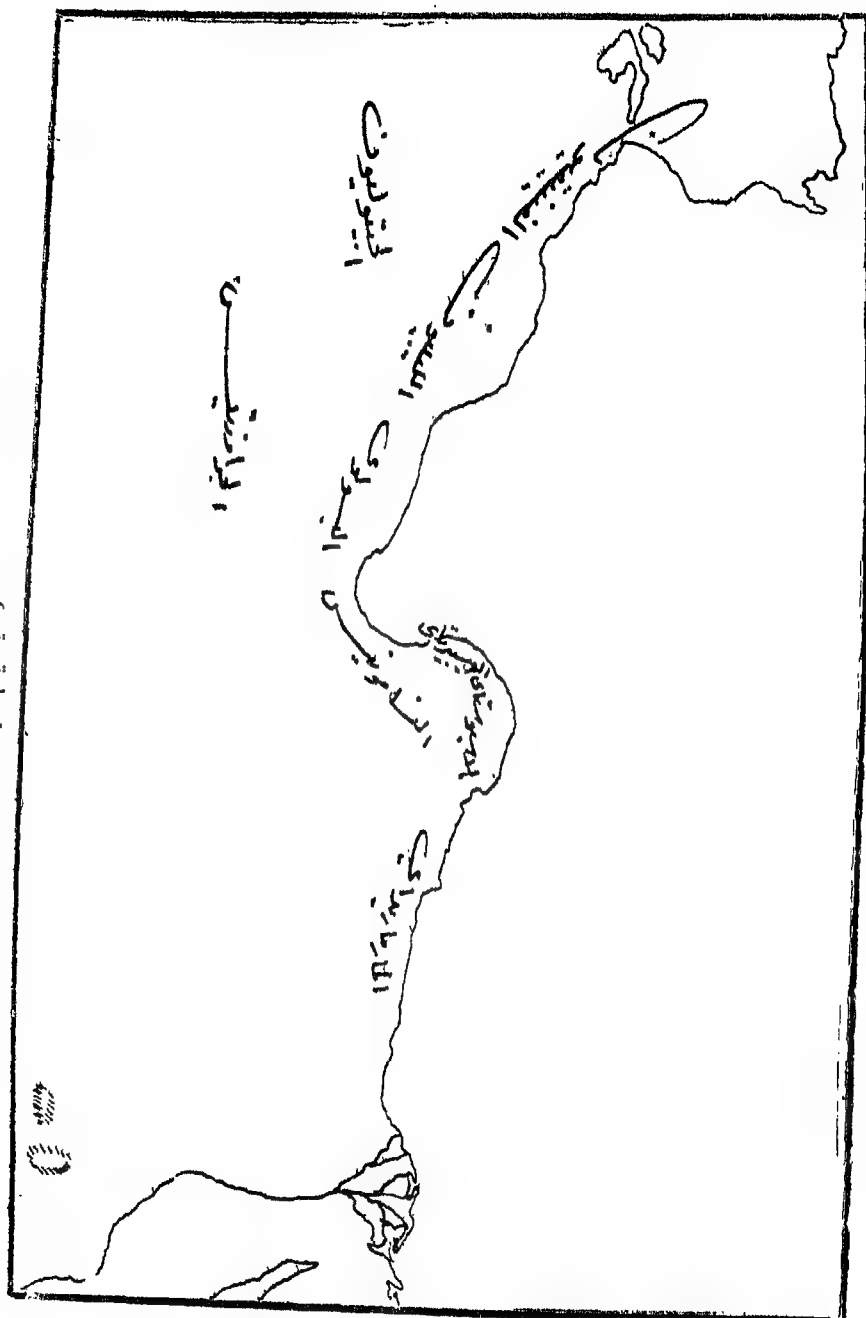
خريطة رقم ۱
شمال ليبيا حوالي عام ۱۲۰۰ ق.م.



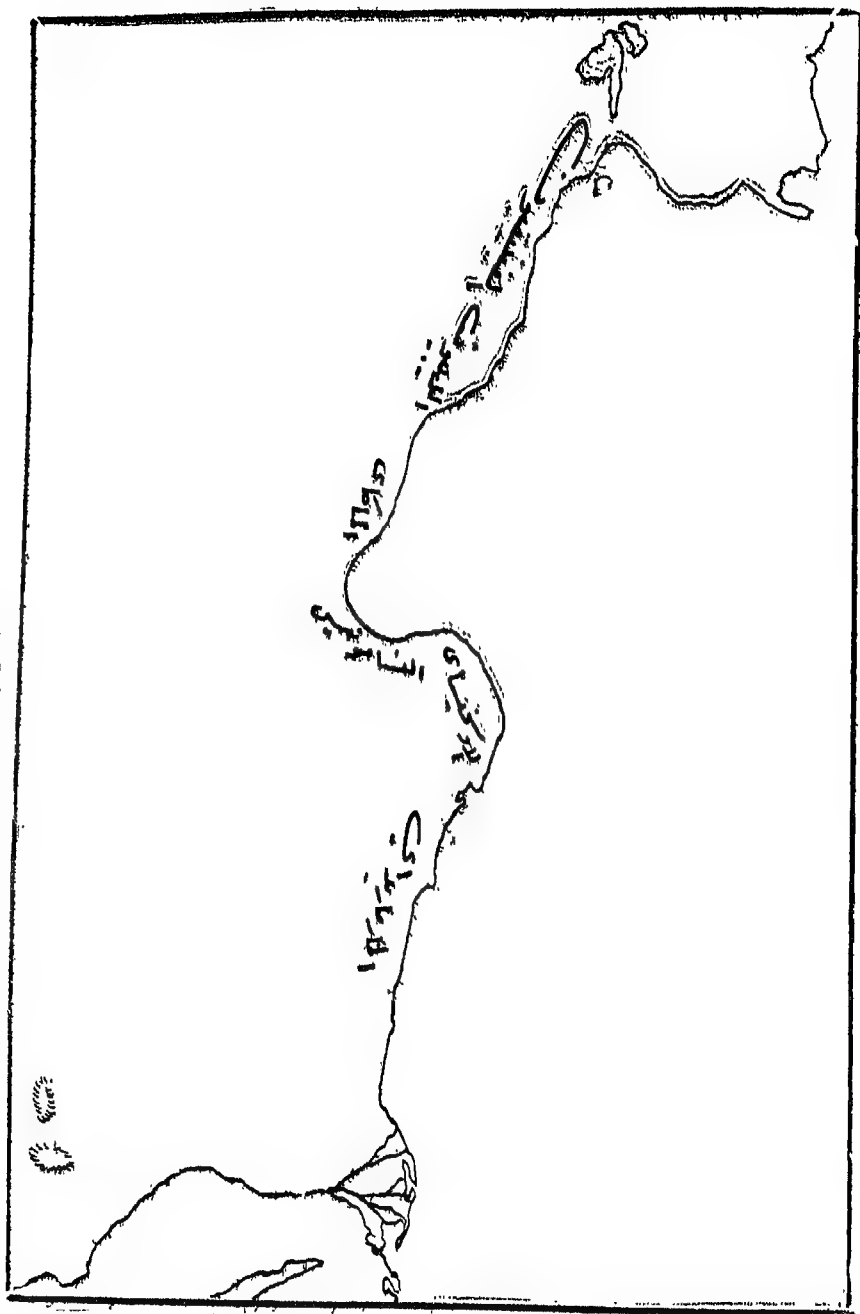
خريطة رقم ٢
شعوب ليبيا حسب معلومات هيرودوت



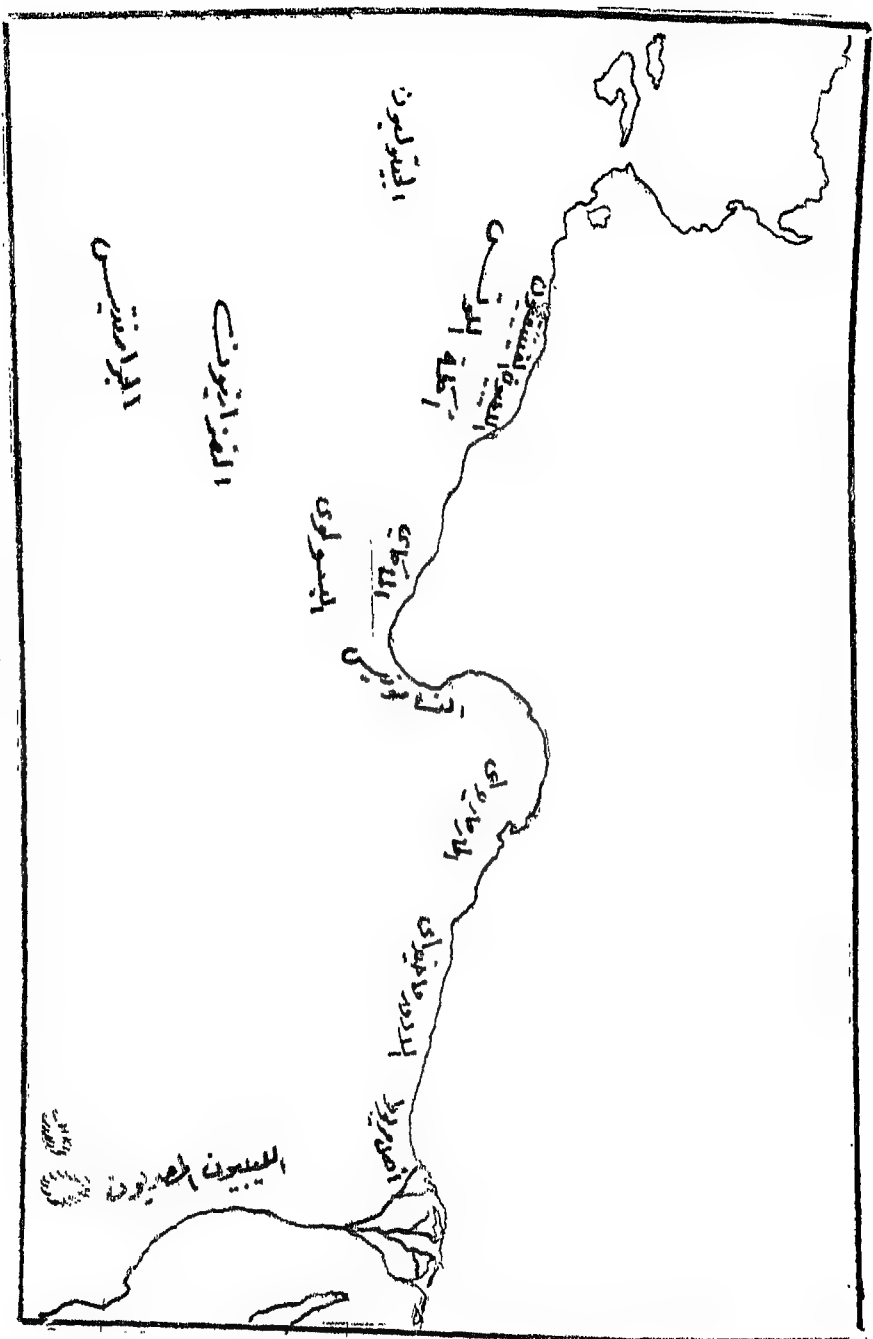
خريطة رقم ۳
شعوب ليبيا حسب معلومات سكراليس



خريطة رقم ٤
مغرب ليبيا حسب معلومات استرايون

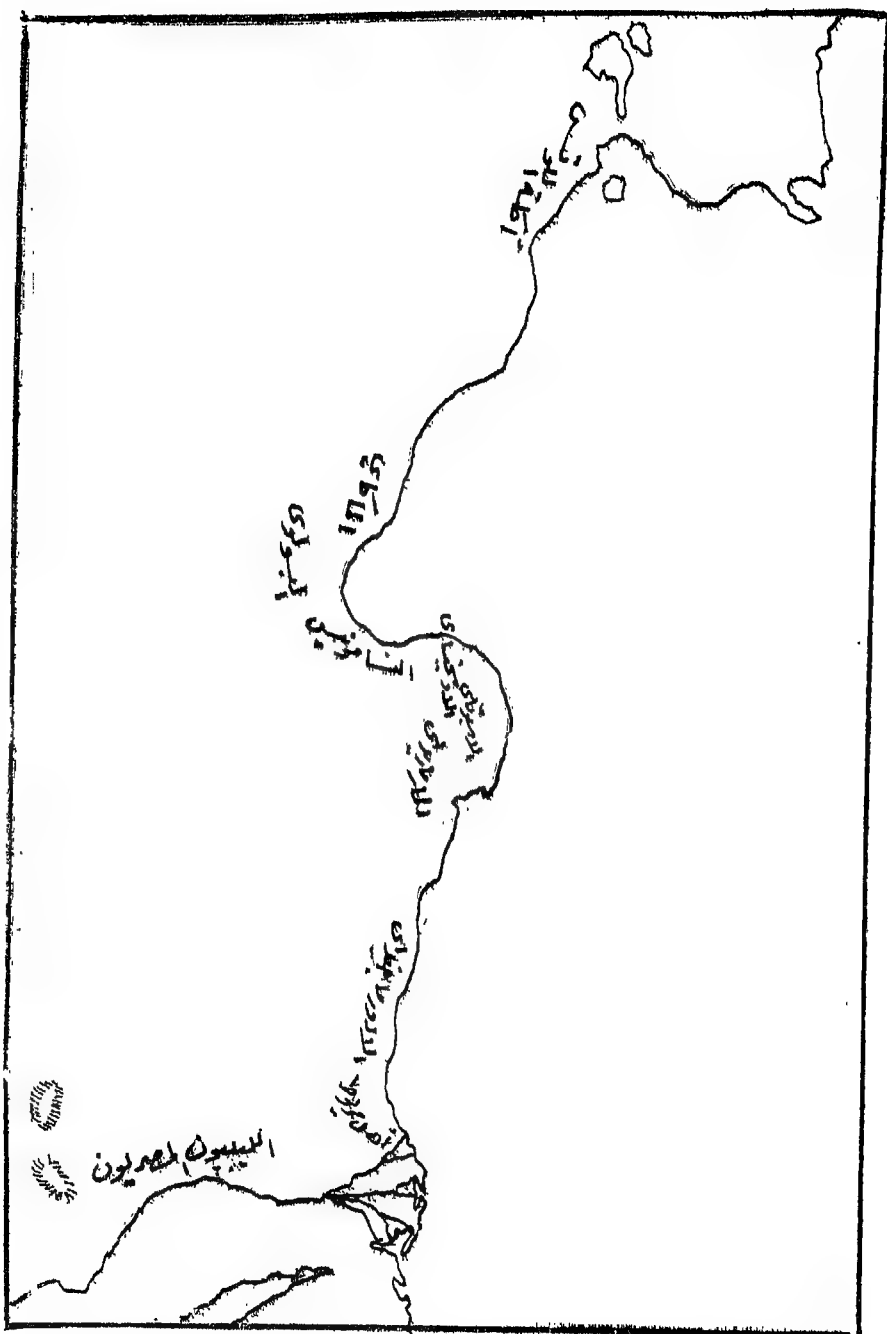


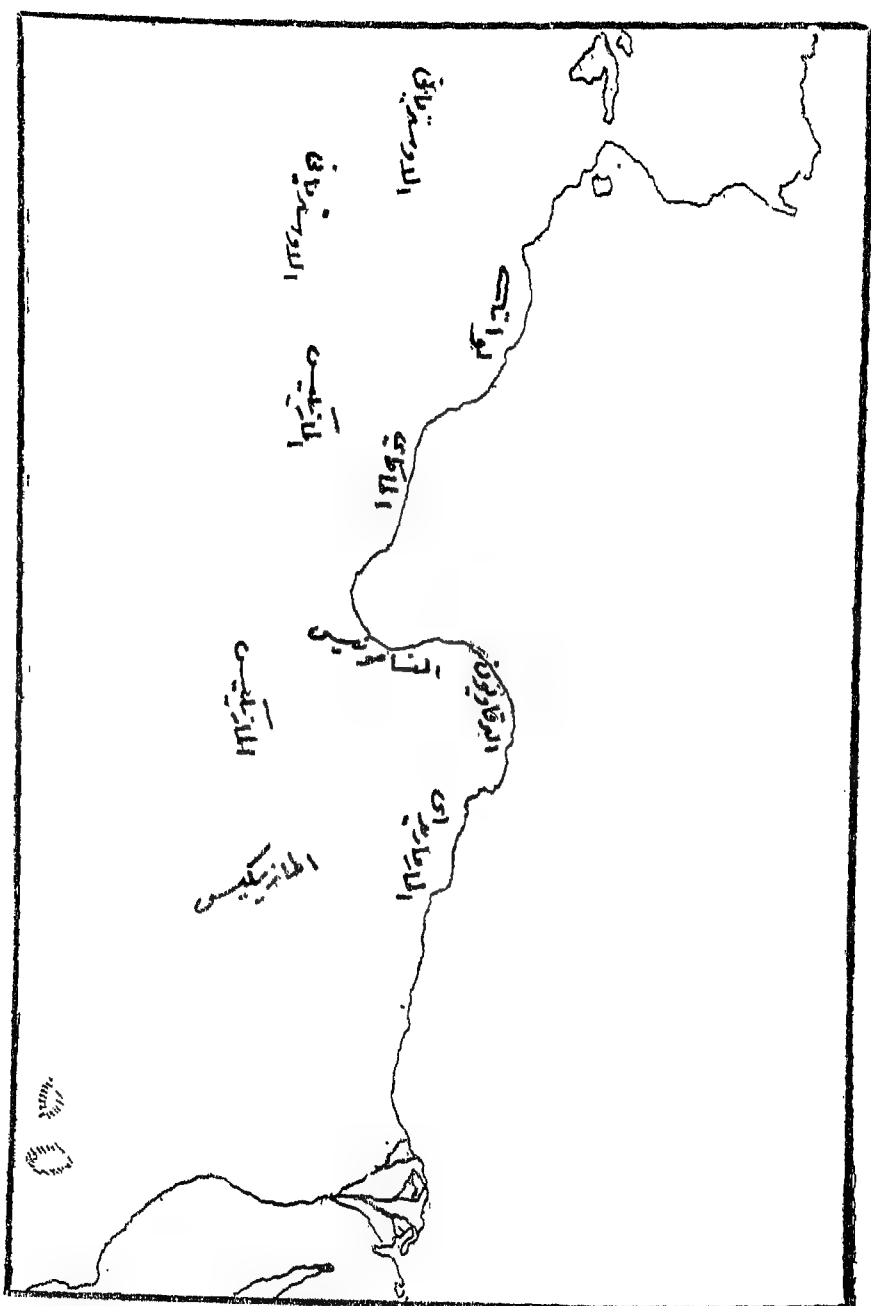
نمودار ليبيا حسب معلومات ديودورس الصقلي
خريطة رقم ٥



خريطة رقم 1
شورب لیبیا حسب معلومات بائنی

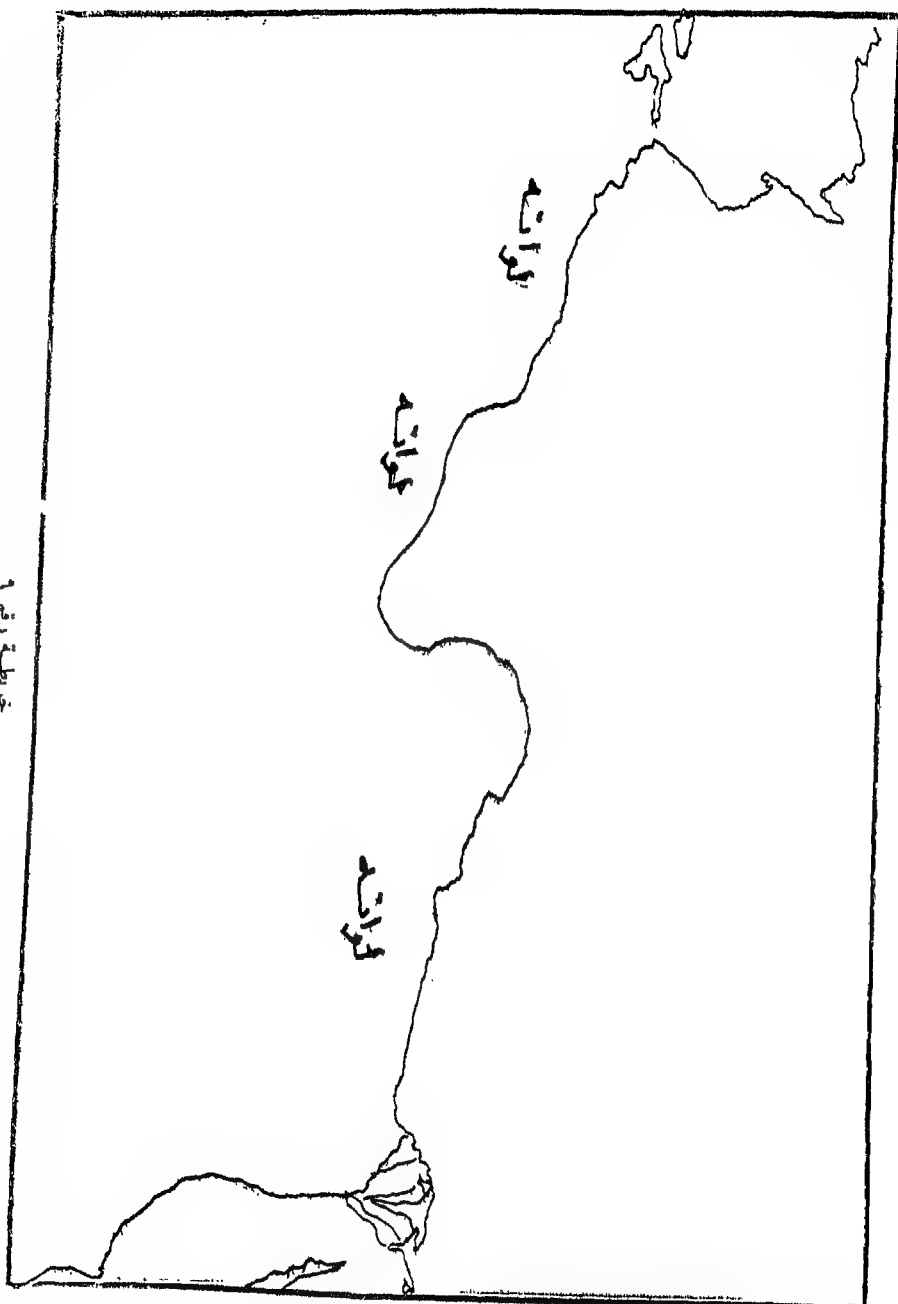
خريطة رقم ٧
شعب ليبيا حسب معلومات بيلغوس

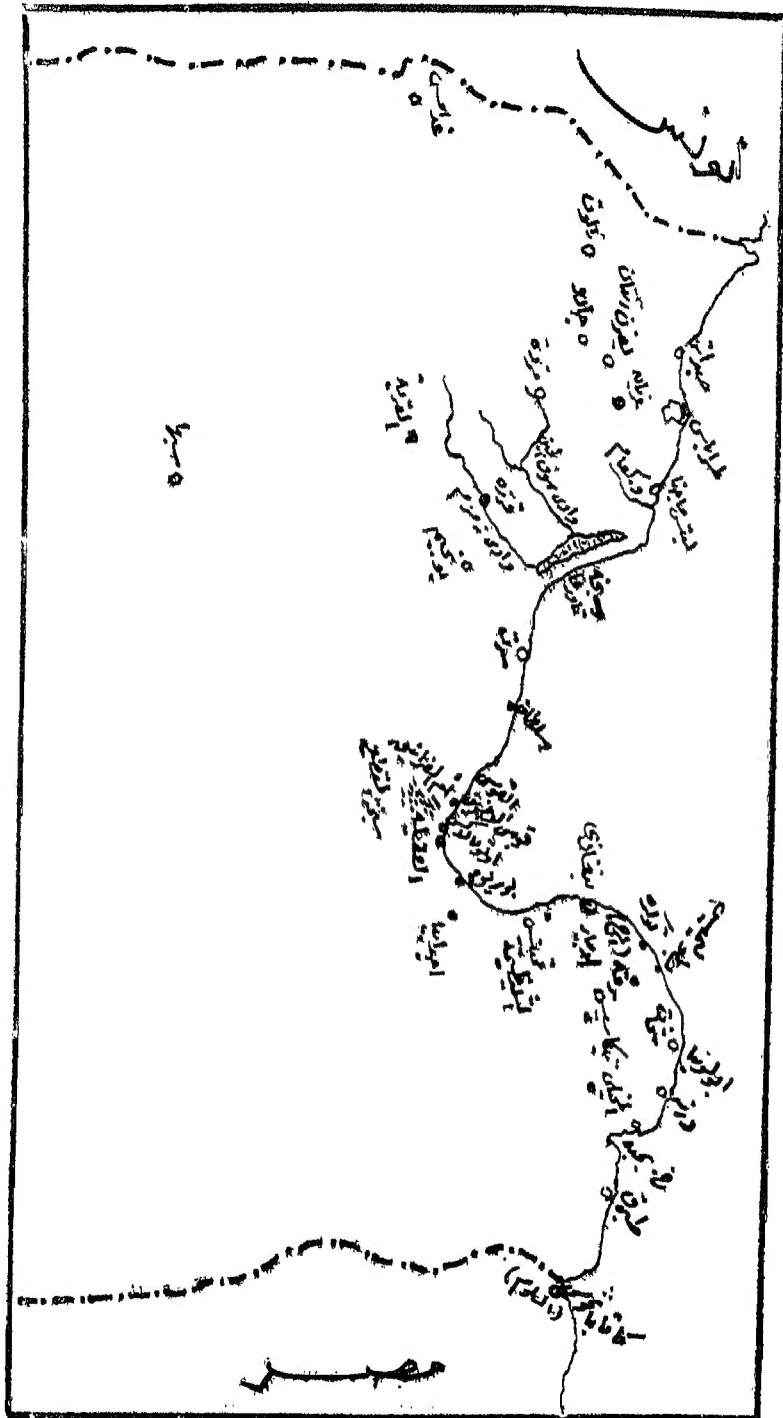




خريطة وقسم ٨
شعوب ليبيا في العصر البيزنطي

خريطة رقم ١
تسويب لبيتا في عام ١٤٠٠ هـ





خريطة رقم ١٠
المواقع الأثرية الهامة في ليبيا

طبعة الأهلية - ستاري
١٩٦٦